الفرانكفونية العربية

دراسات و شهادات

ترجمة: جيهان عيسوى

مراجعة: منى صفوت





المشروع القومي للترجمة

790

المجلس الأعلى للثقافة

إن الفرانكفونية وليدة وضع جغرافى ولغوى محض، وقد نشأت منذ حوالى قرن. واتخذت شكل مجتمع اقتصادى وسياسى منذ حوالى ثلاثة عقود، وهى تواجه اليوم منحنى كبيراً. إذن ليس من قبيل الصدفة أن تتجه أحاديثكم جميعاً نحو معنى الفرانكفونية فى عالم الغد، وذلك فى إطار مفهوم أكثر اتساعاً لدور الأداة التعليمية والثقافية فى العلاقات الدولية المعاصرة.

لقد شهدت الفرانكفونية مراحل عديدة - وذلك بشكل متواز مع هيكلتها تدريجياً على المستوى المؤسسى - فيما يتعلق ببلورة وضعها الثقافى. وكانت نقطة الانطلاق هى مفهوم "الاستثنائية الثقافية"، وهو مفهوم يتم النظر إليه اليوم - على حق - على أنه مفهوم دفاعى للغاية؛ حيث لا يؤخذ فى الاعتبار أن هذا المفهوم يعرض الثقافة لأن تكون مسألة هامشية فى الوقت الذى يفترض فيه أن يجعل منها شيئاً رفيعاً يدخل فى بؤرة الاهتمام. ومن هنا، ظهرت الخطوة الثانية التى رسخت فكرة "التعددية الثقافية" كاهتمام رئيسى للفرانكفونية.



غلاف: سليم صبرى

المشروع القومى للترجمة

الفرانكفونية العربية

(دراسات وشهادات)

تقديم : شارل جوسلان

تمهيد : غسان سلامة

تصدير : بطرس بطرس غالى

ترجمة : جيهان عيسوى

مراجعة : منى صفوت

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٩٠
- الفرانكفونية العربية (دراسات وشهادات)
- شارل جوسلان
- غسان سلامة
- بطرس بطرس غالى
- جيهان عيسوى
- منى صفوت
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

Arabofrancophonie

© L' Harmattan 2001

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

المحتويات

تقديم

بقلم : شارل جوسلان
Charles Josselin
الوزير المفوض للتعاون والفرانكفونية

سوف تنعقد قمة الفرانكفونية المقبلة فى أكتوبر بمدينة بيروت (*) ، وستكون القمة الأولى من نوعها التى تنعقد فى بلد عربى، ألا وهو لبنان . وبهذه المناسبة اختار المجلس الأعلى للفرانكفونية أن يخصص هذا الإصدار من " كراسات الفرانكفونية " لموضوع "الفرانكفونية العربية" . إن هذه الدراسة تندرج داخل سلسلة من الأفكار والتأملات المستمرة حثت عليها المنظمة الدولية للفرانكفونية منذ مايو عام ٢٠٠٠ منذ أن انعقدت فى معهد العالم العربى تحت عنوان " الفرانكفونية والعالم العربى وحوار الثقافات"، ثم تابع المجلس الأعلى للفرانكفونية الاهتمام نفسه فى مايو من هذا العام فى المكان ذاته الذى يحمل العديد من الدلالات. لقد تمحورت الندوة التى عقدتها المنظمة الدولية للفرانكفونية حول الرهانات المؤسسية و الجغراسية (أى الجغرافية السياسية)، أما الندوة التى عقدها المجلس الأعلى للفرانكفونية فقد اتسمت خاصة بطابع ثقافى وفكرى . لقد أعادت الندوة هذه القضية إلى بعدها التاريخى إلا أن هذا التاريخ لا يزال مستمرا وممتدا وقابلاً للتشكيل على اعتبار أن الفرانكفونية العربية ستكون فى الوقت نفسه واقعًا ومشروعًا مستقبليا . إن هذه التعددية فى التناول تتوافق مع اتجاه كل هيئة

(*) أى عام ٢٠٠١ .
(ملحوظة : الهوامش المرقمة من وضع المؤلفين ، والهوامش المشار إليها بنجمة من وضع المترجمة .)

على حدة ؛ فالمجلس الأعلى للفرانكفونية يجد فى هذه التعددية رؤيته الخاصة به، ألا وهى "تنوير" السياسات . إن عمل هذا المجلس مازال يتسم بتميز شديد كما سوف يقتنع القارئ بنفسه وبسهولة عند قراءته للصفحات التى يتضمنها هذا الكتاب . ولنقدم بهذه المناسبة شكرًا خاصا لـ " سليمان بن عيسى " الذى أدار الندوة التى أقيمت بمعهد العالم العربى، كما نوجه الشكر أيضًا لـ " ستليو فاراندجيز " أمين المجلس الأعلى للفرانكفونية ومبتدع هذا الاصطلاح .

ونحن لا نشك مطلقًا فى " الفرانكفونية العربية " وأنها واقع حقيقى ، فهى تعبير عن اختلاط وتهجين هما الثمرة الحالية للهجرات ولكنها أيضًا نتاج لخيوط الماضى . ذلك لأن العالمين الثقافيين واللغويين الذين يمثلهما العالم العربى والعالم الفرانكفونى قد عاشا علاقات متشابكة أملتها عليهما العوامل الجغرافية والتاريخية . وحتى دون الحديث عن الاقتباسات المتبادلة على المستوى اللغوى والتى يحب دائمًا علماء الألفاظ أن يستطردوا فى شرحها فإن الأدب وحده كفيل بأن يؤكد لنا هذه الفكرة ، فترجمة "ألف ليلة وليلة" التى قدمها " أنتوان جالان " Antoine Galland تعتبر حلقة أساسية فى الطريق الذى بدأ مع " البرنسيس دى كليف " مرورًا بـ " الرسائل الفارسية " لـ"مونتيسكيو " Montesquieu و " القصص القصيرة " لـ"فولتير" Voltaire وعلى الجانب الآخر فإن ترجمات " موليير " Molière هى صاحبة الفضل فى التعريف بفن المسرح إبان النهضة الأدبية العربية فى القرن التاسع عشر. حتى يومنا هذا ما زال " الشمال " الفرانكفونى يُصدر ثقافته للعالم العربى ونعنى بهذا " الشمال " فرنسا بالتأكيد حيث إنها تاريخيا كانت الأولى فى خلق هذا الاتصال بالعالم العربى ، لكننا نعنى بالشمال أيضًا كندا والمكسيك والجالية الفرنسية فى بلجيكا وسويسرا ، فجميعها بلاد تأوى جاليات كبيرة ناطقة بالعربية .

إلا أن هذا الإسهام – مقارنة بما سواه – يبدو أكثر اتزانًا . يوجد اليوم فهم كبير من قبل قراء الشمال للأدب العربى الذى تمت ترجمة أعمال كثيرة منه كما سبق وأن ترجم منه الكثير " بيير برنار " Pierre Bernard رحمه الله . وفيما يتعلق أيضًا بالموسيقى العربية يشهد هذا العصر الذى يتسم بازدهار " موسيقات العالم " لقاءً ثنائيا بين " الشاب مامى " و " ستينج " وصلت أصداؤه إلى أقاصى أمريكا، ويحب

"سيتليو فاراندجيز" أن يذكر النجاح الذى حققه " الراى " و " الراب " وهو محق فى ذلك. إلا أن هذا التهجين له أصول أكثر قدمًا فقد قامت " ليلى بونيش " LiLi Boniche منذ عامين فقط وهى من أكبر أساتذة الغناء " الفرانكو آراب " وبعد تجاوزها عامها الثامن والسبعين بحشد الكثيرين من المتحمسين على مسرح " الأوليمبيا " وذلك دون تفرقة أو تمييز بسبب السن أو العقيدة أو الطائفة .

إن هذا التبادل راسخ ومحفور فى التاريخ ويؤكده الاستعمار الذى نعلم جميعًا مدى ثقله وتأثيره . ومع ذلك لابد أن نضع كل شىء فى نصابه خاصة فيما يتعلق بهذا الأمر حيث إن مرور زمن طويل على هذا الاستعمار جعل المؤرخين يعيدون تقييم الأمور منذ زمن . ذلك لأن اختيار اللغة الفرنسية لغة أجنبية يتم تعلمها بهدف الوصول إلى جاليات الأمم المتقدمة كان يتم أحيانًا قبل الغزو الاستعمارى نفسه . ونجد ذلك مثلاً فى مصر فى عصر محمد على ، كما نجده فى لبنان وتونس أيام الإصلاحيين ومدرسة صديقى . كانت فرنسا تجسد نموذجًا عمليا وفاعلاً بفضل اتجاهها نحو تشجيع القومية العربية وبفضل اهتمامها بالمدارس واللغة وكانت بهذا تتفوق على الولايات المتحدة التى كانت دائرة تأثيرها لا تتعدى القارة الأمريكية فى وقت كانت كل من ألمانيا وإيطاليا تبحث عن وحدتها ، وتفوقت أيضا فى ذلك على بريطانيا العظمى التى كان البعض يرى أن تطورها المعتاد بطىء للغاية فى وقت كان الكثيرون لا يطيقون صبرًا على رؤية الإمبراطورية العثمانية تختفى وتتلاشى . ربما لا يمكننى أن أنفى أن الاستعمار الفرنسى كان له طابعًا خاصًا به وربما كان أيضًا " مدمرًا " ، (ففى الجزائر مثلاً كان يتعين الانتظار حتى الخمسينيات حين ظهرت المدارس الفرنسية التى أسسها الإخوان المسلمون ليصبح للغة العربية وجودًا فى النظام التعليمى هناك) إلا أن اكتساب اللغة الفرنسية اليوم قد خلق أدبًا عربيا وأدبًا فرانكفونيا أيضًا فى حين أشك أنه توجد ظاهرة مماثلة مسماه بالأدب العربى الأنجلوفونى (وأعنى بذلك شيئًا يتعدى مجرد الترجمة التى نقر بأهميتها وضرورتها).

وفى المقابل ، يمثل تدريس اللغة العربية فى فرنسا تجربة قديمة جدًا لم تكن بحاجة لانتظار غزو الجزائر ولا نظام الحماية ولا الوصاية حتى ترى النور . لقد بدأت

هذه المغامرة منذ عهد " فرانسوا الأول " و " كوليج دى فرانس " Collège de France (*) و " كولبير " Colbert والدور الذى لعبه الشباب المقبلين على تعلم اللغات " ودور المدرسة العليا للغات الشرقية فضلاً عن الدور الذى لعبه الدبلوماسيون الأوائل فى بلاد الشرق ثم الدور الذى لعبه " سيلفستر دى ساسى " Sylvestre de Sacy الذى ألف كتاب " قواعد اللغة العربية " عام ١٨١٠ ... إننا نجد اليوم فى فرنسا تاريخًا وإرثًا عربيا قويا يدعمه وجود مفتشين للغة العربية ونظام تعليمى خاص باللغة العربية من الدرجة الأولى وهو نظام التبريز .Agrégation إن كل ذلك يمثل مصادر إنسانية مهمة يمكنها أن تكون قاعدة لشراكة قوية .

ها نحن قد وصلنا إلى المشروع الذى نمهد له : إن العولمة mondialisation تجبر اللغات الكبرى بثقافتها واتصالاتها على اتباع إستراتيجيات تحالف محددة لمنع الأحادية اللغوية uniiformisation التى من الممكن أن تجعل من اللغة مجرد أداة . وإذا كنت أؤكد على خطر أدّوية instrumentalisation اللغة فذلك لأننى على دراية بالمقولة التى تتردد دائمًا والتى تقول بأن استخدام اللغة الإنجليزية والأمريكية كأداة سهلة وعملية وغير مكلفة فى تحقيق الاتصالات المتعددة عبر مختلف الحدود لن يهدد مع ذلك وجود اللغات الأخرى على المستوى القومى والإقليمى أو المحلى . وبالتالى – كما تؤكد هذه المقولة – فإن اختيار لغة اتصال دولى واحدة سوف يكون فى صالح الجميع ولن يسبب أية خسائر . يكفينى بهذا الصدد أن أذكر مثالاً وإن كان مبسطًا حيث إنه يقتصر على العالم الدبلوماسى إلا أنه يبرهن على ضرورة وجود أكثر من لغة اتصال دولية : فكما نعرف جميعًا ، شعر مجلس الأمن بحاجة إلى تبنى القرار ٢٤٢ الخاص بالأراضى التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ وكانت الترجمة الإنجليزية لهذا القرار مختلفة بعض الشىء عن الترجمة الفرنسية . وقد وجد المسئولون السياسيون والدبلوماسيون ضالتهم المنشودة فى هذا اللبس المتعمد . ترى هل سيجد العالم العربى

(*) مؤسسة تعليمية كبرى فى فرنسا أسسها فرانسوا الأول فى باريس عام ١٥٣٠ وهى من أعرق مؤسسات التعليم العالى فى فرنسا وقد بدأت هذه المنشأة بتدريس لغات أجنبية ثلاث كانت اللغة العربية على رأسها. ويشتمل "كوليج دى فرانس" اليوم على خمسين كرسى أستاذية ولا يشغل هذا المنصب إلا الشخصيات المهمة فى فرنسا فى مختلف العلوم والفنون والآداب.

هو الآخر ضالته المنشودة إذا كانت هناك ترجمة واحدة من القرار خاصة إذا كانت هذه الترجمة هى الإنجليزية ؟ إن وجود ترجمة واحدة كان بالطبع سيستجيب إلى الحاجة لوجود حل وسط حتى ولو كان ذلك غير مقبول من وجهة نظر المبادئ .

إن العالم العربى والعالم الفرانكفونى يضمان أعداداً كبيرة من المتحدثين بلغة مشتركة ويجمعهم نفس التعلق بها بوصفها قاعدة مهمة ترتكز عليها هويتهم . وهذين العالمين العربى و الفرانكفونى يميلان بطبيعة الحال إلى الحفاظ على إستراتيجية للتحالف بينهما، وهى تتحقق من خلال التبادلية والشراكة اللتين تعتمدان بالطبع على قدرات إنسانية سوف أتعرض للحديث عنها هنا بإيجاز . أولاً يقوم مبدأ التبادلية على زيادة الأعداد الفعلية من الطلاب والدارسين للغة العربية فى مجمل البلاد الأعضاء فى منظمة الفرانكفونية، وهى سياسة تلقى تشجيعاً كبيراً الآن فى فرنسا من قبل وزير التعليم .

أما الشراكة فهى تفترض قبول اللغة العربية على ما هى عليه وذلك يمكن ترجمته على مستويين : الأول – وعلى عكس الرؤية الاستعمارية – يتعين الاقتناع بأن مستقبل اللغة الفرنسية فى العالم العربى هو إما أن تكون "اللغة الثانية " (ونستعير هذا المسمى من "سليم أبو" الذى درس بعناية هذا الاصطلاح) أو أن تكون أولى اللغات الأجنبية الثانية لكن دون أن تكون بأى حال من الأحوال بديلاً عن اللغة العربية . الثانى : يتعين أن يكون التعاون التربوى والتعليمى القائم من أجل تدعيم وجود اللغة الفرنسية مصاحباً بشكل أساسى لتعاون على المستوى نفسه مع معلمى اللغة العربية لأن الهدف المنشود هو تحقيق ازدواجية لغوية bilinguisme أو تعددية لغوية. Plurilinguisme أعلم جيداً أن هذا التوجه لن يرضى الذين يناضلون من أجل تحقيق فرانكفونية حصرية كما لن يرضى أنصار العروبة المنغلقين على أنفسهم. ويمكن لهذا التوجه أن يصطدم أيضاً داخل البلاد العربية مع فكر القائمين على تدريس اللغة الفرنسية والذين أحياناً – بل غالباً – يسعون للإبقاء على طابعها "التمييزى". من هنا لا يسع التطور سوى أن يكون تدريجيا على أن يتوافق مع التوجه الحتمى لتعاوننا الثنائى . ودون أن نحكم سلفاً على القرار السيادى الذى اتخذته السلطات الجزائرية فإننا سنساهم على هذا النحو فى خلق سياق مناسب لوجود أحد العناصر الفاعلة "للفرانكفونية العربية" داخل المنظمة الدولية للفرانكفونية .

يجب بالطبع أن يتم استبعاد كل ذلك عند التنفيذ وليس فقط على مستوى التعليم بل أيضاً على مستوى النشر والإعلام والترجمة ... وسوف نناقش هذا الأمر فى مؤتمر بيروت . ولكى أختم هذا الحديث التمهيدى سوف أتعرض لملاحظتين أخيرتين: الأولى تتعلق بـ " الفرانكفونية العربية " ولقد تعرضنا لما يعنيه هذا الاصطلاح على المستوى الواقعى وعلى مستوى المشاريع المتعلقة به . إننا لا نريد بهذا الاصطلاح أن نخلق تفريعات داخل الفرانكفونية على اعتبار أنها وحدة قائمة على التبادلية والتضامن والمشاركة . فإذا كان وضع اللغة الفرنسية داخل البلاد الأعضاء فى المنظمة فهو وضع خاص ومميز، وبالتالى فمن المستبعد تماماً أن نخلق نوعاً من الجزر المنعزلة داخل المجرة التى ننتمى إليها ، بل يتعين علينا أن نتخطى حواجز الفوارق بيننا لنأخذ بعين الاعتبار كل ما يجمعنا ويوحد بيننا ويبدو ذا أهمية.

أما الملاحظة الثانية فهى تعبير عن أسف ، فالقمة القادمة سوف تنعقد فى بيروت وهو بلد عربى يجاور بلداً آخر يواجه يوماً بعد الآخر المزيد من الأحوال المتردية . كيف ننسى أن نذكر تلك الأندلس التى عفا عليها الزمن بكل أسف والتى ولدت أحد المفكرين والمسئولين اليهود الأكثر عظمة فى عصره وهو " موسى بن ميمون " صاحب المؤلف الفلسفى الكبير " دليل الحيارى " باللغة العربية، والذى يعد جزءاً من مؤلفات عديدة له باللغة العبرية تلك اللغة المقدسة ، لغة الإنجيل، وهى اللغة الرسمية نفسها لدولة إسرائيل الحالية والتى من المفترض عضويتها فى منظمة الفرانكفونية ؟ وبعيداً عن تلك الفترات الصعبة من التعصب والرجعية التى عاشتها كل العصور بما فيها عصرنا الحالى فإننى أتمنى أن يكون اختيار من سبقونا للتعددية اللغوية وللتعايش بين اللغات المختلفة هو دليلنا أيضاً اليوم . لنتمنى سوياً أن نجد الطريق الذى يعيدنا إلى تلك الاستضافة الحميمة التى تعتبر رمزاً لا يمكن فصله عن مبدأ التعايش بين الطوائف والمجتمعات كما يعتبر أيضاً أملاً يشاركنا فيه العالم بأسره .

تمهيد
معانى الفرانكفونية

خطاب السيد" غسان سلامة " وزير الثقافة اللبنانى
بمناسبة اجتماع مديرى مكاتب شبكة
التعاون والعمل الثقافى فى باريس يوم ٢٣ يوليو٢٠٠١

إن الفرانكفونية وليدة وضع جغرافى ولغوى محض، وقد نشأت منذ حوالى قرن واتخذت شكل مجتمع اقتصادى وسياسى منذ حوالى ثلاثة عقود وهى تواجه اليوم منحنى كبيراً . إذن ليس من قبيل الصدفة أن تتجه أحاديثكم جميعًا نحو معنى الفرانكفونية فى عالم الغد ، وذلك فى إطار مفهوم أكثر اتساعًا لدور الأداة التعليمية والثقافية فى العلاقات الدولية المعاصرة . وسوف أحاول فيما يلى أن أشرككم فى رأيين أو ثلاثة من آرائى حول هذا الموضوع .

إن الفرانكفونية قد شهدت مراحل عديدة – وذلك بشكل متواز مع هيكلتها تدريجيا على المستوى المؤسسى – فيما يتعلق ببلورة وضعها الثقافى . وكانت نقطة الانطلاق هى مفهوم " الاستثنائية الثقافية" وهو مفهوم يتم النظر إليه اليوم – على حق – على أنه مفهوم دفاعى للغاية حيث لا يؤخذ فى الاعتبار أن هذا المفهوم يعرض الثقافة لأن تكون مسألة هامشية فى الوقت الذى يفترض فيه أن يجعل منها شيئًا رفيعًا يدخل فى بؤرة الاهتمام . ومن هنا ، ظهرت الخطوة الثانية التى رسخت فكرة " التعددية الثقافية " كاهتمام رئيسى للفرانكفونية . إلا أن التعددية ليست إلا رصداً لحال موجودة بالفعل وليست مشروعًا قابلاً للتنفيذ ، فضلاً عن أن هذا المفهوم يشتمل هو الآخر على خطر محقق ألا وهو تحنيط الثقافات وجعلها مجرد تراث يحفظ فى المتاحف بدلاً من

محاولة تهجينها بشكل ديناميكى من أجل تحقيق ازدهارها بفضل احتكاكها الضرورى بالاتجاهات وحركات التطور العالمية .

إن القمة التاسعة للفرانكفونية – التى ستسعد لبنان باستقبالها بعد ثلاثة أشهر(*) والتى حظيت بشرف تنظيمها، وهى مسئولية كبيرة – سوف تكون إذن خطوة جديدة للأمام حيث جعلت موضوع انعقادها هذه المرة هو " حوار الحضارات " . إن خط السير الذى رسمته المراحل الثلاث التى قادت المجتمع الفرانكفونى إلى بلورة القضية الثقافية تؤكد بشكل أساسى الميل إلى خلق تناول أكثر تفاعلاً بين الثقافات وإلى جعل طريقة تناول هذه الثقافة سيلاً متدفقًا وليس مجرد مخزون مقولب أو جامد لا يصلح إلا مادة لعلماء الأنثروبولوجيا الذين لا يبحثون عن الجديد. فمنذ ذلك الحين ، يجب ألا تظهر الثقافات على أنها مجموعات خارج نطاق الزمن ومحددة سلفًا ، بل يجب النظر إليها باعتبارها تركيبات تؤثر فيها العوامل الزمانية والمكانية فضلاً عن المؤثرات التى يحدثها تفاعلها مع بعضها البعض .

ذلك أنه عندما نتحدث عن حوار الثقافات لا ينبغى أن ننظر إلى هذه الثقافات على أنها عناصر فاعلة لها صفة عقلية خاصة بها وتتفاعل فيما بينها من أجل تحقيق مصالحها . إن القول بأن الثقافات لا تتحاور فيما بينها يرجع إلى نوع من توخى الحذر ، وهو مرض سياسى ومتعلق بمبحث العلوم فى الوقت نفسه ، وعلى الرغم من وظيفتى الرسمية الداعية لدفع هذا الحوار قدمًا فإننى لا أتوقف عن توخى هذا الحذر . فى الواقع فإن الرد على النقد– الجوهرى من وجهة نظرى بل والمبرر– حول نظريات " تصادم الحضارات " هو الاكتفاء بالدعوة إلى حوار الحضارات لتفادى تصادمها . إن هذا النقد من المفترض أن يصل إلى مدى أبعد من ذلك وأن يعارض الفكر المسبق والقائل بأن الثقافات تكتسب وجودها من كونها عناصر فاعلة على الساحة الدولية ، أى عناصر فاعلة يمكنها أن تتحاور أو تتصادم . إن العناصر الفاعلة يجسدها الرجال والمجتمعات وربما الحكومات ، فهى الجهات المنوطة بمثل هذه المشاريع ، بينما تمثل

(*) أى وقت إلقاء هذا الخطاب فى يوليو ٢٠٠١ .

الثقافات المنابع التى تنهل منها هذه العناصر الفاعلة لتحصل على القيم وأنماط الحياة الأساسية لتحديد الهوية والتى دائمًا ما تكون خاضعة لإعادة البناء والتشكيل . إن التفكير فى الثقافة على أنها عنصر سياسى فاعل يعتبر تشويهًا للثقافة بقدر ما هو تقليل من شأن السياسية . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الحوار ليس بديلاً للصراع بل إنه يمثل فى حد ذاته شكلاً من أشكال الصراع الذى يتطلب ممن يخوضه بجدية أن يحارب ذاته لكى يتقبل الآخر ولكى يرى غيرية الآخر شيئًا مشروعًا ولكى يتمكن من أن يغامر بأن يصيبه التحول على أثر احتكاكه بالآخر .

ويفرض هذا الحوار نفسه فى ظل المتغيرات الحديثة التى يعيشها عالمنا المعاصر . إننا اليوم لا نتوقف عند دراسة قضية العولمة وسبر أغوارها وتقييم الوعود التى تمنحها وقياس أخطارها . ويبدو لى أنه هنا تكمن مهمتنا التى يدعو إليها "حوار الثقافات" بحيث يضيف هذا الحوار شيئًا جديداً إلى الفرانكفونية فى ظل سياق شمولى تتسم به تحركاتنا الجماعية التى يتعين عليها من الآن فصاعدا أن تقبل بوجودها . ولا يوجد فى الحقيقة طريق أخرى غير حوار الثقافات من أجل إعلاء صوت النزعة الإنسانية التى تعمل الفرانكفونية آخر الإبقاء عليها ونشرها ، وكذلك من أجل مواجهة نزعة السيطرة التى تفرضها القوى العظمى فى مجال الثقافة والضوابط العامة أو التى تسعى لفرضها الروافد متعددة الأطراف التابعة لهذه القوى العظمى. وهذا الحوار الثقافى يعمل كذلك على مقاومة سيطرة آليات السوق على التراث الثقافى وعلى مواجهة الهوة الاقتصادية التى تزداد اتساعًا يومًا بعد يوم بين الشمال والجنوب وخاصة داخل كل من هاتين المجموعتين بسبب تفرق المعرفة وتشتتها .

يخيل إلىَّ أننا نعيش فى عالم لم تلق فيه الحربان الباردتان حق قدرهما حيث أصبحت الأيديولوجية شيئًا منقرضًا ، وفقدت الإستراتيجية بدورها جزءًا كبيرًا من سطوتها على العقول . ومنذ ذلك الحين ظهر أسلوبان فكريان متوازيان الأول هو منطق السوق من جهة والثانى منطق الثقافة من جهة أخرى ، وهما يعملان معًا بشكل ثنائى كغريمين لا يعرف أحدهما الآخر ، بل يقلل كل منهما من شأن الآخر ويزدريه . ونادراً ما

يعملان فى إطار متناسق كثنائى يكمل أحدهما الآخر . ومع ذلك فإن التوصل إلى طريقة واقعية وعادلة من شأنه أن يجعلها متكاملين ومتفاعلين أحدهما مع الآخر يعتبر من أكبر التحديات التى تواجه القرن الجديد ، يالها من إشكالية معقدة!

إن إشكالية اللغة ربما تكون إحدى أكثر النماذج التى تعبر عن محاولة الحفاظ على مفهوم التعددية الثقافية بالشكل الذى قمنا بصياغته معًا فيما سبق . وسأقوم فيما يلى بالتأكيد على بعض سمات هذه الإشكالية والتى تتعلق بشكل مباشر بصميم نشاطكم فى الخارج . فمنذ فترة لم تعد الفرانكفونية بالفعل مؤسسة تتعلق حصريا بمسائل الحفاظ على اللغة الفرنسية والنهوض بها . بالتأكيد تظل اللغةُ الفرنسية المعيار الأول الذى يشير إلى انتمائنا المشترك للفضاء والمحيط الفرانكفونى ، وجميعنا يعى بالطبع أن اللغة أولاً وأخيراً ليست إلا مجرد توجه يخفى وراء مداخله المختلفة العديد من الإشارات والرموز والقيم . إلا إننا إذا تحدثنا مراراً عن الفرانكفونية وعن مؤسساتها وعن الاشتراك فى استخدام اللغة الفرنسية أو عن دولة فرانكفونية بشكل جزئى أو كلى فإن ذلك يعنى إبراز فضاء به اختلافات فى درجة استخدام اللغة الفرنسية بل وفى طريقة استخدامها . إن هذه الملاحظة الغنية بالاحتمالات كانت نقطة مهمة بدأت على أساسها الفرانكفونية تعنى بطرح تساؤلات جديدة و بالاتجاه نحو تحركات جديدة تستطيع كل منها بفضل تفردها وحداثتها أن تثرى الفرانكفونية وتجددها .

إن علماء التاريخ الذين درسوا الحقب الطويلة الأمد يعرفون أن اللغات – مثلها مثل الحضارات – ينتهى بها الأمر إلى التلاشى إذا ما انغلقت على نفسها أكثر مما ينبغى . هل سيصبح متاحًا فى أحد الأيام أن يتم عمل حصر لكل الكلمات والتعبيرات والاصطلاحات القادمة من جميع الأنحاء والتى يتم استخدامها هنا من قبل من يتعلمون ويتحدثون الفرنسية فيساعد ذلك على تجديد اللغة وإعادة الشباب إليها ؟ إن الأمر هنا لا يتعلق فقط بمفردات اللغة أو تنويعها عن طريق استخدام الشارع لها بشكل مختلف ، لكن الأمر يلمس شيئًا أكثر أهمية يعود بنا فى النهاية إلى تصورات فكرية وأنماط إدراكية لما يحيط بنا . عندما قال " فيتنجشتاين " Wittgenstein إن " حدود كلماتى هى حدود عالمى " فإنه كان يريد أن يقول إن رؤية الواقع تزداد وضوحًا عند توسيع

نطاق مفردات اللغة . ربما يكون من قبيل الادعاء أن نفكر - لكن من المشروع أن نرغب فى تحقيق ذلك - فى أن تكون هذه الفرانكفونية الجامعة - Plurielle كما نسميها- قائمة على مبدأ التعددية الثقافية التى نسعى لأن تكون تعددية دولية .

ما الفرانكفونية إذن ؟ هل هى ناد يلتقى فيه محبو - بل كنت أود أن أقول عاشقو- لغة " راسين " Racine حتى يتبادلوا سعادة ولذة الاستمتاع باستخدام هذه اللغة ؟ سوف يكون هذا تعريف ما بعد السياسى يغلب عليه الحنين إلى الماضى أكثر من كونه تعريفًا واعدًا فيصبح متسمًا باليأس بدلاً من أن يكون فاعلاً نشطًا، حيث لا يوجد ما هو أسوأ من أن نجعل من الفرانكفونية مجرد ملاذ يحتمى به من لا يتحدثون بلغة شكسبير أولا يجيدونها ؟ أو هى على العكس تمثل حزبًا سياسيا يدعى العمومية ومعنيًا بالتصدى للفكر الواحد أو على الأقل لسيطرة فكرة اللغة السائدة ؟ إن ذلك ليس إلا تعريفًا يشوبه الادعاء أكثر من كونه تعريفًا طموحًا؛ إذ يقلص الثقافة ليجعل منها مجرد وعاء للسياسة الخارجية . هل الفرانكفونية إذن تجمع دولى تسيطر عليه بشدة صبغات ما بعد الاستعمار قامت فرنسا بخلقه من أجل تحقيق مصالحها بغية فرض تأثير مستمر لها فى الوقت الذى ينمو فيها هذا التأثير على أصعدة أخرى أو بغية إيجاد باب خلفى لتنويع أشكال الضغوط على العالم بعد تشكيل الاتحاد الأوروبى ؟ إلا أن هذا سيكون تعريفًا يتجاهل الطبيعة متعددة الأطراف للفرانكفونية والتى تزداد يومًا بعد يوم وهى طبيعة أساسية للغاية فى بناء هيكلها المؤسسى . فيما وراء البحار والمحيطات يأتى إلينا أحيانًا شعور بأن فرنسا لا تحب الفرانكفونية بالقدر الكافى، لكننا نعلم كذلك أن الأمر يتعلق بوجود قصور فى الرؤية أكثر من كونه تخاذلاً أو تنازلاً متعمدًا ، وأن الأمر مرهون أيضًا بعدم القدرة على معرفة أنه إذا ما كانت الشعوب التى تم استعمارها قد تمكنت فى جميع الأحوال من التخلص من عقدها الماضية ، فإن ذلك ليس دائمًا هو الحال فى عواصم المستعمرات السابقة .

أفضل من جانبى أن أرى فى الفرانكفونية " معملاً " يتم فيه اختبار العلاقات الدولية التى لا يسيطر عليها منطق السوق أو التى لا تتأثر بموازين القوى العسكرية أو التكنولوجية ، بل أراها مختبراً يتم من خلاله نقل المحاولات الناجحة للبلاد الفرانكفونية إلى المنظمات العالمية مثل اليونسكو أو الأمم المتحدة أو منظمة التجارة

العالمية ، وأفضل أن أرى فى الفرانكفونية بعد ذلك منبراً يتم التعبير من خلاله عن القلق والحرمان بل وأحلام بلاد الجنوب التى تشكل فى ظله فيلقًا متحداً فتشعر فى كنف هذه الفرانكفونية براحة أكبر من تلك التى قد تشعر بها فى ظل المنظمات الكبرى . وأخيراً أفضل أن أرى فى الفرانكفونية مدخلاً للحداثة ونقطة تطهير تقف عندها الدول التى يهددها إهمال الدول الكبرى بهدف الاستعداد للانغماس فى زوبعة العالم . ذلك لأن العالم كان بالأمس منقسمًا بسبب تكتلات أيديولوجية وإستراتيجية وأصبح الآن منقسماً بسبب منطق العولمة الذى يضع المتحمسين له فى مواجهة المهمشين ، وكل ذلك دون أن يفقد هذا المنطق نزعته اللاإنسانية . يمكن للفرانكفونية – بل يتعين عليها – أن تكون هذا المختبر وهذا المنبر وأن تشكل بصفة خاصة هذا المدخل للعولمة الذى يصبح فيه الانقسام أخف وطأة– هذا إذا لم يتم القضاء عليه بشكل نهائى .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار هذه الملاحظات أود الآن – إذا أتاح لى وضعى الحالى ذلك – أن أستعرض عمل المكاتب الثقافية الحكومية الفاعلة التابعة لفرنسا والمنتشرة فى الخارج. من حق فرنسا أن تفتخر بأنها تملك اليوم مجموعات من المراكز الثقافية الأكثر عدداً والأكثر تكاملاً فى العالم بأسره . أكثر من مائتين وعشرين مركزاً من هذا النوع تقوم بتدريس اللغة الفرنسية وبنشر الثقافة الفرنسية على مستوى العالم . وتتركز هذه الشبكة بشكل خاص حول حوض البحر المتوسط ، ويعود ذلك بالطبع لأسباب تاريخية . وبهذا الصدد يمثل المستشارون والملحقون الثقافيون الورثة الأغنياء لتاريخ قديم وثرى بدأ فى فرنسا نفسها من خلال بيوت الثقافة وفى الخارج من خلال المراكز أو المعاهد الثقافية أو المدارس أو فروع "الأليانس فرانسيز"(*) Alliance Française . ومع ذلك ففى هذا الوقت نفسه بدأت تظهر أزمة هوية خاصة بهذا التجمع . ذلك لأن العدة الثقافية التى جهزتها فرنسا فى الخارج تعيش نوعًا من التفاوت بين النوايا الحسنة والأعمال الفعلية وبين الأهداف المعلنة والموارد التى تمنحها . ومن هنا

(*) وهى تعنى " الرابطة الفرنسية" وهى عبارة عن رابطة تأسست فى فرنسا عام ١٨٨٣ بهدف نشر اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ، وهى أكثر المؤسسات اللغوية شهرة فى العالم فى مجال تعليم اللغة الفرنسية ، ولها فروع تغطى دول العالم.

تفرض قراءة التعديلات الجذرية والمتعلقة بالمناخ العالمى نفسها ، خاصة وأن هذا المناخ قد بدأ يأخذ شكلاً واضحًا منذ أكثر من عشر سنوات وسوف تتيح لنا هذه القراءة بعض العناصر التى تساهم فى إعادة الأمور إلى نصابها :

إن التغيرات المتعلقة بأنماط استخدام الثقافة سواء كانت تكنولوجية أو اقتصادية أو جيلية تسمح لنا بأن نرى أن خيارات المستقبل متجهة نحو المزيد من اللامركزية . و الاتجاهات الجديدة الخاصة بالتعلم وبنشر الثقافة تشير إلى أنه توجد حاجة متزايدة للاستثمار فى مجال التقنيات الحديثة بحيث تكون قادرة على مراجعة مسألة الاقليمية والمحلية الخاصة بالمراكز . وعلى حد قول سكان "الكيبيك" يجب أن تحل شبكة المراكز محل الحلقات المتناثرة ، وذلك بهدف إحداث ثورة فى الاتصالات ذات إيقاع أسرع وذات تأثيرات أكثر فاعلية من الثورة الصناعية ذاتها . إن ضغط الوقت واختزاله يحول المتفرجين إلى شهود عيان ، وتلاشى المسافات الفاصلة يحدث نوعًا من التقارب يولد إشكاليات جديدة. إن مراكزكم لن تستطيع تحقيق ذلك إلا بتحديد المجالات اللازمة وباختيار مناهج خاصة و أنماط خاصة بسير العمل .

إن المراكز الثقافية فى الخارج مطالبة بمهمتين مختلفتين : الأولى خاصة بالنهوض باللغة والثقافة الفرنسيتين من جهة . والثانية خاصة بالمساعدة فى مجال التنمية الثقافية المحلية وزيادة نتاجها . وبعيدًا عن التناقض والحصر فإن المطلوب هنا تحقيق توازن حساس لا يحدث إلا من خلال شراكة حقيقية ، أى شراكة متزايدة مع العناصر الفاعلة والمديرين والمسئولين الثقافيين المحليين . إن هذه المهام مرهونة بمدى تأثيرها على المجتمعات أكثر من اعتمادها عل علاقاتها بالسفارات التابعة لها ، وهذا هو معيار الحكم عليها . وهذا التأثير – حتى لو كان يحدث من خلال المجتمعات ولصالحها – لا يجوز أن ينسى الحكومات، خاصة

الحكومات المجاورة ، حيث قد يؤدى هذا النسيان إلى زيادة أعبائها ومشكلاتها الحالية، فربما تثير البيروقراطية أعصابكم لكن عليكم أن تعالجوها وتزيدوا من ديناميكية هذه الحكومات. فمحاولة تفادى هذه البيروقراطية بنوع من اليسر يجعلكم تصبحون شركاء لهذه الحركات الداخلية العالمية التى تهدد بتقويض مهمتكم .

من هنا ، سيكون لمسئول النشاط الثقافى مهمة مزدوجة ، ألا وهى تحسين لغته – كما هى العادة – وأن يجعل أيضًا من اللغة الفرنسية لغة وثقافة أى توجهًا يساعد على تحقيق الاندماج الجاد والديناميكى والودود مع العولمة . يتعين على هذه المراكز أن تجسد القيم التى تعلنها باسم الجمهورية وأن تساعد على عولمة الثقافات المحلية وبالتالى على تسهيل تعميمها ونشرها من خلال اللغة الفرنسية . وذلك لأن الانفتاح الصحى والآمن على العالم يستحدث تعاونًا جديدًا بل ووظائف جديدة أصبحت بالنسبة لشباب الجنوب هدفًا له الأولوية على ما عداه .

إن هذه الهموم التى تشاركوننى إياها هى ذاتها التى تجعلنى مرابطًا فى بيروت على رأس وزارة الثقافة التى مازالت فى بداياتها والتى تقوم تدريجيا ببلورة دورها وتحديد سبل تحقيقه . وأود أن أعرب عن أمنيتين لهذه الوزارة : أولاهما تحقيق لامركزية الثقافة من جهة . وثانيتهما تحقيق الديموقراطية. إن إنشاء وزارة للثقافة فى بلد مازال يلملم جراح الحرب يشكل مسئولية تكون أحيانًا مخيفة ؛ لأن هذه المهمة تتعلق بشىء جوهرى ألا وهو تشكيل " الأنا الجماعية " داخل مجتمع مركب وجمعى بشكل مذهل. إلا أن هذا هو بالتحديد ما دفعنى إلى أن أعبر عن هاتين الأمنيتين وأن أدعوكم لأن تحذوا حذوى فى هذا العالم الواسع الذى تتحركون داخله .

تصدير

بقلم : بطرس بطرس غالى

الأمين العام للمنظمة الدولية للفرانكفونية

كانت ندوة " الفرانكفونية والعالم العربى " التى عقدت فى معهد العالم العربى ـ بباريس يومى ٣٠ و ٣١ مايو ٢٠٠٠ هى نقطة البداية لحوار ممتد تعتزم المنظمة الدولية للفرانكفونية إقامته مع مجموعة من كبرى الجهات اللغوية والثقافية .

ذلك لأن حوار الثقافات هذا سيكون الموضوع المحورى للقمة التاسعة لرؤساء الدول والحكومات التى ستنعقد فى بيروت فى أكتوبر ٢٠٠١ ، وسوف يشكل لمجموع المجتمعات فى زمن العولمة رهانًا اقتصاديا وسياسيا فضلاً عن كونه رهانًا ثقافيًا . إننا نعلم فى الواقع أن الاعتماد المتبادل على الآخر بين الرجال والمجتمعات والأماكن المختلفة قد أصبح هو القاعدة . وذلك يمتد بالتالى ليصبح تغيير علاقاتنا بالعالم أمرًا جذريا بل ليصبح نمط حياة يجمعنا سويا . وعلينا معرفة ما إذا كنا نريد أن يحدث ذلك سواء لبعضنا مع البعض الآخر أو لبعضنا دون البعض الآخر أو لبعضنا ضد البعض الآخر . علينا معرفة ما إذا كنا نريد أن تسود سياسة " كل لذاته" والتى ستتحول بالتأكيد إلى مواجهة اجتماعية وثقافية ، أو أن تسود سياسة " الخير المشترك للجميع " القائمة على روح التضامن والتعاون فى ظل احترام الهويات .

وقد سادت هذه الروح بوضوح عند تنظيم الملتقى الأول لممثلى الفرانكفونية والعالم العربى . وكان من الطبيعى الدعوة لهذا الملتقى سواء آجلاً أو عاجلاً بما أن سبع حكومات من المشاركين فيه أعضاء فى جامعة الدول العربية وفى المنظمة الدولية

للفرانكفونية فى الوقت نفسه ، وعلاوة على ذلك بسبب العلاقات المركبة والعريقة التى تربط ضفتى البحر المتوسط . إن النقاشات المختلفة قد أظهرت بالفعل أن أمامنا مجالات غنية بالإمكانات التى يمكن تنميتها سواء فيما يتعلق بتعليم اللغة الفرنسية واللغة العربية أو باستغلال تقنيات الإعلام والاتصال وبنشر الثروات الثقافية فى مجال الأدب والأغنية والسينما مع الأخذ فى الاعتبار أنه لن يكون هناك حوار حقيقى دون وجود مبدأ متفق عليه قائم على التبادلية والمساواة فى المبادلة .

ويقع الآن على عاتق الشركاء العديدين أن ينفذوا التوصيات التى يتم اعتمادها خلال الدوائر الأربع المستديرة ، وأن يحددوا بذلك الطريق إلى المستقبل ، وهو مستقبل تم تصوره وفقًا لشعار التفاهم المتبادل والإثراء المتبادل ، وذلك هو الضمان الوحيد لإقامة حضارة أكثر ديمقراطية وأكثر تضامنًا وأكثر هدوءًا وسلمًا . أصبح هذا العدد من كراسات الفرانكفونية منذ الآن عاملاً مساهمًا فى تحقيق هذا الهدف لدى المنظمة الدولية للفرانكفونية بعد أن وضع المجلس الأعلى للفرانكفونية تصورًا لها وقام ببلورتها، وتدعونا هذه الكراسة إلى تحقيق المزيد من الثراء فى تفكيرنا وتحركنا .

الفصل الأول

الاندراج داخل الزمان والمكان

الفرانكفونية العربية كمستقبل آتى

بقلم : سليمان بن عيسى

مسرحى وممثل وكاتب

وعضو المجلس الأعلى للفرانكفونية

طرح علىَّ العديد من المشاركين فى المؤتمر الذى عقد حول " الفرانكفونية العربية " فى ٢٧ فبراير ٢٠٠١ السؤال التالى وهم فى حالة من الدهشة : ما الفرانكفونية العربية ؟ صحيح أنه لم يكن من السهل الإجابة عن هذا السؤال ونحن محبوسون داخل قاعات المؤتمر ولا فى أثناء فترات الراحة والغذاء بين الجلسات لكننى أنتهز اليوم فرصه صدور العدد العاشر من " كراسات الفرانكفونية " لكى أستعرض وجهة نظرى حول هذا الموضوع .

أعتقد أن أكثر ما يضفى على كلمة " فرانكفونية عربية " معنى أعمق هو تاريخ نشأة هذا الاصطلاح أكثر من تركيبه اللغوى . وأود أن أقدم المزيد من الإيضاح حوله ، فاصطلاح " فرانكفونية عربية " قد استحدثه لأول مرة عام ١٩٨٣ فى الجزائر العاصمة السيد " ستيليو فاراندجيز " Stélio Farandjis أمام السيد عبد المجيد مزيان وزير الثقافة الجزائرى آنذاك ولمعرفتى بكليهما أستطيع أن أتخيل كيف كان لقاؤهما . لقد انطلق هذان المسئولان فى مناقشة يطلق عليها العالم الدبلوماسى اسم " مباحثات " وكانت تدور حول حوار الثقافات وكان السيد عبد المجيد مزيان يتسم فى آن واحد بالحذر الشديد وبالدبلوماسية المعهودة فى بلاد الشرق عندما قال بأن الفرانكفونية ليست إلا تعبيراً عن يأس استعمارى فى حين أجابه السيد فاراندجيز قائلاً بالاقتناع والمثابرة نفسيهما محاولاً إخفاء نبرة الحدة التى كانت تشوب صوته بأن الفرانكفونية

قد تمثل أملاً للمستقبل . كان السيد مزيان متشككًا آنذاك بينما فسر السيد فاراندجيز هذا التشكك بأنه معارضة للفرانكفونية بينما كان التشكك متعلقًا ببساطة بالآفاق المستقبلية . وكانت نتيجة ذلك فقدان خط المناقشة التى ابتعدت بعيدًا وانتهت بالصمت .. لقد فقد الشاى سخونته وفتر النقاش ... ونظرًا لمعرفتى الجيدة بالسيد فاراندجيز فقد كان المنتظر ألا يترك هذا اللقاء لينتهى على هذا النحو ، فإذا به يقف أمام السيد مزيان لحظة انصرافه وهو يصافحه ويصوب النظر إليه ويدعوه قائلاً :

ما رأيك فى " الفرانكفونية العربية " ياسيادة الوزير ؟

فما كان من السيد مزيان إلا أن جلس ليستمع إلى المزيد بينما ظل "فاراندجيز" واقفًا . لم يكن لدى فاراندجيز ما يقوله عن هذا الاصطلاح الذى ابتدعه لتوه فقد استطاع أن يخلق مستقبلاً بأكمله من خلال كلمة ويبقى أن يدخل هذا المستقبل حيز التنفيذ .

هكذا تولد الكلمات فى ظل ظروف تستدعى شيئًا من الإيضاح . وسيلزم وقت طويل لكى يتم استثمار هذا المعنى الذى تحمله الكلمات وهذا هو ما نحاول تحقيقه .

توجد فى الجزائر أربع لغات عامية أو لهجات تتعايش مع بعضها البعض وتتداخل كل يوم وهى :

لغة البربر وهى اللغة الأصلية لبلاد المغرب كلها ويستخدمها اليوم ما لا يقل عن ربع السكان فى الجزائر .

اللغة العربية العامية وهى لغة التداول التى يستخدمها تقريبًا كل الجزائريين .

ولغة البربر واللغة العربية "العامية" لغتان شفهيتان وليست أىٌّ منهما لغة كتابة على الرغم من أن لغة البربر كانت فى الأصل كذلك ولو بشكل محدود .

أما اللغتان المستخدمتان فى الكتابة فى الجزائر فهما العربية الفصحى واللغة الفرنسية ولكن لا تمثل أى منهما اللغة الأم لأى

شخص فى البلاد ؛ وبهذا أصبحت كل من اللغتين بمثابة لغة أجنبية بشكل إرادى . لقد ظهرت اللغة العربية فى الجزائر مع ظهور الاتجاه الإسلامى بينما ظهرت اللغة الفرنسية مع قدوم الاستعمار ، فأصبحت الأولى لغة الدين بينما تمثل الأخرى لغة الدنيا .

ونرى على الفور أن الكتابة مرتبطة فى الجزائر تاريخيا بالقهر مما سيولد تعقيداً منذ البداية فى علاقة الفرد بالكتابة ، فأصبحت الكتابة باللغة الفرنسية خيانة ولو بشكل غير واع فى حين تمثل الكتابة باللغة العربية التدنيس والابتعاد عن القداسة . إذن فاللغات الأربع موجودة وتنقسم بين الشرعية والسلطة من جهة وبين القداسة والتدنيس من جهة أخرى ، وهى تعيش فى الوقت نفسه مستويات مختلفة من الصراع بين الشفاهة والكتابة . وينبغى أن نضيف أن السلطة تقسم هذه اللغات إلى أقسام (بالمعنى المعروف فى علم الرياضيات) وأن نقاط الالتقاء بينها لا تذكر فى الوقت الذى تتداخل فيه بالفعل فى الحياة اليومية . إن هذا الوضع المعقد يجعل واقع الحياة فى الجزائر يدفع بالمواطن الجزائرى إلى استخدام أربع لغات وإلى معايشة أربع ثقافات واتخاذ أربعة مواقف ذهنية مختلفة حتى يتمكن من أن يعيش بشكل متكامل داخل بلد واحد .

إن الذين يجيدون اللغات والثقافات الأربعة لا يمثلون على الأرجح سوى ١٠٪ من السكان ، وهم يشعرون من جانبهم أنهم يعيشون أربعة أماكن من المستحيل الجمع بينها ومحاولة التوفيق بينها شىء لا تستطيع الأغلبية إدراكه. وقد أدى هذا الوضع- علاوة على أسباب أخرى - إلى ظهور العنف فى الجزائر، حيث لم يتضمن أى قطاع من النشاط الاجتماعى وجود الآخر لأن كل قطاع لا يربطه بالآخر التعبير نفسه فظل كل منهم بالتبعية خارج نطاق المقارنة . وهكذا أصبحت العربية قاصرة على الدين وعلى المقدسات بينما اقتصر استخدام اللغة الفرنسية على الاقتصاد والإدارة والعلوم والأمور المالية . أما فيما يخص اللغة العربية العامية ولغة البربر فإن استخدامهما سائد فى التعاملات اليومية وداخل الأسرة . وقد أدى ذلك إلى وجود بلبلة وعدم ارتياح فيما يتعلق بمسألة الهوية . إلا أن ذلك لا يعنى أن المواطن الجزائرى ليست له هوية لكن يعنى ذلك أن ما يمثل القاعدة التى تشكل هويته يتم التعبير عنه بأربع لغات دون أن

يكون لإحداها الأفضلية على الأخرى . وفى الوقت الحالى من الصعوبة بمكان أن تتحقق هذه التوليفة بين اللغات الأربع بشكل جاد ، فكم من المرات سمعت جزائريين ناطقين بالفرنسية يقولون : " ماذا يريد هؤلاء العرب الأصوليون ؟ " وكم من مرة سمعت المتحدثين بالعربية يقولون بأن الناطقين بالفرنسية عملاء لفرنسا . من الصعب لأى ناطق بالعربية أن يتصور إمكانية حب الجزائر باللغة الفرنسية ، ومن الصعب للناطق بلغة البربر أن يتصور إمكانية حبها باللغة العربية كما أنه من الصعب لأى ناطق بالفرنسية أن يتصور إمكانية حدوث تطور باستخدام اللغة العربية . هكذا ينتهى الأمر إلى أن كل منهم ينظر للآخر على أنه عدو حقيقى للبلاد وذلك سبب كافى لإقناعهم بشن الحرب ضد بعضهم البعض . إن الحرب الجزائرية اليوم تجد فى جزء كبير منها تفسيراً لها من خلال حرب اللغات الشغوفة بغزو المكان ثقافيا أكثر من تفسيرها على أنها حرب دينية . ذلك لأن الأصولية فى النهاية قد اعتمدت على مقابلة الكتابة الإلهية بالحضارة المكتوبة للعالم الغربى . فبالنسبة للأصوليين لا يوجد نص مكتوب سوى القرآن و فى اتجاهنا نحو عالم الكتابة سنجد أنفسنا حالياً أمام خيار واحد لا يعتبر خياراً فعليا حيث يتعين علينا أن نختار بين الفرنسية ولغة القرآن .

بالنسبة لأبناء جيلى تعتبر الكتابة فى الجزائر قبل كل شىء حلا لإشكالية الكتابة داخل مجتمع لا تمثل فيه تلك الأخيرة جزءاً من العادات الثقافية. إن الكتابة شىء لا يمكن تصوره من منظور الاستمرارية الثقافية لذلك ظلت شيئاً يتعين ابتداعه وخطوة لا يمكن إلا أن تكون تاريخية .

و من جانبى فأنا أرى أننى شخص ثلاثى الثقافة؛ فثقافتى تشمل ثقافة البربر والثقافة الفرنسية والثقافة العربية، إن لغتى هى التعددية " وبيئتى الثقافية هى الخليط الذى شكلنى" وكلمتى ليست سوى توليفة تعبر عن الثقافات الثلاث . هكذا أعتبر نفسى ابن التاريخ وليس ابن والدى . إن والدى يمثلان العناصر البيولوجية التى أدت إلى وجودى أما وجودى الثقافى فقد نشأ فى مكان آخر غير مكانى الأصلى . لقد تحول التاريخ إلى نوع من المكان الصالح للتحليل النفسى ساعدنى على ترسيخ التعددية التى أعيشها ، فالتاريخ هو المبرر والعلة لامتلاكى أداتى ألا وهى اللغة ، والتاريخ هو

أيضًا منبع وحجة اكتسابى لهويتى . إن هذا التاريخ يعبر كذلك عن الشخص المهجن الذى يعرف لغات عديدة دون أن تعرفه أى من هذه اللغات . إن هذه الأعماق البعيدة هى التى جعلتنى أواجه المأساة التى ضاعفت منها مأساة الكلام ، فالتاريخ هو الذى أخذ بيدى والذى قادنى نحو هذه المآسى التى أكتبها . وبذلك " فرض المسرح نفسه على باعتباره مكانًا للنوع وكذلك مكانًا للكتابة" .

هكذا يولد الكتاب . بعضهم ينشأ فى ظل استمرارية تاريخية واجتماعية تتسم بالرخاء والبعض الآخر ينشأ مثلى فى ظل تخبط التقاطعات التاريخية . إلا أن المهجن هو النتاج الذى صنعه التاريخ الحديث لشعوبنا التى شكلها تعاقب الاستعمار وجلاء الاستعمار . فالمهجن هو الابن الشرعى لهذا التاريخ الحديث . لكن ينكر المتزمتون هذا المهجن ويعلنون الحرب عليه ويقصونه عن حدود المدينة بينما تمثل له تلك الأخيرة بطابعها المعمارى وجمالها ونمطها رمزًا ونتاجًا لهذا التهجين . عندما نحاول فى بلادنا أن نطهر التاريخ عن طريق إنكار البعد الفرانكفونى فى الوقت الذى تزدهر فيه الفرنسية على أرض الواقع فإننا بذلك نعتبر كل منا مستعمرًا متأخرًا . يتعين على السلطات أن تقر بتلك التعددية الواضحة للشعوب وأن تتعلم تقبل الآخر على اختلافه وخاصة أن تتخطى تلك الحدود التى لا تمثل تهديدًا للسلام .

هكذا أصبحنا نحن المثقفين الجزائريين الناطقين بالفرنسية مهمشين ومنبوذين منذ ثلاثين عامًا . لقد ساعد التواطؤ الخفى بين الحكومة والإسلاميين على تركنا بمفردنا فى مواجهة الجلادين القادمين من كل الآفاق كما لو كان قد صدر حكم بإدانتنا من قبل جبهة التحرير الوطنية ويتعين عندئذ على الإرهابيين تنفيذ الحكم .

لذلك عشنا نحن المثقفين حكمًا بالنفى المزدوج أيا كان المكان الذى نتواجد فيه وكانت جريمتنا الوحيدة هو رغبتنا فى أن نكون همزة وصل – بسبب ثقافتنا المزدوجة – بين الشعوب عبر البحر المتوسط بفضل الفرانكفونية العربية التى نتسم بها . إلا أن المحظورات أكثر شدة على جانبى البحر المتوسط فيما يتعلق بهذه القضية خاصة وأن الشمال منشغل الآن بأموره الخاصة به ، وأن الجنوب قد فقد بشكل عام الشمال بكل معانى الكلمة .

إننا نرى جيداً إذن إن الجزائر تجد صعوبات فى معايشة الفرانكفونية بقدر صعوبات معايشه الفرانكفونية العربية وذلك بسبب إطار لغوى بربرى يمثل الأصل والمنشأ الذى لم يتم النهوض به . ربما يكمن الخلاص للجزائر فى الفرانكفونية العربية لكن مع القبول الجاد للغتين العربية والبربرية .

الروابط بين الطوائف المختلفة على أرض الإسلام اليهود والمسلمون فى المغرب فى الفترة المعاصرة

بقلم : محمد كنبيب

Mohamed KENBIB

مستشار بسفارة المغرب فى باريس ، جامعة محمد الخامس ، الرباط

استطاع عدد لا بأس به من المراقبين المهتمين بملاحظة التغيرات التى تحدث أمامهم أن يرصدوا فى وقت مبكر تورط عملية توحيد الثقافات على مدى طويل أو قصير وارتباطها بالتوسع الاستعمارى كما لاحظوا عملية نشر النموذج الغربى وتوسيع نطاقه . وكان من بين هؤلاء المراقبين " بيير لوتى" Pierre Loti وهو أحد أكثر الكتاب الذين ساهموا فى التعريف بالمغرب فى فرنسا فى نهاية القرن التاسع عشر.

وعلى غرار " أوجينى دى لاكروا" Delacroix Eugène وقبل عصره بنحو ستين عامًا سحر المغرب بطبيعته الأثرية وبسكانه اللذين يتنسمون عبق الماضى، مؤلف "ازياده" و"صائد المورة" و "السيدة كريسانتام" و "المسحورات". لقد اعتقد هذا المؤلف أنه– كما يحدث فى بكين أو الهند أو جزيرة "باك" – الشاهد الأخير على عالم فى طريقه إلى التلاشى فاختتم كتابه "فى المغرب" عام ١٨٨٩ بدعاء قال فيه : "أيها المغرب المعتم، امكث طويلاً ... دون أن تخترقك البدع، أدر ظهرك لأوروبا وابق محتميًا داخل الأشياء الماضية... استكمل حلمك القديم حتى يظل هناك بلد أخير يقيم فيه الرجال صلواتهم... وليحفظ الله للسلطان تلك الأماكن

التى ينفرد فيها بذاته والمفروشة بالورود ، وليحفظ له صحراواته المزينة بزهور السوسن والزنبق..." (١)

من الأشياء التى يسعد الأوروبيون بالإشارة إليها دائمًا فى تاريخ المغرب التواجد اليهودى فى القرنين التاسع عشر والعشرين، فمنذ أكثر من ألفى سنة واليهود ينتشرون بالفعل فى مجمل أراضى الدولة و يشكلون قوة قوامها نحو مائتين وخمسين ألفًا قبل عام ١٩١٢ مما جعل منهم عنصرًا أساسيا فى المجتمع . مثلهم كمثل باقى المجتمع المغربى الذى يتشكل أساسًا من البربر (صنهاجة وماسمودا وزينيت)، والعرب (الهلايلة وآل عقيل)، والأندلسيين ، والزنوج القادمين من الصحراء الأفريقية ، ومن أحفاد اليهود (البلديين)، ومن المسيحيين (العلوج) الذين أسلموا ، لا يمثل اليهود وهم الأقلية الدينية والعرقية الوحيدة غير المسلمة جبهة متكتلة ومتجانسة. إن "التوشافيم" أى اليهود الأصليين الذين استقروا بشكل خاص فى جبال أطلس وعلى هوامش المناطق المجاورة للصحراء منذ قديم الأزل، والذين تعددت تفاعلاتهم مع البيئة التى يعيش فيها البربر، وكذلك "المجوراشيم" الذين طردوا من شبه الجزيرة الأيبرية بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢، وهما المجموعتان الأساسيتان اللتان شكلتا المجتمع اليهودى فى المغرب، ويضاف إلى كل منهما "الماران" (وهم اليهود الذين آثروا الانتماء الظاهرى للمسيحية) وكانوا قد فروا من البرتغال وإسبانيا ليمارسوا جهرًا عقيدتهم وعقيدة أجدادهم.

وبالرغم من مصادفات التاريخ فإن أسس الروابط بين مختلف الطوائف (بما فيها من شعور بالانتماء للمغرب ومن الترابط بين اللغات واللهجات المختلفة والتكامل

(١) أوجينى دى لاكروا : "إن هذا الشعب كل ما فيه عتيق... إن هذا التباسط فى كل شىء به سمة من سمات الجمهورية... فالناس يتجولون فى الشوارع وكأنهم شخصيات قنصلية، نجد شخصيات تشبه الشخصيات الأسطورية أمثال "كاتون" Caton و "بروتس" Brutus ولا ينقصهم حتى ذلك الإحساس بالتعالى الذى يتعين أن يتصف به سادة العالم ... إنهم يشعرون بالرضا نفسه الذى يشعر به "شيشرون" Cicerone وهو جالس على كرسيه العاجى. إن العالم الأسطورى لا يفوق هذا المجتمع فى شىء، إن سمات هذا الإقليم ستظل حاضرة دائمًا أمام عينى وسيظل رجال هذا الجنس يتحركون فى ذاكرتى فقد وجدت بالفعل من خلالهم الجمال التاريخى والأسطورى " . انظر كتاب " لوبيل R.Lebel بعنوان "الرحالة الفرنسيون فى المغرب. الأغرابية المغربية فى أدب الرحلات" ، باريس ، ١٩٣٦ ، ص١١٥ .

الاقتصادى والتشابه فى بعض الطقوس التى ترجع إلى الدين الشعبى...) رغم ظهور هذا التفاعل فى الحياة اليومية (خلال التعايش والتبادلات التجارية والجمعيات الزراعية والمقدسات المشتركة...) فقد ظلت ثابتة لا تتغير منذ قرون. إلا أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت هذه الأسس تقوى، بل كان الشعور بقوتها يزداد بشكل لا يقبل الشك، فقد حدثت تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية بل و"ثقافية" فى البلد جراء الضغوط متعددة الأشكال والصور التى مارستها أوروبا على البلاد للتعجيل بفتحها وجعلها تابعة لها. فضلاً عن ذلك فقد كانت للعنصر اليهودى الأصلى فى البلاد مكانة خاصة ودور مهم فى سياق هذه العملية. وقد قام ذلك فى جزء منه على أساس الخبرة التى اكتسبتها القوى العظمى فى المشرق خاصة فرنسا وبريطانيا العظمى وذلك فى مجال تعبئة وتجنيد الأقليات غير المسلمة فى الإمبراطورية العثمانية.(١)

وقد كان هذا "الخيار" فى جزء منه مرتبطًا بالدور التقليدى لليهود المغاربة فى التبادلات الموجودة مع أوروبا . فقد كانت التجارة البحرية فيما بين القرنين الخامس عشر وبداية القرن العشرين عملاً مقصورًا عليهم بشكل أو بآخر ، فقد كانوا يحتكرونه عمليا وغالبًا بصفتهم "عمال الإمبراطور" أو "تجار الملك"، وكانوا يستفيدون من كل أشكال الامتيازات والميزات. لقد كان "دخولهم" على البلاط الملكى بجوار الوزراء والحكام والقادة يقربهم من قناصل وسفراء الدول الأجنبية الذين كانوا يجعلون منهم حلفاءً لهم ، حتى إن السلاطين كانوا يعهدون لبعض العناصر منهم بمهمات دبلوماسية عديدة (فضلاً عن شراء السلاح).

وقد بلورت أوروبا وطورت "خطابًا" خاصا بهذا الشأن ركزت فيه على فكرة أن هذه البلاد مازالت "همجية" و "مناهضة للتقدم" فى حين يستطيع اليهود المساعدة فى انفتاحها على "الحضارة" . ولقد كان لليهود فى الواقع دور مهم فى التاريخ حيث مثلوا خطوة مهمة نحو الحداثة. وعلى سبيل المثال فقد كانوا هم أول من أدخل الطباعة فى القرن السادس عشر من البرتغال إلى البلاد . وعلى مستوى أكثر عمومية يعود

(١) محمد كنبيب، "يهود ومسلمون فى المغرب ، ١٨٥٩ – ١٩٤٨ . مساهمة فى التاريخ للعلاقات بين مختلف الطوائف على أرض الإسلام"، الرباط ، ١٩٩٤ .

إليهم الفضل فى تدريب الشعب على عادات "استهلاكية" جديدة مثل الشاى والأقمشة القطنية والبزة الغربية وماكينة الخياطة ولمبة الجاز والتنسيق الداخلى للمنازل على الطريقة الأوروبية فضلاً عن تعلم اللغات الأجنبية (خاصة اللغة الفرنسية). وكانوا كذلك رواداً فى مجال الصحافة ؛ فقد أدخلوا جرائد جديدة فى طنجة وعملوا فى العديد من الصحف فى تطوان والدار البيضاء مثل "صحوة المغرب" و"الحرية" و"المستقبل المصور" و "الوحدة المغربية"...

ومن بين الوسائل التى تم استخدامها لتأمين "انفتاح" البلاد منح اليهود بالذات، وخاصة الذين ينتمون للطبقات العليا فى طوائفهم، ضماناً خاصاً لحماية أتباعهم وإخوانهم وقد تحقق هذا الأمان على مستويات عدة منها الحصانة القضائية والضريبية وجعلهم فى وضع من يعيشون خارج البلاد أمام "المخزن" والعدالة الشرعية [١] .

وكانت هذه المزايا تمثل استغلالاً ممتداً اختص به رعايا السلطان وكانت هذه الامتيازات يتم منحها أصلاً لرعايا الدول الأجنبية فقط والمقيمين فى البلاد، وقد كان ذلك عاملاً جديداً أسهم فى خلق نوع من التوتر فى الروابط بين الطوائف المختلفة فى البلاد. ذلك لأن هذه الامتيازات كانت تستثنى "أهل الكتاب" الذين كانوا يعتبرون حتى ذلك الحين "ذميين" من الخضوع لحكم المخزن والشرع وجعلت منهم "محميين"، مما جعل بعض المسلمين المكبلين بالديون يلجئون إليهم راجين الاستفادة من وضعهم ومن قربهم من القناصل والوزراء الأجانب حتى يحصلوا على تسهيلات من "السمسار" أو "الضامن الزراعى" أو يتم إعفاؤهم من الضرائب أو من الخروج إلى البعثات العسكرية "الحركة" . أصبحت الضغوط الضريبية و الضرائب الأخرى عبئاً يثقل كاهل الفلاحين المطحونين مما أدى إلى حدوث العديد من حركات التمرد المسلحة التى تضاعفت فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

إلا أن مشاركة "المحميين" اليهود والمسلمين فى تسهيل الدخول الأجنبى إلى البلاد لم تكن تخلو من بعض الالتباسات، فبالرغم من حصولهم على مميزات مهمة ساعدت

(١) محمد كنبيب ، "المحميون . مساهمة فى التاريخ المعاصر للمغرب."، الرباط ، ١٩٩٦ .

على نمو ثرواتهم و إعطاء تجارتهم البحرية دفعة جديدة وأبعاداً كبيرة وبالرغم من تمتعهم بامتيازات ضريبية فإن كليهما ظل وسيطاً إجباريا بين أوروبا والسوق المغربية. ومن هنا كانت السطوة الأجنبية المباشرة على البلاد تمثل تهديداً لهم على جميع الأوجه. ومن هنا ألزموا أنفسهم بتشجيع السلطان على مقاومة الضغوط الأوروبية وعلى تحرير التجارة الخارجية تماماً .

وبهذا الصدد أشار الوزير الفرنسي فى طنجة ومن خلال مذكرة رفعها إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٧ مايو ١٨٨٦ خصصها لما أسماه "اللغط الكبير لليهود" و"تواطؤهم" مع العلماء المناهضين لرفع كل القيود عن الصادرات من الحبوب والمواد الزراعية الأخرى، وقد جاء فى المذكرة ما يلى : " إن السلطان مذعور بسبب عواقب التدخلات الأوروبية فى تركيا وفى مصر ... إنه يستخدم نداء الشعب سلاحا دفاعيا ضد الأطماع الأوروبية ... لقد استدعى المحافظون الأعيان إلى المساجد ليعرضوا عليهم مطالب (القوى العظمى) الخاصة بتصدير الماشية والحبوب. إن الشعب مستعد للجهاد وللتضحية بكل نفيس ... ويوجد (بهذا الشأن) توافق بين المسلمين واليهود لحماية مصالحهم المشتركة".

وتعد المدرسة إحدى المحطات مهمة نحو التقدم ضمن التى اهتم بها العنصر اليهودى. فقد تم إنشاء شبكة مدارس تقدم عملية تعليمية تتسم بالحداثة وذلك باللغة الفرنسية عام ١٨٦٢ وقد اضطلعت بها الإليانس (أى الرابطة) الإسرائيلية العمومية AIU (وهى جمعية تم تأسيسها فى باريس عام ١٨٦٠ على يد شخصيات إسرائيلية بارزة منها "أدولف كريميو" Adolphe Crémieux) . وقد كان لهذا التعليم تأثيراً هائلاً على السلوكيات والأفكار السائدة فى مجتمع اليهود. إن المستفيدين بهذا النظام التعليمى، والذين كانوا فى معظمهم من بيئات متواضعة يعيشون بالكاد على الأعمال الحرفية والتجارة الجوالة؛ قد تأثروا بشدة بالثقافة الفرنسية .

لقد انفتحوا على الأفكار والقيم التى نقلها لهم المعلمون الذين كانوا يشعرون أنهم يؤدون أيضاً مهمة تبشيرية على اعتبار أنهم - وفقاً لمعطيات ذلك العصر- كانوا يعملون على النهوض بأخلاقيات مواليهم من اليهود تمهيداً لدمجهم داخل المجتمع

الفرنسى إذا ما نجحت احتمالية دمج المغرب داخل "الشمال الأفريقى الفرنسى". وقد انتهى بهم الأمر بالشعور بنوع من "الغربة" تجاه بيئتهم الاجتماعية والثقافية المعتادة (سواء كانوا يهوداً أم مسلمين) وبالشعور بأن فرنسا هى وطنهم الذى تبناهم (١).

وبعد فرض "الحماية"، عبر "المتطورون" الإسرائيليون بوضوح عن تطلعهم نحو التطبيع الفرنسى (أو الإسبانى فى منطقة الشمال) متذرعين تارة بثقافتهم الفرنسية وبالخدمات التى قدمها مواليهم فى الدين لفرنسا قبل عام ١٩١٢ وتارة أخرى بالسابقة التى كان يمثلها لهم قانون "كريميو" (١٨٧٠) الخاص بتطبيع اليهود الجزائريين بأعداد مهولة وبالخدمات التى حصل عليها أقرانهم من يهود تونس. وقد أعدوا لهذا الغرض حججاً ترتكز على فكرة أن اليهود المغاربة لم يكونوا سوى "مجرد محميين شرعيين للسلطان" وأنهم قد عاشوا دائماً وفقاً لقوانينهم بمنأى عن الأغلبية المسلمة وأنهم أصبحوا بذلك مشردين بلا وطن (عديمى الجنسية).

وفى المقابل كان شباب المسلمين يترددون منذ عام ١٩١٢ على المدارس الفرنسية الإسلامية وعلى المدارس التى أسسها نظام "الحماية". وأصبحوا هم أيضاً مشبعين بالثقافة الفرنسية ومستجيبين لقيم الحرية والمساواة التى جاء بها النظام التعليمى الذى تلقوه. إلا أنهم لم يكونوا يرغبون فى التخلى عن مغربيتهم بل سارع بعضهم – ممن أسماهم المندوب السامى " شباب مشاغب "- بالمشاركة فى معركة السياسة. وقد طالبوا فى بادئ الأمر (أى مطلع الثلاثينيات) بالالتزام بالاحترام الحرفى لمعاهدة الحماية وبالتالى بمشاركة المغاربة فى إدارة أحوال البلاد. إلا أنه عندما لم تثمر هذه المطالب عن شىء اتجهوا إلى الأصولية وطالبوا بالاستقلال (منشور ١١ يناير ١٩٤٤).

وفى خضم هذا الصراع السياسى اتبعوا مبادئ وعناصر نابعة من الثقافة الفرنسية ذاتها مما كان له دلالات قوية. هكذا حاولوا فى بداية حركتهم تقديم مسرحية للكاتب الفرنسى "موليير" فى نهاية العشرينيات وهى مسرحية "تارتوف" Tartuffe وذلك

(١) مايكل لاسكييه Laskier Michael، "الرابطة الإسرائيلية العمومية والجاليات اليهودية فى المغرب، ١٨٦٢ – ١٩٦٢" نيويورك، دار نشر " ألبانى"، ١٩٨٣ .

للسخرية من المتدينين المسلمين المدعين خاصة هؤلاء العلماء الذين استخدمهم "المندوب السامى" لمساندة نظام "الحماية" (١) .

وعلى مستوى التداخل مع الطوائف الأخرى فقد اتسمت جهودهم بمحاولة ضم اليهود إليهم خاصة "المتطورين" منهم و إشراكهم فى هذا الصرا ع بهدف الحصول على حقوقهم السياسية وعلى مستوى معيشة أفضل للسكان الأصليين .

جاء فى المقال الافتتاحى لجريدة "إرادة الشعب" الصادرة يوم الثانى من مارس ١٩٣٤: " لقد شعر الإسرائيليون بصدمة من أحكام الباشاوات المتسرعة. ألا نمثل نحن أيضًا أول ضحاياها؟ يتعين علينا أن نوحد جهودنا من أجل إعادة تنظيم المحاكم بالكامل . يتهمنا بعض اليهود- حتى يعضدوا موقفهم الرامى إلى التطبيع- بأننا نتمتع بحقوق سياسية هم محرمون منها. ما هذه الحقوق التى نملكها؟ يوجد لدينا أيضًا مجالس محلية لا قيمة لها . إننا محرومون من كافة الحقوق السياسية (حرية الفكر وحرية التجمع) مثلهم تمامًا لكن سيأتى يوم يطور فيه نظام الحماية جميع المغاربة فى مجال حقوق الإنسان والمواطن . إن الإسرائيليين الذين ولدوا وعاشوا فى المغرب مغاربة".

وقد حدد أحد المؤيدين الأكثر حماسة لهذا الاتجاه – بشكل لا يخلو من الجرأة خاصة فى تلك الحقبة التى تتسم بشدة بالطابع السلفى للقومية المغربية وبدور المسجد فى تأييد الاحتجاجات ضد سياسة المندوب السامى- أن "الأفكار الدينية تظل عنصرًا فكريًا شخصيًا جدًا ولا يجب أن تؤثر على إرادة الجميع فى أن تعيش البلاد فى ظل تسامح متبادل وليبرالية مستنيرة".

إلا أن النداءات العديدة الرامية فى هذا الاتجاه لم تلق على الرغم من ذلك صدى ملموسًا ؛ فالمتمسكون بالتطبيع استمروا فى بذل الجهود من أجل قبولهم داخل المجتمع الفرنسى ، وذلك على الرغم من معارضة المندوب السامى لمراجعة وضعهم كمغاربة وعلى الرغم من الشروط التى نصت عليها كل من معاهدة الحماية واتفاقية مدريد

(١) دانيال ريفيه Daniel Rivet، "ليوتيه وتأسيس الحماية الفرنسية على المغرب ١٩١٢-١٩٢٥" ، ثلاثة مجلدات، باريس، ١٩٨٨ .

الدولية (١٨٨٠) والخاصة بمبدأ "إخلاص وتبعية الموالين للسلطان" . ولم يراجعوا موقفهم هذا إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وإلغاء قانون "كريميو" فى الجزائر المجاورة وبعد محاولات تطبيق قوانين "فيشى" Vichy على يهود المغرب وبعد الآلام التى أحدثها "الليل والضباب" اللذان أصابا بعنف ملايين اليهود فى أوروبا.

وأخيرًا ساعدت التقلبات التى حدثت على الساحة الدولية على تحديد مصير يهود المغرب بعد ١٩٤٥ , إن الصهيونية السياسية التى كان يعتبرها حتى ذلك الحين اليهود المتطورون المدينة الفاضلة، والذين كانوا يأملون الحصول على الجنسية الفرنسية أصبحت خيارًا حاولت الرابطة الإسرائيلية العمومية AIU نفسها أن تعضده. وقد أصبح أكثر جاذبية بسبب تدهور الأجواء بين الطوائف المختلفة والذى سببته المواجهات فى فلسطين بدءًا من عامى ١٩٤٧ – ١٩٤٨ وبسبب تركيز انتباه الوطنيين على المناورات التى كان يقوم بها المفوض السامى من أجل إرجاء الحصول على الاستقلال وقلب مجريات الأحداث فى محاولة لإرساء نظام سيادة مشتركة (عزل السلطان سيدى محمد بن يوسف فى أغسطس ١٩٥٣). وعلى المستوى الاقتصادى والاجتماعى زاد الفقر والتهميش الذى تعيشه التجمعات اليهودية المسئولة عن التحديث فى مجال الاقتصاد فضلاً عن الكساد الذى أصاب الحرف اليدوية والتجارية الجوالة[1] .

ونتج عن هذه المعطيات هجرة واسعة النطاق (موجات عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧) وتقلصت أعداد الطوائف اليهودية فى المغرب فى أقل من عقدين من الزمان واقتصرت على كونها طائفة شاهدة على العصر تتركز أساسًا فى الدار البيضاء ومدينتين أو ثلاث من المدن الكبرى .

إن البعد المغربى لهويتهم لم تتضائل حيويته رغم تواجدهم تحت السماوات الأخرى المختلفة التى استظلوا بها فى البلدان التى استقروا بها (إسرائيل ، الكيبيك ، فرنسا ....) وفى نظر المغرب ذاته فإن اليهودية لازالت تعتبر جزءًا لا يتجزأ من تاريخ وثقافة البلاد.

(١) دوناث دوريس بن سيمون Bensimon Donath-Doris، " مهاجرو شمال إفريقيا فى إسرائيل"، باريس، ١٩٧٠ .

حوار الحضارات وثقل التاريخ
وجهة نظر

بقلم : جون بول شانيولو Jean-Paul CHAGNOLAUD

أستاذ بالجامعات والمدير الأدبى لدور نشر "لارماتان" (المسئول عن قطاع حوض البحر الأبيض المتوسط) ومدير مجلة " كونفليونس ميديترانيه " Confluences- Méditerranée (*)

منذ سنوات بعيدة وعندما كنت دارسًا شابًا آتيًا من باريس عن طريق الحدود السورية كنت قد بدأت أخشى ضياع الوقت بسبب نقاط التفتيش التى لا حصر لها والتى تعطل سير السيارات التى سبقتنا. اقترب منا حينئذ أحد مفتشى الجمارك ليسألنا : "هل أنتم فرنسيون؟" وقبل أن نستطيع حتى أن نجيبه استطرد فى كلامه مرددًا على أسماعنا بعض أبيات الشعر من إحدى القصائد الشهيرة قائلاً : "يالسعادة من قام مثل يوليس برحلة جميلة.... !" ثم أخذ جوازات سفرنا وما لبث أن وضع عليها الأختام اللازمة ثم عاودنا الانطلاق سريعًا متخطين كل السيارات التى تقف بانتظار دورها (ولم يكن من بينها أية سيارة فرنسية). إن هذه الطرفة تظهر لنا الدور الأساسى الذى قد تلعبه الثقافة فى التقريب بين الشعوب بتقديم شكل من أشكال المشاركة فى الإبداعات بحيث تسهل بعد ذلك التبادلات أيا كان نوعها . لكننى دائمًا ما أتساءل فى الوقت ذاته عما إذا كان سيحدث يومًا فى مطار "رواسى" أو مطار "أورلى" أن يقوم مفتش جمارك فرنسى باستقبال أحد رعايا العالم العربى وهو يردد عليه بعضًا من نصوص "درويش" أو "جبران" أو "أدونيس"...

(*) بالعربية : مجلة "ملتقيات البحر الأبيض المتوسط".

وبعيدًا عن هذه الطرفة التى تحوى العديد من الرموز فإنه يوجد بالتأكيد عامل التاريخ وثقله وهو لا يتشكل فقط من أشعار أو نصوص أدبية... إذ إنه خلف هذا اللقاء السريع والودود فى الوقت نفسه والذى جمع بين مفتش الجمارك والدارس الفرنسى يوجد أيضًا تاريخ الوصاية بموكبها الحافل بالسيطرة والإذلال. لقد قامت فرنسا بفرض نفسها بالقوة - كما سبق وأن فعلت فى أماكن أخرى - على شعب كان يطالب غداة الحرب العالمية الأولى باستقلاله وسيادته .

أعتقد أننا لا يجب أن ننسى ذلك أبدًا إذا ما كنا نريد بالفعل أن نحاول الوصول إلى عمق الأشياء وأن نبدأ حوارًا لا يقتصر فقط على بعض التبادلات السطحية والشكلية . إلا أنه فى أحيان كثيرة نجد هذا الموضوع وقد خرج عن سياقه وقد أصبح الخطاب المعلن يشبه الجدال اللفظى المتكرر الذى يعظم من حيث الشكل حوار الثقافات والذى يظهره دائمًا على أنه إثراء وتخط للغيرية واكتشاف بل واعتراف بالآخر....

إن هذه الأفكار فى حد ذاتها تعتبر بالتأكيد أفكارًا عادلة وقوية إلا أن تأثيرها سيكون ضعيفًا إذا لم نبذل جهدًا لننظر إلى التاريخ فى مواجهة حقيقية .

فى بعض البلاد مثل تونس تظهر الأوضاع نسبيًا على أنها هادئة وساكنة لكن فى بلاد أخرى تثير مجرد فكرة الحوار مع الثقافة الفرنسية أو الفرانكفونية انفعالات مشتعلة تؤدى غالبًا إلى صدامات لا تزال آثارها حاضرة وكأنها تنتقل من جيل لآخر عن طريق التعليم والذاكرة و ... الثقافة . وبدلاً من اللجوء إلى تجريدات لا جدوى منها يتعين علينا أن نقبل على سبيل المثال حقيقة أن علاقة الدول بالبحر المتوسط تختلف بالطبع من بلد لآخر فى البلاد المطلة عليه. بالنسبة لفرنسا يمثل البحر المتوسط أفقًا مفتوحًا ومتعددًا وثريا ؛ لأن هذا البحر يمثل جزءًا لا يتجزأ عن هويتنا كما أنه مرتبط بلحظات قوية ومهمة فى تاريخنا، من هنا يمثل البحر المتوسط لنا شيئًا إيجابيا مليئًا بالآمال والوعود والأحلام .

أما بالنسبة للجزائريين والسوريين وآخرين فإن الأمر يختلف تمامًا، فالبحر المتوسط يمثل لهم صورة سلبية لأن التاريخ أراد أن تأتى لهم المأساة عبر البحر المتوسط ، لأن الثقافة الفرنسية قد وفدت إليهم عن طريقه لكن فى ظروف تاريخية

وسياسية قاسية وصلت إلى حد الحروب غير المتكافئة استغل فيها المنتصر بالطبع كل الوسائل لتقليص المهزوم وإنكار هويته. ومن بين الشخصيات التى أصبحت رموزاً بفضل مقاومتها لمحاولات السيطرة نذكر عبد القادر فى الجزائر وفيصل فى سوريا وعبد الكريم فى المغرب .

وكيف يمكن لعلاقاتنا مع هذه البلاد اليوم ألا تحمل علامات غائرة لهذا التاريخ الذى مازال حاضراً فى الذاكرة؟ إن الثقافة لا يمكن بالطبع فصلها عن السياق التاريخى لأن التقاء الثقافات كان فى البداية صدمة حقيقية لم تفق منها هذه الشعوب حتى الآن. فى مثل هذه الظروف لا يتعين إذن أن نتعجب من الرفض أو على أقل تقدير نتوقع وجود شكوك تثيرها الثقافة الفرنسية وبالتالى تثيرها الفرانكفونية بشكل أوسع ، حتى ولو كنا نجد فى الوقت نفسه جاذبية مذهلة تجاهها على اعتبار أنها تراث مرجعى لا يمكن تجاهله وأنها مركز إشعاع مفيد وواعد بالنسبة للانفتاح بقية لبقية العالم.

إن انعقاد القمة القادمة فى بيروت يحمل فى طياته معنى تاريخيا وسياسيا ورمزيا قويا لكنه يحمل أيضاً للكثيرين فى لبنان والعالم العربى بعض الغموض. إننا سنجد هنا – حتى لو أردنا تناسى هذه الحقيقة– روابطاً مميزة قد قاربت تاريخيا بين شريحة من الشعب اللبنانى وفرنسا فى ظروف مأسوية وذلك على حساب – ويجب أن نُذكر بذلك– جيرانهم السوريين الذين تولد لديهم شعور بأنهم مستبعدون من هذه العلاقة القوية والخاصة . ولنتذكر بهذا الصدد بعض خطابات الوطنى السورى الكبير "ماردام بيه".

وإنه من قبيل الاستهانة أن نظن أن هذه الروابط التاريخية يمكن أن تتقلص بمجرد انتماء ثقافى تحتل فى إطاره الديانة المسيحية مكانة مهيمنة ؛ ذلك لأن الواقع المعاصر أكثر رحابة وأكثر تنوعاً فى حين تظل رواسب التاريخ باقية على حالها .

لا يجب تجاهل هذه المفارقات بالقطع خاصة فى هذه الفترة التى يتعين فيها على الشرق الأوسط أن يعيد حساباته أمام انبثاق متعدد للهويات زاد من اشتعالها التدهور الدرامى للنزاع الفلسطينى الإسرائيلى.

وإذا كنت أذكر ثقل التاريخ ووزنه بهذا الشكل فذلك لأننى أريد أن أظهر إلى أى مدى يجب أن يؤخذ ذلك فى الاعتبار بدلاً من أن نحاول أن نتهرب منه. إذا أردنا الاكتفاء بأنشودات معسولة عن دور الثقافة فإننا نحكم على أنفسنا بالبقاء على السطح وبالاقتراب بالكاد من بعض المثقفين الذين يملكون أصلاً شبكة علاقات خاصة بهم. وبهذا نسجن أنفسنا داخل عالم ضيق تتوارى آثاره وقوته بشكل سطحى وراء مرجعيات بلاغية عالمية، فباستثناء " أمين معلوف" وبعض كبار الكتاب الذين ساعدوا على نقل الثقافات فإن كتابًا آخرين ليسوا فى الحقيقة إلا ممثلين يلعبون أدوارهم على مسرح خيال الظل الذى يخفى وراءه الازدراء والكراهية واللامبالاة. ومن جهة أخرى فإن المؤسسات التابعة للفرانكفونية قد أدركت أهمية هذه الرهانات دليل أنها حاولت منذ سنوات أن تنشر إستراتيجيات طموحة تشتمل على أبعاد كثيرة بدأ التاريخ يأخذ مكانته فيها .

إن ثقل التاريخ لا يعود فقط على الماضى لكنه قائم أيضًا على الحقائق السياسية المعاصرة. ومن بين القضايا الكثيرة التى يتعين طرحها هنا سأركز على قضية محددة ألا وهى حركة الأفراد داخل الفضاء الفرانكفونى المتوسطى .

فى الواقع ، يتعين اليوم أن نلحظ الغياب شبه الكامل لحرية حركة الرجال والنساء خاصة الشباب فيما بين ضفتى البحر المتوسط وبشكل خاص من الجنوب إلى الشمال . كيف يمكن التفكير فى نشر مرجعيات ثقافية مشتركة لإحداث تبادلات ثقافية قوية واختلاط بين العقول المبدعة إذا ما كان دخول الشباب العربى إلى أوروبا شبه ممنوع؟ إن المجال لا يتسع هنا لكى نتبنى قضية فتح الحدود على مصراعيها دون ضابط لكننا نريد ببساطة أن يكون هناك حد أدنى من الحرية فى تحرك الرجال والنساء الذين يودون القدوم إلى هذا الفضاء الفرانكفونى الذى يقول بأنه يجسد قيمًا أساسية مثل الحرية وحقوق الإنسان. إننى أعلم جيداً أنه توجد عقبات هائلة تحول دون هذا التنقل غير غلق حدود ما يسميه أهل الجنوب " حصن أوروبا"، ومن بينها هذا التفاوت السحيق بين مستوى المعيشة على جانبى البحر المتوسط. إلا أنه بوسعنا على الأقل أن نتصور وجود بعض التدفق القائم على التبادل والمعرفة المتبادلة وهما من أهم العناصر المناهضة للإحساس بكراهية الآخر .

إلا أننا لا نتحدث عن هذه القضية المحورية أو أننا لا نتحدث عنها بشكل كاف والسبب أن ذلك يخل بتوجه اللقاءات الكبرى التى تُخصص دائمًا للأشخاص أنفسهم أى أهل الفكر الفرانكفونى الذين يتنقلون أصلاً بسهولة ويسر من بيروت إلى باريس أو من باريس إلى مونتريال. ومن المنظور نفسه يتعين علينا بشكل أو بآخر أن نهتم بخطورة الانشقاقات الموجودة فى حوض البحر المتوسط والتى تفصل الشعوب بعضها عن بعض. يتعين على أى حوار حقيقى للثقافات أن ينشغل بهذه المعطيات البنيوية حتى يكون له حد أدنى من الأثر على وقائع عالم اليوم بدلاً من الاكتفاء بالسطح الأملس لهذه الظواهر العارضة .

إن المقترحات المقدمة من خلال الوثائق التحضيرية للقمة غاية فى الأهمية والفائدة وهى أيضًا مثمرة لكننا فى الوقت نفسه لا نستطيع ألا نقول إنها لا تأخذ فى الاعتبار بشكل كافٍ النقاط الأساسية التى أثارتها على عجالة. إنها تضع تصورات خاصة بالتعليم متعدد الثقافات وبالرحلات وبالتراجم وبالتظاهرات التى تخصص لموضوعات معينة وبالاستثمارات فى مجال التكنولوجيا المعاصرة والاتصالات وبالمساعدات فى مجال الإنتاج الثقافى وجميعها أهداف ووسائل لا غنى عنها .. لكننا نستطيع - بتواضع شديد - أن نقترح تصورات أخرى لاستكمال هذه التجهيزات حتى نعطى صورة إجمالية للمحتوى الملموس للملاحظات العامة التى قدمتها لتوى والتى تتطلب المزيد من الشرح والتعميق .

١- البدء فى حوار يجمع عناصر فرانكفونية وعناصر عربية لمناقشة تاريخهما المشترك من خلال برنامج ندوات ومؤتمرات. وسيفيد هذا العمل فى مقابلة التأويلات المختلفة بعضها ببعض وفى السماح بوجود تفهم أفضل للآخر مما سوف يعين إلى حد ما على الخروج من إعادة الكتابة المتحيزة للتاريخ الذاتى . لماذا لا يتم البدء باجتماعات تدور محاورها حول قضية تدريس التاريخ فى المدارس؟

٢- دعم البرامج البحثية (بين الجامعات ومراكز الأبحاث والمبادرات الفردية...) المتعلقة بمعرفة الآخر داخل الفضاء الفرانكفونى أو بمحاذاته.

٣- تشجيع تنقل الشباب داخل الفضاء الفرانكفونى والنهوض به عن طريق خلق برامج تبادل مستمرة وتوفير أنظمة تعليم جامعى متبادلة وتنظيم رحلات مشتركة.... لماذا لا يتم تصور إنشاء مكتب فرانكفونى للشباب على غرار المكتب الفرنسى الألمانى الذى أسهم كثيراً فى التقريب بين البلدين ؟

٤- حدوث تشاور دورى مع كبار الهيئات التى تعمل فى الاتجاه نفسه فهناك حوار ثقافات دعت إليه منظمة اليونسكو وحوار آخر - وإن كان مازال متلعثماً- دعت إليه الشراكة الأورومتوسطية. ولكل هيئة منها بالطبع مهامها الخاصة بها إلا أن التشاور بين الحين والآخر قد يساعد كل منها على تحديد أهدافه .

٥- تأسيس موقع كبير على شبكة المعلومات الدولية الفرانكفونية يتم من خلاله جمع الدوريات الثقافية والجامعية التى تصدر حول موضوعات محددة، فقد تجد هذه الدوريات على شبكة المعلومات مساحة للقاء ولتبادل الأفكار بشكل أكثر انفتاحاً على العالم. ولكى يكتسب هذا الموقع مغزى عالميا فإنه سيكون مكاناً لاستقبال عناصر غير فرانكفونية تريد أن تتواصل مع الفرانكفونية بشكل نقدى وبناء .

فرنسا ولبنان والشرق الأدنى
وثقافة قديمة مشتركة

بقلم : كريستيان لوشون
Christian Lochon
مركز CHEAM[(١)]

خلفت الأندلس الأموية سوريا الرومانية فى وقت معاصر للإمبراطورية البيزنطية ومن بعد الأندلس الأموية جاءت الإمبراطورية العثمانية عقب أن ضمت الأندلس جزءا من أوروبا ثم أصابها الضعف مما جعل الظروف مناسبة لجعل الشواطئ الجنوبية والشرقية أوروبية "بحرنا" mara Nostrum بعد أن أصبحت مستقلة فى القرن العشرين .

إلا أن الحركات الفكرية مرتبطة دائمًا بالمواجهات الإمبراطورية. فورثة الفكر اليونانى – وكثير منهم كانوا من أصول شرقية – يذكروننا بأن مهد الديانات التوحيدية الثلاثة يقع شرق البحر المتوسط وأن هذه الثقافات الثلاثة قد خصبت كل منها الأخرى. ومن هنا يتعين علينا أن نتفهم بشكل أفضل هذه الرهانات اللغوية والاقتصادية والسياسية التى تجمع الفضاء الفرانكفونى بالفضاء العربى .

دوام العلاقات القديمة والمتصلة بين الشرق والغرب :

كان سكان البحر المتوسط– قبل أن تكون لهم لغتان مشتركتان هما – اليوم – اللغة العربية واللغة الفرنسية – يعيشون تبادلات عديدة آتية من الشرق والجنوب فى اتجاه الشمال والعكس صحيح .

(١) مركز الدراسات العليا حول أفريقيا وأسيا الحديثتين.

الإرث المشترك القديم :

فى البداية ، ومن المنظور اللغوى - فإن اليونانيين يشكلون سلفنا الروحانى والفكرى مع الفينيقيين وقد علمونا أن "أوروبا" كانت ابنة " أجينور" Agenor ملك فينيقيا التى وقع " جوبيتير" Jupiter فى حبها . وعندما تحول إلى ثور اصطحبها معه إلى "كريت" حيث أنجبت له "مينوس " Minos و " أريان" Confluences- Ariane و "فيدرا" Phèdre على أية حال فإن أصل الاسم سامى حتى ولو كانت الأرض التى سيطلقون عليها هذا الاسم سوف تنجب بعد ذلك "هنوداً أوروبيين" . أما الأساطير الأخرى التى نسبناها لأنفسنا بسبب ثقافتنا الدينية التى تستند على الإنجيل فقد وفدت إلينا من " ميزوبوتاميا" ومنها أسطورة الرجل السجين داخل مدرة من الصلصال ليكفر بهذا الشكل عن خطيئة أصلية، ومنها أيضًا الطوفان الذى نكتشفه من خلال ملحمة " جيلجامش" (٢٦٠٠ ق.م) وهى المصدر الذى قام عليه الفصلان السادس والثامن من سفر التكوين ، ومنها كذلك شخصية " العادل المعذب" الموجود فى قصيدة " أجوشاجا" والذى يعاد ذكره فى كتاب " أيوب" . "Job" إن طريقتنا فى العد مأخوذة أيضًا عن السومريين الذين كانوا يستخدمون خانتين متوازيتين كانت يمناهما مخصصة للآحاد ويسراهما للستينات ومن هنا جاء النظام الستينى الذى نحسب به الزمن و الفراغات الهندسية بل وسن التقاعد أيضًا . وكان شيئًا طبيعيا أن يأتى التقويم على أساس هذه الحسابات فالسنة مقسمة إلى اثنى عشر شهرًا وفى كل شهر يكتمل القمر فى يوم الراحة يسمى " شبّات" وهو اليوم الذى أطلق عليه الإسرائيليون بعد نزحهم إلى بابل اسم " السبت" وهو يوم تعبد دينى .

إن الإمارات الفينيقية التى كانت تقع على شواطئ البحر المتوسط من جهة الشرق أصبحت محطات لتلك الخيرات القادمة من داخل تلك الأراضى التى أصبحت فيما بعد سوريا والعراق . وهكذا استطاع " أوجاريت " Ougarit أن يجعل الرموز الستمائة المسمارية تقتصر على ثلاثين حرفًا يمثلون السبع وعشرين صوتًا الساكنة . إن غزو شعوب البحر فيما بين القرنين الرابع عشر والثانى عشر قبل الميلاد قد أباد هذه الحضارة حتى أعاد "بيبلوس" Byblos اختراع أبجدية مكونة من اثنين وعشرين حرفًا

تتوافق مع طريقة النطق المحلية. إن هذه الأبجدية التى تم وضعها على أساس سماعى (حيث كان يشير كل حرف إلى حيوان أو شىء ، فالألف مثلاً تشبه رأس الجاموس والـ "باء" مثل بيت ...إلخ) وهى التى سوف يتم اعتمادها على مستوى العالم حتى لو كان اليونانيون قد عكسوا الكتابة التى وضعها الفينيقيون من اليمين إلى اليسار ليجعلوها من اليسار إلى اليمين فى أوروبا .

لقد تم إعادة اكتشاف " بيريت " Béryte تحت الأطلال التى تبقت عقب المواجهات الدامية التى استمرت سبعة عشر عاماً . لقد تمت إعادة بناء هذه المدينة التى دمرها الآشوريون فى القرن التاسع قبل الميلاد وتمت حمايتها بأسوار مائية منحدرة . وقد تم فيما بعد إنشاء مدرسة حقوق شهيرة بالمدينة بها أشهر المشرعين وأساتذة القانون المعاصرين ومنهم "بابينيان" Papinien (الذى وضع " حقوق الإنسان") و "جايوس" Gaïus و "أولبيان" Ulpien اللذين شاركا فى إصلاح قانون "جوستنيان" و"أناتوليوس" الذى كان له تأثير على مدى خمسة عشر قرناً على تشريعات البلاد الأوروبية. إلا أن كارثة أرضية دمرت المدينة عام ٥٥١ فقد تعرضت لهزة أرضية ثم إلى نوة بحرية ثم إلى حريق مما أسفر عن مقتل ثلاثين ألف شخصاً ولم تستعد المدينة حالتها حتى الغزو العربى لها بعد مائة عام .

لقد استطاع الفينيقيون – وهم بحارة ماهرون – أن يحققوا إنجازات مذهلة، فقد قادت رحلة " أل حانون" البحرية (عام ٥٠٠ ق م) أهل قرطاج وذريتهم إلى المغرب وإلى السنغال. أما مارسيليا – مثلها مثل موانئ عديدة على شمال البحر المتوسط – فقد تم تأسيسها على أيديهم أيضاً ، فقد كانوا يملكون خرائط بحرية منحوتة على صفائح من النحاس حاول اليونانيون الذين خلفوهم أن يسرقوها منهم .

العصور الوسطى :

إن نقاط الاتصال كانت تتكاثر فى تلك الحقبة خاصة الدينية منها أولاً ثم تليها الثقافية والعلمية وإن ظلت الاقتصادية كما كانت دوماً .

الحقبة المسيحية : (من القرن الأول إلى القرن السابع)

لقد أثرت المسيحية الشرقية والإمبراطورية البيزنطية الإغريقية أو السريانية فى مدى انتشار المسيحية الغربية فقد تحول القديس" أيرينى (١٣٠-٢٠٨) "Irénée القادم من آسيا الصغرى إلى أسقف فى "ليون" ثم إلى شهيد. إن سبعة باباوات ينتمون لهذه الحقبة كانوا من أصل سورى كما كان قبلهم كذلك ثلاثة من إمبراطورية الرومان. فضلاً عن أن الأناشيد الدينية والطقوس الرمزية كانت مأخوذة بدورها عن الكنيسة الشرقية . إن أسماء العلم المسيحية سامية فى جزء كبير منها (أرامية) مثل " أن" و "كارمن" و "اليزابيث" (شبيه إيزابيل) و"إيمانويل" و"جبريال" و"جون" و"جوزيف" و"مارتا" و"ميشيل" و"بيير" و"سيمون" و"سوزان" و"توماس". كذلك فإن أسماء الأماكن العربية المستخدمة باللغة الفرنسية عديدة . كما أن حياة الرهبنة التى تحتل مكانة كبيرة فى حضاراتنا الغربية مأخوذة عن أقباط مصر وقد تحولت أصول وقواعد القديس أنطوان والقديس باخوم إلى "قواعد القديس بنواه " Benoît كما أن التأثير المعمارى لا يستهان به، فقبل العلاقات الدبلوماسية بين " شارلمانى " charlemagne والخليفة العباسى هارون الرشيد كانت توجد تأثيرات فنية سورية تطورت وظهرت فى الفنون الميروفانجية والكارولانجية فى بازيليك القديس مارتان فى "تور" وكنيسة القديس بيير فى "فيينا" حيث كون المسيحيون الشرقيون فى البلدين جالية خاصة بهم ، فتجد فى هذه الكنائس التصميم المعتاد بأجنحته الثلاثة والمحراب فى صدر الكنيسة والصدر واضح على الأعمدة البارزة ويحيط بعقد الجسر درابزين مضلع . وكما يذكر " ج.ماترن " J.Mattern لقد بدأ الطراز الرومانى هناك بالذات حين أُرغِم الطراز السورى قبلها بقرنين على التوقف ثم قام الطراز الرومانى بتطوير المبادئ والنماذج التى نشأت فى سوريا" . إن الفن الرومانى مستوحى من الشرق، فإن "كلونى" Clunny محاكاة لـ"كالبلوزة qalbiozé(فى سوريا)، كما أنه أخذ أيضًا عن الفن الإسلامى الأندلسى حاملات النجارة والقوس المتعدى والقبة المضلعة و"المدفأة المغربية". ومن الفن البيزنطى تعتبر أقدم كنيسة فى فرنسا والتى مازالت على حالها هى كنيسة "جرمين دى بربيه" Germigny des Prés التى تحمل هذا الطراز البديع للزخرفة بالفسيفساء على صدر الكنيسة.

العصر العباسى (القرن الثامن - القرن الثالث عشر) :

كانت حركة ترجمة المخطوطات العلمية اليونانية قد بدأت منذ عصر الأمويين فى دمشق فى عهد الخليفة خالد اليزيد (الذى توفى عام ٧٠٤). وفى بغداد بدأت اللغة العربية تشهد اعترافًا بها لغة للثقافة ولغة لنشر العلوم خاصة، ولا زالت حصيلة مفردات اللغة تحمل آثار ذلك حتى الآن . لقد تغلغلت الكلمات العربية فى أعماق اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية وكذلك معظم اللغات الأوروبية من خلال اللغة الإيطالية والإسبانية أو الفرنسية. لنفحص على سبيل المثال كلمة " صفر " الذى يعنى " زيرو " zéro بالإيطالية و " شيفر" chiffre بالأسبانية أو" سيفر " cipher . توجد فى اللغة الفرنسية ٢٥٠٠ كلمة أصلها عربى، فنجد فى الكيمياء كلمة " كحول"(*) وأنبيق"(*) وفى الطب " كافور"(*) و " إكسير"(*) و "شراب"(*) وفى البتروكيمياء نجد كلمة "قطران"(*) و " نطرون"(*) و "نفط" (*) وفى مجال التغذية نجد كلمات مثل " برقوق"(*) وقهوة (*) و "برتقال" (*) و " تمر هندى" (*) ونجد فى الملابس كلمة " جبة"(*) و "موصلى" (*) و "ساتان" (*) ونجد فى النباتات كلمات مثل "ياسمين" (*) و "ليلج" (*) و "زنبق"(*).

(*) كحول بالفرنسية alcool وتنطق " الكول " .
(*) أنبيق بالفرنسية alambic وتنطق " الانبيق" .
(*) كافور بالفرنسية camphre وتنطق " كامفر" .
(*) إكسير بالفرنسية elixir وتنطق "إلكزير".
(*) شراب بالفرنسية Syrop وتنطق "سيرو".
(*) قطران بالفرنسية goudron وتنطق " جودرون " .
(*) نطرون بالفرنسية natron وتنطق ناترون .
(*) نفط بالفرنسية nafte وتنطق " نفط " .
(*) برقوق بالفرنسية abricot وتنطق " أبريكو".
(*) قهوة بالفرنسية café وتنطق " كافيه" .
(*) برتقال بالفرنسية orange وتنطق " أورانج"
(*) تمر هندى بالفرنسية tamarin وتنطق " تاماران".
(*) جبة بالفرنسية jupe وتنطق "جوب"
(*) موصلى بالفرنسية mousseline وتنطق " موسولين" .
(*) ساتان بالفرنسية satinوتنطق " ساتان" .
(*) ياسمين بالفرنسية jasmin وتنطق " جاسمان" .
(*) ليلج بالفرنسية lilas وتنطق ليلاه" .
(*) زنبق بالفرنسية muguet وتنطق "موجيه".

لقد ابتدع عالم الفلك والرياضة الهندى " أرياباتا" Arya Bhata الصفر عام ٤٧٦ عندما وضع نقطة ليملأ بها الفراغ الموجود فى كتابه "هندسة اللامقدارية" وعندما أهدى الخليفة المنصور (٧٧٣) دراسة فى الرياضيات "السيدانتا" Siddhanta لوحظ أن الهنود يستخدمون حروفًا هندية عند استخدامهم للكتابة السانسكريتية (*) "دفاناجارى" devenagari والتى لم تكن تستخدم إلا لكتابة الأعداد. ونعلم أن كتاب الخوارزمى (٧٨٠ - ٨٥٠) الذى ولد فى خيفا (أوزباكستان الحالية) هو الذى جاء بالحروف العربية الهندية التى رصدها فيما بعد " جيربار دورياك" Gerbert d'Aurillac (938 - 1003) الذى أصبح فيما بعد البابا سيلفستر الثانى والذى قدم لدراسة المخطوطات العربية فى أقليم برشلونة . لقد تحمس "جيربار" لسهولة استخدام هذا الترقيم وقد كانت بولونيا أول جامعة غربية تستخدم هذه الحروف فى بداية القرن الثانى عشر. وقد تأثر أيضًا الأدب الغربى بكتاب " كليلة ودمنة" (جماعة من الحيوانات تجسد المجتمع الإنسانى) التى ألفها فى بغداد كاتب من أصل فارسى زرادشتى هو ابن المقفع (٧٢٤-٧٥٩). وقد تمت ترجمة هذا الكتاب فى إسبانيا إلى اللاتينية فى القرن الثالث عشر وقد أعيدت صياغة الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب فى روايات أخرى من بينها "رواية رونار" و"حكايات بوكاس" وكذلك " أساطير لافونتان" بالطبع .

أما المجال الأدبى المحض فقد شهد عودة الشعر الجاهلى بتعقيداته ، حيث أراد الحكام الأمويون فى إسبانيا أن يتغنوا بالوطن الأصلى الذى يفتقدونه فأعادوا إلى الشعر الحب العذرى على غرار " مجنون ليلى". وكان القرطبى " على حزم" (الذى توفى عام ١١٦٤) أول الملهمين العرب للـ"تروبادور" Troubadours(وأصل الكلمة من العربية "طرب") ، ثم جاء الكاتالان ثم الأوكسيتان بعد ذلك ليستعيدوا التيمة نفسها وقاموا بفرنستها لدرجة أن المعلمين الفرنسيين لم يعودوا اليوم يعرفون أصل هذا الاتجاه.

وكان أبو العلاء المعرى (٩٧٣-١٠٥٧) هو "فولتير" Voltaire القرن العاشر السورى والذى أدخل تيمة "الرهان" الذى أعاد "باسكال" Pascal استخدامه بعد ذلك.

(*) لغة البراهمة .

وقد ابتكر "ابن طفيل" شخصية تشبه "روبنسون كروزويه" قبل " دانيال ديفو"Daniel Defoë بخمسة قرون وقد أثر " ابن عربى" فى " دانتى" عندما كتب "الكوميديا الإلهية" .

إن هذا الأدب الأندلسى المستوحى من الشرق الأوسط هو أحد مصادر الأدب الأوروبى .

فترة الحروب الصليبية : (القرن العاشر - القرن الثالث عشر) :

وفى الوقت نفسه الذى شهد هذه التبادلات حدثت اقتباسات أخرى توازت مع وقوع تصادمات كانت مأساوية فى البداية ثم أصبحت أقل حدة فيما بعد وأخذ هذا الصدام اسم الحروب الصليبية . لقد نقل الصليبيون فيما بعد عناصر الطب التى كانت تدرس فى "أنتيوش" أو "طرابلس" حيث كان يمثل فيها " أبو الفارادى" (جريجوار بارهيبروس) فى مجال علم الأديان رائداً للقديس توماس . لقد عاد الصليبيون من الشرق بخريطة "فيلنوف" Villeneuves(*) التى تتميز بالطراز المعمارى المعتمد على رسم قلب للمدينة تنبثق عنه الشوارع الرئيسية مثل أشعة الشمس -Radioconcen trinque . كما فى القدس وبغداد فأنشئوا مدناً جديدة مثل " لاشاريتيه سورلوار" La Charité Sur Loire و " فيزليه " Vézelayو "مواساك" Moissacو "باريه لومونيال" -Par ay Le Monial وكان الأستاذ "ماسينيون "Massignon نفسه يقول إن تصور" أسلحة باريس" والتى تعبر عن التجسيد القوى للمحاربين والتى كان لها أثر كبير على الإدارة المحلية - تبرهن على التأثير القوى لجماعات الأخوان المسلمين.

إن هذه العلاقات المتشعبة سيكون لها أثر على نشأة الاستشراق .

بداية الاستشراق الغربى :

تم إنشاء " مدرسة شرقية" بجوار ميدان "موبار" بباريس عام ١٢٢٠م لتعليم الطلاب المسيحيين الغربيين تعاليم المسيحية الشرقية. وبالروح نفسها قرر المجمع

(*) تعنى هذه الكلمة بالعربية " المدن الجديدة" .

الدينى فى فيينا عام ١٣١١ – بتأثير من الفرانسيسكان الإنجليزى "روجيه باكون " Roger Bacon إنشاء كراس أستاذية للعرب واليهود و السريانيين فى باريس و أكسفورد وبولونيا وسلامانك وكان " روجيه باكون" قد سبق وأعلن مصرحًا : "هل يمكننا أن ندعى العلم دون أن نتعلم العربية؟".

وقد تم اتخاذ قرارات جديدة فى المجمع الدينى فى " بال" عام ١٤٣٤ حيث أصبح يتعين على كل جامعة أوروبية أن تخصص كراسى أستاذية للغة اليونانية واللغة العبرية واللغة العربية . وإن لم يكن من السهل العثور على متخصصين بعدد كبير فى تلك الحقبة إلا أن الدوافع السياسية والاجتماعية أكدت على الحاجة الملحة والعاجلة لزيادة أعدادهم فى القرن السابع عشر . على أية حال ، فإن دراسة النزاع الفلسفى والدينى فى العالم العربى فى القرن الثامن سيلقى مزيدًا من الضوء اللازم لفهم الفلسفة الغربية فى العصور الوسطى .

الفترة العثمانية

كان الأتراك قد بدءوا يسيرون على خطى الإمبراطورية العباسية سواء فى "الأناضول" أو فى " إيران" وذلك قبل أن يستولوا على الحكم المؤقت باسم السلطان. وسوف تشهد هذه الحقبة وجودًا فرنسيا متزايدًا فى الشرق الأوسط نظرًا للعلاقات السياسية التركية والفرنسية المتميزة .

الامتيازات الأجنبية

قرر " فرانسوا الأول" فى حربه مع " شارل كينت" المحاصر من جميع الجهات أن يوالى السلطان العثمانى ، وكانت المصالح والمزايا كبيرة لكلا الطرفين وكذلك الامتيازات الأجنبية (المأخوذة عن اللاتينية capitulationes والتى تعنى باب المعاهدة الثنائية) التى تم اعتمادها وتجديدها باستمرار عام ١٥٣٥م وعدلتها النظم السياسية المتعاقبة فى فرنسا (الملكية ثم الإمبراطورية ثم الجمهورية) عام ١٥٨١ م ثم ١٥٩٧ م

ثم ١٦٠٤ م ثم ١٦٠٨ م ثم ١٦٧٣ م ثم ١٧٤٠ م ثم ١٨٧٨م . كانت هذه الامتيازات تعطى لفرنسا الحق فى التدخل من اجل حماية المسيحيين الغربيين من جميع الجنسيات ثم امتدت هذه الحماية مع ضعف السلطة العثمانية لتشمل المسيحيين الشرقيين . وكان الدبلوماسيون أيضًا منوطين بإثراء مجموعات المخطوطات الملكية السيريانية والعربية والفارسية . وبسبب تلاحق بعض الظروف والملابسات تم تعيين سفيرنا فى إسطنبول "سافارى دى بريف" Savary de Brèvesفى روما فى بداية القرن السابع عشر . وقد قام هناك بزيارة المدرسة المارونية . ولا ينسى أنه استطاع من خلال منصبه الذى شغله لمدة ثمان سنوات فى إسطنبول أن ينشئ مطبعة تستخدم الحروف العربية و السريانية قام بإهدائها عند عودته لمدرسة "لومبار" فى باريس. وقد عاد من روما بمصاحبة اثنين من رجال الدين اللبنانيين عهد إليهما تدريس اللغات الشرقية فى "كوليج دى فرانس" فى باريس وترجمة وإصدار المخطوطات وهما : "جبريال صهيونى ديهدن" و " جون حصرونى". وقد تم فى الآونة الأخيرة وضع لوحة تحمل اسم " جابريال صهيونى" فى المكان الذى كان يسكن فيه على الرصيف رقم ٢٣ فى "أنجو" فى جزيرة " سان لويس" بباريس لتكون شاهدًا على هذا التعاون الثقافى المستمر بين بلدينا. وقد أسس "كولبير" Colbertعام ١٦٦٩ م مدرسة " شباب اللغات" الكائنة داخل " مدرسة كليرمون" (وهى حاليًا مدرسة لويس لوجران الثانوية) وكانت تعطى منحًا لأبناء التجار الفرنسيين المقيمين فى الدول التابعة للسيد الأعظم. هكذا تكونت أجيال من متعلمى التركية والفارسية والعربية لينضموا لفئة المترجمين الذين كانوا يخدمون السفارة أو قنصليات البلاد الشرق أوسطية.

العلاقات مع لبنان :

لقد قام " سافارى دى بريف" بطباعة كتابين عربيين فى ديوان قنصليته الرومانية، الأول هو "تعاليم المسيحية" (١٦١٢م) والثانى هو "تراتيل داود" (١٦١٤م) وقد تم فيما بعد توزيعهما فى الشرق الأوسط وساهما بذلك فى تحقيق شعبية لرجال الدين الفرنسيين الذين سوف يعملون بعد ذلك كهنة فى القنصليات. وفى لبنان، لعبت الأديرة

المارونية دورًا كبيرًا فى عمليات النشر والتعليم، فأصبح السكان ناطقين بالعربية وأصبح الرهبان– وهم الوحيدون القادرون على التعامل مع اللغة المكتوبة – يستخدمون الأبجدية السيريانية لكتابة النصوص العربية وهو ما يطلق عليه اسم "كارشونى" Karchouni وفى عام ١٧٣٦م قام السينودس (*) Synode المارونى بتعميم تدريس اللغة العربية وكان يقوم بتدريسها لشباب قرى الجبال القساوسة والرهبان .

قَدِمَ المستشرق "فولنيه" Volney ليستقر فى لبنان عام ١٧٨٣ م ثم ذهب إلى مصر فى نهاية عام ١٧٨٤م بعد أن تعلم اللغة العربية فى دير "مارى حنا" شمال لبنان. وقد نشر عام ١٧٨٧م كتابه "رحلة إلى مصر وإلى سوريا" الذى كان بالنسبة لبونابرت كتابًا مهمًا لا يفارقه ويضعه بجانب فراشه دومًا وقد ساهم هذا الكتاب فى إقناعه بالقيام بحملته على مصر . وكان "فولنيه" المدافع الكبير عن فكرة تطوير دراسات اللغة العربية تحت حكم الـ"كوفنسيون"(**) la convention عام ١٧٩٣م كما ساهم فى تأسيس "مدرسة اللغات الشرقية" داخل المبانى الخاصة" للمكتبة الوطنية بباريس" . إن هذا الشغف بالعربوفونية سيزداد فيما بعد على يد قس مارونى استقر فى روما عام ١٧٩٨م إبان الاحتلال الفرنسى للدول التابعة للبابا . وفى رسالة للبطريرك بتاريخ ١٣ يوليو ١٧٩٨ كتب الأب " لويس بليبل" : " إن الفرنسيين يطالبون بوجود أساتذة للغات الشرقية فى فرنسا، وقد قاموا بتعيين ثلاثة شرقيين لهذا الغرض أحدهم راهب وثانيهم راهب سابق".

إن الحملة على مصر وشيكة وسوف تساعد على مزيد من التقارب بين سكان الشمال وسكان الجنوب الذين يعيشون على ضفاف البحر المتوسط .

(*) مجمع كنسى .
(**) "الكوفنسيون" جمعية فرنسية حكمت فرنسا ثلاث سنوات من ١٧٩٢ إلى ١٧٩٥ وقد خلفت فى الحكم "الجمعية التشريعية" التى تشكلت عقب الثورة الفرنسية وسقوط الملكية، وقد تشكلت الجمهورية فى أثناء حكم "الكونفسيون" فى سبتمبر ١٧٩٢ وتم فى عهدها القضاء على المناهضين للثورة وتم إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية الكبرى .

عصر النهضة فى القرن التاسع عشر :

لقد أرست الحملة الفرنسية على مصر أسس التعاون والتبادل بشكل متزايد عن ذى قبل .

عصر النهضة فى مصر :

يرمز اصطلاح " نهضة(*)" إلى الفكر الإصلاحى الذى ساد فى المجالات الثقافية والسياسية بل والدينية فى مجتمعات الشرق الأوسط. لقد كان الرعايا العرب للسلطان يتطلعون لمزيد من الاستقلالية. وقد شملت أيضًا النهضة الإصلاح اللغوى للعربية .

إن الظهور المفاجئ لبونابرت فى مصر سوف يسود القرن التاسع عشر بل والقرن العشرين أيضًا والدليل على ذلك هو الاحتفال بالمئوية الثانية للحملة سواء فى القاهرة أو فى باريس عام ١٩٩٩ . لقد سبق وأعلن بونابرت أنه قدم إلى مصر ليعيد إلى شعب مصر حقوقه وليدفع محمد على وخلفاءه نحو مزيد من التعاون مع الثورة الفرنسية وشهد على ذلك التبادلات المستمرة بين الطلاب المصريين فى فرنسا والفرنسيين الموجودين فى مصر الذين يعملون فى مجال التعاون المشترك . ومن الشواهد على ذلك أيضًا حفر قناة السويس والدعم الفرنسى للوطنيين المصريين ومحاولة تعليم الصفوة اللغة الفرنسية بل وخلق نوع من الحب لفرنسا .Francophilie

لقد اعترف نابليون للسيدة "ريموزا" قائلاً : " إن الوقت الذى أمضيته فى مصر كان من أجمل الأوقات فى حياتى ومن أكثرها مثالية". لقد صحب أعضاء الحملة الثلاثين ألفا مائة خمسة وستون متخصصًا منهم "مونج" Monge و "بيرتوليه" Berthollet و "لابلاس" Laplace ويذكر الجنرال "بيير روندو" Pierre Rondot بأن الحملة على مصر قد حشدت ثلث القدرة العلمية والتقنية فى فرنسا آنذاك .

(*) العربية فى النص الأصلى .

بعد رحيل الفرنسيين عام ١٨٠١م والإنجليز عام ١٨٠٣م قام أحد الضباط الألبانيين- محتذيًا في ذلك ببونابرت- بالاعتماد على العلماء. لقد قام عدد من الفرنسيين- وقد أسلم بعض منهم - بتحديث الجيش عام ١٨١٥ ومنهم الكولونيل "دى سيف" -De Scèves وسليمان باشا والعديد من ضباط بونابرت. ولم يكتف هذا الضابط باستقبال الفرنسيين لكنه بعث الكوادر المحيطة به لكي يتم إعدادها في فرنسا. وفي عام ١٨٢٦ اتجه ٤٤ طالبا تركيا وأرمنيا وشركسيا وخمسة ألبان إلى فرنسا حيث استقبلهم مواطنوهم القدماء في فرنسا ومنهم "جومار"Jomard والمستعرب " كوسان دى بارسوفال " Coussin de Percevai وكان على رأسهم شيخ أزهري شاب هو رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) الذي سرد لنا رحلته وإقامته في فرنسا (١٨٢٦-١٨٣١) في كتابه الرائع " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " وفي هذه المرة كان الشرقي هو الذي يصف الغربيين والغربيات ووصف مزايا الديمقراطية وتحدث عن انحرافاتها (لقد قال متعجبًا) " لا يوجد في العالم ما هو أكثر كذبًا من الجرائد خاصة لدى الفرنسيين" . وفي عام ١٨٣٥م أسس الطهطاوي مدرسة "الألسن" في القاهرة لإعداد المترجمين ثم مدرسة "الإدارة" عام ١٨٤٢ وأصبح أول رئيس تحرير لجريدة مصرية رسمية . وقد كان لهؤلاء الرواد أتباع كثيرون انشغل العديد منهم بالاحتلال الإنجليزي لبلدهم عام ١٨٨٢, ولذا ذهب جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٦) الأستاذ بجامعة الأزهر وتلميذه محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) إلى باريس في مارس ١٨٨٤ ليصدرا مجلة باللغة العربية "العروة الوثقى" التي كان لها صدى واسعًا في العالم الإسلامي رغم أنها لم تستمر طويلاً .

وقد سلك بعض الشباب الفرنسي الذي يتمتع بروح النضال الطريق إلى مصر وهم " السان سيمونيان " Saint-Simoniens، وقد شاركوا في تأسيس مدارس إعداد الكوادر الفنية حيث كان أغلبهم مهندسين أمثال " لامبير" Lamber و "طالابو" Taiabot وكانا أول من أسس خطوط سكة حديد فرنسا في عهد الإمبراطورية الثانية. وقدم " موزيل" Mouzel دراسات موثوقًا بها عن سدود الدلتا وحفر قناة السويس أما " توماس أوربان" Thomas Urbain وهو زنجي من "جويان" فقد أسلم وأطلق على نفسه اسم " إسماعيل" و كان الملهم لفكرة " السياسة العربية " التي اتبعها نابليون الثالث فيما بعد.

وازداد عدد الأدباء الرحالة فى تلك الحقبة فقد حضر "جيراردى نارفال" Gérard de nerval إلى مصر فى الفترة من ١٦ يناير إلى ٢ مايو ١٨٤٣ م حيث استأجر منزلاً فى القاهرة بالقرب من باب زويلة، ذلك الحى الشعبى، وقد أظهر ولعًا كبيرًا بالثقافة المحلية التى نقلها لنا من خلال كتاباته.

وقد سبق أن صرح نجيب محفوظ الذى فاز بجائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٨م بـ: " أن هذه الحملة قد افتتحت عصرًا جديدًا فى تاريخ الإسلام بفضل انتشار أفكار الثورة الفرنسية التى ساعدت على تخطى الحواجز القائمة بين الغرب والإسلام. ويرجع هذا النجاح أساسًا فى الحقيقة إلى أن هذه الثورة كانت ذا طابع علمانى".

النهضة فى لبنان

حثت مثاليات الثورة الفرنسية اللبنانيين على المشاركة فى النضال الاجتماعى والسياسى حيث كان أحدهما يتعلق بشئون قومية داخلية والآخر يتعلق باستقلالية الجبل اللبنانى عن الإمبراطورية العثمانية . هكذا شهدنا بين عامى ١٨٢٠ و ١٨٥٩ وجود حركات شعبية موجهة ضد الشيوخ المسئولين عن زيادة الضرائب. ففى عام ١٨٥٠م تشكل فى "دير القمر" مجلس مكون من اثنى عشر عضوًا من الدروز والمسيحيين وقام بعض المتظاهرين بطباعة منشورات تحمل كلمات مثل " استقلال" و"حرية" و "وطن" و "مواطن" و اتخذوا العلم ثلاثى اللون متأثرين فى ذلك – كما يشير " عباس طوربيه"، – بالنموذج الفرنسى الأعظم . وفى ٧ يونيو عام ١٨٤٠ فى أنطاليا أعلن رؤساء الطوائف تمسكهم بالوحدة الوطنية. " إنه فى هذا اليوم نشهد نحن الموقعين أدناه [....] دروزا ومسيحيين وشيعه وسنة،المجتمعين فى مارى إلياس بأنطاليا بأننا أقسمنا أمام مذبح هذا القديس أننا لن نخون بعضنا البعض ولن نتآمر على بعضنا البعض وأن نظل متحدين ومتضامنين قولاً وفعلاً". وفى عام ١٨٥٩ تأسست أول " جمهورية للفلاحين فى قصروان" حول " طانيوس شاهين" الذى ظل فى الفكر اللبنانى قائد حركة شعبية انبثقت عن المبادئ التى قامت عليها الجمهورية الفرنسية الأولى .

وفى تلك الحقبة تقريبًا بدأ يتم وضع نظام تعليمى فرنسى باللغة الفرنسية. ويتحدث الأب " سامى خورى" فى مؤلفه المميز " تاريخ لبنان من خلال أرشيف اليسوعيين" (مجلدان ١٨٤٦ - ١٨٦٢) عن رسالة للأب " لويس مايار" بتاريخ ١٥ يناير ١٨٤٨ يقول فيها : "فى غزير كانت اللغات الإيطالية واللاتينية والعربية هى اللغات الوحيدة التى تثير اهتمام الطلاب حتى ذلك الحين. أما اليوم ، فيمكننا أن نضيف إليها اللغة الفرنسية فالأطفال كانوا يقبلون عليها بشدة ولذا فقد أصبحت الأشياء مرهونة الآن برغبة الجميع".

فى نهاية القرن ، وفى الخامس من نوفمبر ١٨٩٨ ، أبحر الإمبراطور " جيوم الثانى" والإمبراطورة "أوجستا فكتوريا" إلى بيروت بعد أن قاموا بزيارة للسلطان. وقد قام باستقبالهما كل من " إسكندر بيه توينى" مدير الشئون الخارجية فى الحكومة المستقلة بجبل لبنان و "موسى أفندى فريج " و " ميشال أفندى أديه" وذلك باللغة الفرنسية.

وفى تلك الفترة كانت أنظار اللبنانيين وشرقيين آخرين تتجه نحو باريس . وافتتح مبنى "معهد العالم العربى" بباريس عام ١٩٨٦ وكان مديره العام آنذاك السيد "باسم الجسر" الذى أعلن وقتها أن العاصمة الفرنسية أصبحت العاصمة الفكرية للعرب. وفى نهاية القرن التاسع عشر بدت وكأنها العاصمة السياسية للوطنيين العرب حيث لجأ إليها الكثيرون ممن كانت تطاردهم الشرطة السرية العثمانية فاستقروا بها ومارسوا فيها الكتابة باللغة الفرنسية. فقد نشر " نجيب عزورى" عام ١٩٠٥ " صحوة الأمة العربية" ونشر " خير الله خير الله" كتابه " الأمم العربية المحررة" الذى ظل أحد أمهات الكتب فى القومية العربية ومنهم أيضًا " نادرة مطران" التى نشرت هناك "سوريا الغد" . وكانت أعمال كتاب الدراما اللبنانيين تقدم فى باريس، فمنذ عام ١٩٠٦ قدم مسرح " لامبيجو" مسرحية لـ" ميشيل سورسوك" باسم "يمين العربى" وقدم مسرح " أوديون" عام ١٩١٠ مسرحية " عنتر" لشكرى غانم التى أعيد تقديمها كأوبرا عام ١٩٢١ على مسرح أوبرا باريس .

التبادلات الثقافية واللغوية فى القرن العشرين :

ارتبطت فرنسا بروابط أوثق بالشرق الأوسط فى الفترة بين عامى ١٩١٨ و ١٩٤٦ حتى إنها قامت بمشاركة بريطانيا العظمى فى رسم خريطة عام ١٩١٦ لمناطق نفوذ كل منهما. لقد أيدت فرنسا تشكيل دولة لبنانية مستقلة حول جبل لبنان تحميها اتفاقية دولية شاركت فيها خمس قوى عظمى عام ١٨٦٢ . لقد أدرك الجنرال دى جول أهمية لبنان بالنسبة لفرنسا وقد شهد على ذلك الخطاب الذى ألقاه فى بيروت فى السابع من يوليو ١٩٤١ حيث قال فيه : "فى قلب كل فرنسى أصيل يحرك اسم لبنان شيئًا خاصًا وأستطيع أن أضيف لكم بأن ذلك يبرره أيضًا أن اللبنانيين الأحرار المعتزين بأنفسهم كانوا الشعب الوحيد فى تاريخ العالم الذى ظل قلبه على مر القرون وعلى اختلاف الظروف سواء كانت سعيدة أو مأسوية أو مصيرية ينبض دائمًا وبلا انقطاع ولو ليوم واحد وفقًا لإيقاع نبض فرنسا".

فى الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٧٥ سمحت إحدى المؤسسات البارزة لمحاضرين لبنانيين وأجانب أن يعبروا عن أنفسهم باللغة العربية أو الفرنسية أمام جمهور من المثقفين الذين ينتمون لكل الطوائف اللبنانية، وكانت هذه المؤسسة هى "دار الندوة اللبنانية" التى أسسها " ميشيل أسمار". وقد عبرت الصحافة اللبنانية بقوة عن صدى هذه التظاهرات التى شارك فيها "ميشيل شيحة" مؤسس الصحيفة اليومية "اليوم" و"جورج نقاش" مؤسس جريدة " الشرق" اليومية وكلاهما من المحاضرين أيضًا. إن هذا المكان الذى يتسم بالتبادلات قد غاب عنه صوت الأسلحة حيث كانت العبارات والكلمات تصيب هدفها، وقد جمع حتى عام ١٩٧٤ المثقفين والسياسيين ورجال الأدب والأعمال وضم مسيحيين ومسلمين ومتدينين وعلمانيين، وكانت تقريبًا معظم المداخلات تتم باللغة الفرنسية. كم يمكن أن يعود إحياء مثل هذه المؤسسة على المجتمع اللبنانى حاليًا بالخير الوفير !

إن الأدب اللبنانى الفرانكفونى لا مثيل له وهو نموذج يحتذى به ، فمنذ عام ١٩٤٨ حصر "موريس صقر" خمسمائة كاتب لبنانى يكتبون بالفرنسية. ويبقى لنا أن نذكر اثنين من فنانى اللغة هما " صلاح ستيتييه" و "جورج شحادة". إن " صلاح ستيتييه"

كان دبلوماسيا لكنه شاعر بالمولد، فهو "وسيط بين الحركة والتأمل" كما عرفته جريدة الشرق فى عددها الصادر فى ٨ مارس ،١٩٨٨ وهو يقطن حاليًا فى منزل "أجريبا دوبينى" فى ضواحى باريس كما يعد أحد أكبر الشعراء الفرانكفونيين. وقد نشر المعجبون بأعماله مؤخرًا كتابًا بعنوان " مدخل إلى عالم صلاح ستيتييه" (دار نشر " بلان سيلكس" فى منطقة " مولان سورمار" إصدار عام ٢٠٠١) ويضم دراسات وأشعارًا ومدحًا.

أما "جورج شحادة" فيُعد مسرحه جزءًا من ريبرتوار "الكوميدى فرانسيز" ومنه نذكر " السيد ببل" و "أمسية الأمثال" و " قصة فاسكو" و " إمبراطورية بريسبان " و" الفيوليت"، وقد حصل على الجائزة الكبرى للفرانكفونية من الأكاديمية الفرنسية L'Académie Française(*) عام ١٩٨٦ وقد تم تكريس العديد من الرسائل العلمية لدراسة أعماله. لقد كان شاعرًا قبل عام ١٩٥٠ وقد اكتشفه "سان جون بيرس " Saint-John Perse وهو فى العشرين من عمره وقد استطاع هذا السكندرى أن يربط – مثل الكاتبة " أندريه شديد"– بين مصر – أفريقيا ولبنان – آسيا وفرنسا– أوروبا من خلال ثلاثية فى الفكر تعبر عن القارات الثلاثة .

وتوجد شخصيتان غيرهما قد تلقيتا دراستهما الجامعية فى باريس تمت الاستعانة بهما فى الحكومة اللبنانية لتشغلا منصب وزير وهما السيد " جورج كورم" والسيد " غسان سلامة". ويقوم الوزير اللبنانى الأسبق السيد " سليم جاهل" بتدريس القانون فى جامعة باريس ١ ، ولا تعد هذه الأمثلة نادرة. لنذكر أيضًا " روبير أبى راشد " وهو موظف رفيع المستوى فى وزارة الثقافة الفرنسية . وبتوحد كامل مع الإرادة اللبنانية يعمل " جيرار شومييه" أمينًا عامًا للبعثة الفرنسية العلمانية التى استقرت فى لبنان منذ عام ١٩٠٢، وكان قد صرح فى " فرنسا والبلاد العربية" عدد

(*) أسس "ريشوليو" Richelieuعام ١٦٣٥ فى عهد الملك لويس الرابع عشر أكاديمية تضم أربعين عضواً يُطلق عليهم اسم "الخالدون" لأنهم يشغلون مناصبهم مدى الحياة ويتم التعيين عن طريق اختيار الزملاء وتهدف الأكاديمية إلى الحفاظ على اللغة الفرنسية وتطويرها ومن بين مهامها المراجعة الدورية لمعاجم اللغة الفرنسية، وهى النظير لمجمع اللغة العربية فى بلادنا.

يونيو ١٩٧٧ قائلاً : "أليس شعار البعثة العلمانية الفرنسية هو الثقافتان : ثقافتكم وثقافتنا ... إن أكبر دليل على كفاءتنا هو ذلك الطالب فى مدرسة بيروت الثانوية الكبرى الذى حصل على الجائزة الأولى فى اللغة العربية فى المسابقة العامة لسنة ١٩٩٦".

وفى مصر – وهذا أمر يشغل أيضًا المصريون – يوجد مليونى تلميذ يتعلمون الفرنسية ومليونى متحدث بها من بين البالغين. وفى جامعة القاهرة فى أبريل ١٩٩٦ أعلن الرئيس "شيراك" : "لقد مر الآن قرنان من الزمان و ها هو السحر الذى تفرضه مصر على فرنسا قد تحول إلى تاريخ طويل فى مجال التعاون". وبعد تأسيس "الجامعة الدولية للغة الفرنسية فى الإسكندرية" والتى ساهمت فى إعداد صفوة من الأفارقة يأتى مشروع الجامعة الفرنسية فى مدينة الشروق بالقرب من القاهرة . ومن المفترض أن تفتح كلية الحاسبات أبوابها فى أكتوبر ٢٠٠١ .

ومن جهة أخرى، نجد أن النقاط المهمة فى إطار الفرانكفونية هو كون العديد من مدرسى اللغة الفرنسية فى شبه الجزيرة العربية من بلاد المغرب وعلى الأخص من تونس . إن اللغة الفرنسية شريك ثقافى إقليمى تحمل مسئولية نشره ناطقون بالعربية من أجل خدمة عرب آخرين .

من هنا ، فإن قمة بيروت سوف تقودنا نحو التوسع ونشر هذا العنصر المزدوج العربى / الفرنسى الذى يُعد جزءًا أساسيا فى حوار الفكر وحوار التقاليد وحوار الثقافات الشرقية والغربية . منذ ٢٩ مايو ١٩٩٣ نقلت جريدة "الحياة" وقائع الاجتماع السابق للفرانكفونية الذى عقد فى بيروت وقد أعطت لأحد مقالاتها التى كتبها "موريس أبو نادر" عنوان : " الفرنسية ، من لغة المنتدب إلى لغة الشريك" ليؤكد مرة أخرى على أن الفرنسية شىء جوهرى فى الثقافة المحلية اليومية. من جهة أخرى، يشير تقرير نشرته مؤخرًا جامعة " سان جوزيف" ببيروت عن " تحليل الفرانكفونية اللبنانية" أن ٥٤٪ من أرباب الأسر اللبنانية يتحدثون الفرنسية فى مقابل ٤٢٪ عام ١٩٥٢ وأن فئات العمر الشابة هى التى تتمتع بمستوى أفضل فى اللغة .

معهد العالم العربى

بقلم : كامى كابانا
Camille Cabana
رئيس معهد العالم العربى

إن رسالة معهد العالم العربى الأولى هى تعريف الجمهور الغربى بالعالم العربى، وذلك يعنى أن موضوع الفرانكفونية لا يدخل بالضرورة ضمن اهتمامات المعهد المباشرة .

إلا أن قمة المنظمة الدولية للفرانكفونية التى ستنعقد هذا الخريف فى بيروت تتمحور المناقشات فيها حول حوار الثقافات، و هو موضوع يشعر معهد العالم العربى تجاهه بكثير من الألفة حيث يمثل حوار الثقافات بالنسبة له ما يشبه "الخبز اليومى" الذى يتغذى عليه. إننا نريد هذا الحوار سليماً وبناءً ، ومن هنا فنحن نتبرأ من كل من يحللونه على أنه مواجهات وصراعات .

من الواضح أنه فى ظل عالم يتجه نحو نوع من الأحادية اللغوية والثقافية فإن التطلع القوى نحو البحث عن الهوية ونحو تأكيد الاختلاف أصبح شيئًا مؤكدًا يومًا بعد يوم . ولا يمكن للعالم العربى أن يمثل استثناءً بهذا الصدد ، بل إنه أكثر من أية جهة أخرى يتمتع بوضع يسمح له بالتعرف على انعكاسات ظواهر السيطرة وقياسها قياسًا صحيحًا. إن هذا الوعى قد تم شرحه والتعبير عنه بوضوح خلال التظاهرتين اللتين نظمهما معهد العالم العربى الأولى فى مايو ٢٠٠٠ حيث عقدت المنظمة الدولية للفرانكفونية مؤتمرًا ، والثانية فى فبراير ٢٠٠١ حيث عقد المجلس الأعلى للفرانكفونية ندوة .

وخلال هاتين المناسبتين اللتين جمعتا مشاركين جاءوا من أماكن متفرقة لم نستطع أن نخفى دهشتنا بسبب تنوع وجهات النظر والمواقف التى تم التعبير عنها. إن هذه التعددية تجد مجالها بطبيعة الحال داخل العالم العربى نفسه. إذا كانت اللغة الفرنسية لا تنفصل بالطبع عن فرنسا وثقافتها فإنه من البديهى أن تكون العلاقة بهذه اللغة مرتبطة بالروابط التاريخية والجغرافية التى خلقتها فرنسا مع مختلف الدول العربية. إلا أن الانشقاقات التى يمكن ملاحظتها تستخف غالبًا بالحدود بل وتتجاهلها فى بعض الأحيان وتتجاوزها.

أميل للاعتقاد بان فرنسا واللغة الفرنسية تحتلان مكانة خاصة داخل العالم العربى أيًا كانت المتغيرات التاريخية . بفضل زيارتى لكل البلاد العربية واحتكاكى اليومى بعرب ينتمون لكل أجزاء المنطقة العربية يبدو لى أن هذا العالم العربى يشعر تجاه فرنسا واللغة الفرنسية بإحساس حقيقى بالألفة ترجع جذوره إلى إسهامات فرنسا بما أُتفق على تسميته بالتنوير Les Lumières وبثورة ١٧٨٩ . إن العرب هم ورثة حضارة عريقة وهم الذين اختاروا الفرانكفونية لأنهم وجدوا فيها طريقًا للوصول للعمومية التى يشعرون تلقائيا بأنهم جزء منها .

إن ذلك هو ما تطالب به جموع المثقفين والمبدعين المنتمين لأصول عربية والذين اختاروا الفرانكفونية. يمكننا بالتأكيد أن نقوم برصد ذلك كله من خلال المؤتمر الذى سينظمه معهد العالم العربى فى لبنان قبل انعقاد قمة الفرانكفونية التاسعة فى بيروت بأيام قليلة. وسوف تضم هذه التظاهرة كُتَّابًا من أصول عربية ناطقين بالفرنسية وسوف تدور حول موضوع " أنا واللغة الفرنسية". هكذا سيقدم معهد العالم العربى إسهامه فى حوار الثقافات هذا والذى ستمثل فيه " الفرانكفونية العربية" أحد أكثر الأراضى خصوبة .

معهد العالم العربى

إن معهد العالم العربى ثمرة علاقات قديمة ومتعددة بين فرنسا والبلاد العربية. إن هذا المركز الثقافى تم تأسيسه بعد توقيع اتفاقية دولية بين مختلف أعضاء الجامعة العربية والحكومة الفرنسية .

وقد حدد معهد العالم العربى لنفسه ثلاثة أهداف :

- تنمية وتعميق دراسة ومعرفة وفهم العالم العربى بلغته وحضارته وجهده فى تحقيق التنمية فى فرنسا .
- تشجيع التبادلات الثقافية والاتصال والتعاون بين فرنسا والعالم العربى خاصة فى مجال العلوم والتقنيات .
- الإسهام فى تنمية العلاقات بين العالم العربى وأوروبا .

ويملك معهد العالم العربى وسائلاً وسبلاً مختلفة من أجل تحقيق طموحاته ومنها متحف ومكتبة ومركز لتعليم اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية بلهجاتها المختلفة. وينظم المعهد كذلك العديد من التظاهرات الثقافية مثل المعارض والأمسيات الموسيقية والمسرحية والسينمائية فضلاً عن الندوات والحلقات الأدبية ، وللمركز أيضًا مهمة تربوية مهمة موجهة للأطفال والمراهقين سواء داخل المعهد أو خارج جدرانه وذلك من خلال معارض جوالة . وبهذا استقبلت أكثر من مائة مدينة خمسة وعشرين معرضًا كان أكثرها قبولاً تلك التى تتعلق بالعلوم العربية والموسيقى العربية والخطوط العربية والزخارف .

وبمبادرة من المنظمة الدولية للفرانكفونية تم عقد مؤتمر فى المعهد يومى ٣٠ و ٣١ مايو ٢٠٠٠ حول " الفرانكفونية والعالم العربى وحوار الثقافات" شارك فى تنظيمه المنظمة الدولية للفرانكفونية ومعهد العالم العربى وجامعة الدول العربية. وكان هذا الملتقى الذى جمع القادة البارزين للمنظمات الدولية والإقليمية هو نقطة الانطلاق للتفكير فى مسألة حوار الثقافات وهو الموضوع الذى تم اختياره للقمة التاسعة للفرانكفونية التى ستنعقد للمرة الأولى فى العالم العربى فى بيروت فى أكتوبر ٢٠٠١ .

إن معهد العالم العربى هو الواجهة الباريسية للعالم العربى ، لكنه يظل هيكلاً يتسم بالشراكة بين المؤسسات الفرنسية ومختلف أعضاء الجامعة العربية . هكذا شهد نجاح المعرض الذى أقيم عن سوريا والذى استقبل أربعمائة ألف زائر على تدفق السائحين الفرنسيين إلى سوريا فى الموسم السياحى الذى أعقب عقد هذا المعرض .

الفصل الثانى

واقع اجتماعى وسياسى

الهجرة من بلاد المغرب العربى إلى فرنسا [1]

بقلم : كريستوف مانيونيه هويشورلين
Christophe Magnenet- Hubschwerlin
طالب بالمرحلة الجامعية الثالثة جامعة باريس ١ – سوربون
قسم العلاقات الدولية والدراسات الأفريقية

إذا لم تكن فرنسا أرضًا للرحيل – حيث يوجد فقط مليون ونصف فرنسى خارج الأراضى الفرنسية – فإنها أرض استقبال منذ زمن طويل . فمن بين كل ثلاثة فرنسيين يوجد واحد له جد أو سلف أجنبى : إذن يعتبر ١٨ مليون فرنسى من سلالة أجنبية مباشرة .

خلال الثمانينيات كان يتم النظر لظاهرة الهجرة من خلال الخيال الجماعى. إن تدفق الهجرات أصبح المحرك الأساسى للخطابات السياسية والعامة بحيث طورت من الخيالات المتعلقة بالشخصيات الاجتماعية فنشأت الشخصية التى تعيش فى الخفاء والشخصية الطالبة للجوء عن غير حق والشخصية العربية التى تعيش فى الضواحى والشخصية الأصولية الإسلامية وشخصية الرجل متعدد الزوجات الذى يستنفد قدراً كبيراً من المساعدات الاجتماعية. إن الهجرة من بلاد المغرب العربى تحتل مكان الصدارة فى هذا الخيال الملىء بالرفض والنسيان والشائعات والخلط بين الأمور ، وتقوم الصحافة والخطابات السياسية بترديد ذلك وتأييده . هكذا يصبح النازح وكأنه

(١) مقال تمت صياغته فى إطار دورة تدريبية تم تنظيمها فى المجلس الأعلى للفرانكفونية . انظر كذلك : مانيونيه هويشورلين كريستوف، " خطاب الجبهة الوطنية حول العالم العربى " ، رسالة ماجستير فى التاريخ المعاصر ، جامعة باريس ١٠ – نانتير ، ١٩٩٩ .

كبش فداء لأوجاع فرنسا حاليًا، حيث يصبح متسببًا فى مشكلة البطالة ومنبع انعدام الأمن وعالة اجتماعية وسياسية .

إن ما نود إيضاحه هو أن الهجرة فرصة للثراء المتبادل ، فهى تحرك ثقافى بقدر ما هى تحرك اجتماعى وهى تؤدى إلى نوع من التهجين . إن صدام الحضارات والثقافات سببه الاقتباسات والتبادلات أكثر من الرفض، ويفرض النموذج الغربى نفسه بسرعة مذهلة . إن المشكلة لا تكمن فى رفض هذا النموذج لكن فى استحالة إجادته من قبل أطفال المهجر الذين يعانون آثار الفشل الدراسى والبطالة . ومن هنا ينشأ التشويش الذى يصيب الهوية وتنشأ ثقافة "السخرة الجديدة" (١) ، ثقافة المدينة والعصبة أو تترتب على ذلك بعض الآثار التى تبدو محدودة للغاية والتى تتجسد فى الأصولية .

إذا ما كانت هناك صعوبة حقيقية فى الاندماج فإنها تتولد عن سوء الفهم القائم بسبب الحكومات خاصة الحكومتين الفرنسية والجزائرية ، فكلاهما يظن أن الهجرة هى هجرة للعمل أى هجرة مؤقتة تستوجب العودة للوطن . إلا أنه على عكس الخطابات الرسمية فإن الهجرة التى تمخضت عن الاستعمار قد اتبعت مسار الهجرات الأخرى نفسها وترسخت تدريجيا داخل المجتمع الفرنسى .

من الواضح والجلى أن توضيح وتفسير ظاهرة النزوح أمر ضرورى .

إن النزوح من بلاد المغرب الغربى ليس متجانسًا؛ انطلاقًا من فكرة أن تونس والمغرب والجزائر لا ترتبط كل منها بالأوضاع والقوانين ذاتها فى علاقاتها بفرنسا. هكذا ، نجد أن الهجرة الجزائرية مختلفة عن الهجرة المغربية والتونسية . ومن جهة أخرى ، توجد فوارق كبيرة اليوم بين الرجال والنساء ذوى الأصول الأجنبية من المنظور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى . إن النظر إلى الشباب الحالى يظهر بوضوح أنه جيل من الفتيات والفتيان الشباب الذين يبذلون جهدًا كبيرًا ملحوظًا من أجل تحقيق الاندماج .

(١) فرانسوا دوبيه François Dubet ، "السخرة ، شباب يحاولون البقاء على قيد الحياة" ، دار نشر سوى" ، مجموعة "بوان أكتويل" ، باريس ١٩٩٥ .

تطور الهجرة :

يوجد فى فرنسا حاليًا ٣,٥ مليون أجنبى وفقا للإحصاء الرسمى أى ما يعادل ٦,٣٪ من سكان العاصمة وذلك فى مقابل ٦,٨٪ عام ١٩٨٢ و ٦,٦٪ عام ١٩٣١ . إن الأهمية النسبية للسكان الأجانب لا تتغير كثيرًا بل تميل إلى التناقص منذ عشر سنوات بسبب القواعد المقيدة التى تم تطبيقها فيما يتعلق بالهجرة والتى تضاعفت منذ عام ١٩٩٣ . ومن ناحية أخرى ليس من اليسير أن يتم تحديد عدد الأجانب الذين يعيشون على الأراضى الفرنسية بالضبط حيث تفتقر الإحصاءات إلى الدقة وتوجد هجرة سرية لا تخضع لأى إحصاء . وبعض الفرنسيين يتم النظر إليهم حتى الآن – بدون وجه حق – على أنهم أجانب وهم الأفراد الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية سواء بطلب الجنسية أو بالميلاد (حيث إنهم قد ولدوا فى فرنسا ولكن من أبوين أجنبيين) . إذن فمشكلة الاندماج تهم قاعدة من السكان أكثر اتساعًا من شريحة الأجانب بمعناهم المعروف . وإذا ما كانت حدود الجنسية لا تتسم دائمًا بالوضوح فإن ١٤ مليون شخص أى ما يعادل ربع عدد السكان يعتبرون أجانب أو أبناء أو أحفاد أجانب .

لقد نشأت الهجرة وتشكلت حتى منتصف الستينيات بسبب تدفق الهجرات القادمة من بلاد متوسطية مجاورة مثل إسبانيا وإيطاليا والبرتغال ثم اتسعت حركة الهجرة بعد ذلك لتمتد إلى رعايا بلاد المغرب العربى وأفريقيا السوداء ثم الشرق الأوسط والأدنى خاصة تركيا وجنوب شرق آسيا. وفى الوقت نفسه ، أضيف إلى شباب العاملين هؤلاء لاجئون سياسيون ونساء وأطفال قدموا فى إطار المشروع الاجتماعى الخاص بلم شمل الأسرة. إن نسبة الأشخاص ذوى الأصول الأفريقية (بما فى ذلك بلاد المغرب العربى) قد ازدادت بوضوح لتصبح ٤٥,٨٪ بعد أن كانت ٣٤,٦٪ .

وتتردد كثيرًا مقولة " إنهم فى تزايد مستمر " . ومع ذلك ، فمنذ عام ١٩٧٤ بدأ تدفق المهاجرين يتناقص حيث صدرت فى العام نفسه القيود الأولى التى تتعلق بالهجرة . وبينما كان يدخل إلى البلاد سنويا ٢٠٠ ألف أجنبى منذ عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٧٤ أصبح العدد يتراوح بين ٨٠ الف و ١١٠ ألف منذ عام ١٩٨٥ و ٩٤ ألــف فــى عـام

١٩٩٣ . ووفقًا لآخر إحصاء (١٩٩٠) فإن بلادنا تضم ٣,٦ مليون أجنبى منهم ٢,٩ مليون قد نزحوا إلى فرنسا و ٧٠٠ ألف أجنبى ولدوا فيها ويوجد بها ٤,٢ مليون مهاجر منهم ١,٣ مليون أصبحوا فرنسيين . وعلى عكس ما يتردد فإن فرنسا ليست استثناء فيما يتعلق بنسبة الأجانب الذين يعيشون فيها فهى تحتل المركز الخامس فى غرب أوروبا بهذا الشأن بعد لوكسمبورج وسويسرا وبلجيكا وألمانيا .

إن دوافع النزوح قد تطورت وتسمح بتفسير ظاهرة الهجرة بشكل أفضل. إذ إن نصف حالات الهجرة تتم اليوم بسبب سياسة لم شمل الأسرة (الذى كان يمثل ربع نسبة الدوافع بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٦٠) فى حين لا يمثل دافع البحث عن عمل أو عن عمل أفضل سوى ٢٠٪ (فى حين كان يمثل ٥٠٪ من نسبة الدوافع بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦٠) وذلك بسبب القيود المفروضة على دخول البلاد . إن الجزء الأكبر من الأجانب يأتون من أفريقيا خاصة من بلاد المغرب العربى . ويبدو أن القادمين من بلاد المغرب مشتتون بين تطلعات متناقضة : فغالبيتهم يفضلون أن يصبح أبناؤهم فرنسيين ، إلا أن فكرة زواجهم من فرنسيات أو فرنسيين لا تروق لهم إطلاقًا ، وعلى المستوى الشخصى فإنهم لا يتمنون مغادرة فرنسا فى الوقت الحالى لكنهم مازالوا يتمنون أن يعيشوا أيامهم الأخيرة فى البلد الذى نشأوا به . إن مهاجرى الستينيات الذين تركوا كل شىء ليعملوا فى فرنسا يتمنون دائما العودة إلى بلادهم على الرغم من تقدمهم فى العمر ونقص إمكاناتهم [١] .

إن السكان الأجانب الذين يمثلون شريحة عمرية أكثر شبابًا من السكان الفرنسيين يتميزون فى مجملهم بتفوق ذكورى وخصوبة أكثر ارتفاعًا من الفرنسيين الأصليين. فالسكان الأجانب يعطون للبلاد ١٢,٧٪ من المواليد إلا أن خصوبة النساء تتساوى تدريجيا مع خصوبة الفرنسيات .

(١) ريبورتاج للنشرة التليفزيونية التى قدمت فى الواحدة ظهرًا على القناة الثانية الفرنسية حول " موضوع العودة للوطن لمهاجرى الستينيات " ٢٩ مايو ١٩٩٩ .

الهجرة من بلاد المغرب اليوم :

قام معهد الدراسات الديموجرافية عام ١٩٩٩ باستقصاء مهم استمر سنتين قام خلالهما متخصصون وخبراء بسؤال ١٣ ألف أجنبى مستقرين فى فرنسا، وجاءت نتيجة الاستقصاء لتدحض العديد من الأفكار الموروثة عن مسألة الهجرة إلى فرنسا . تم هذا الاستقصاء فى صورة استمارات سرية تتعلق بالالتحاق بالتعليم وباللغة المستخدمة داخل المنزل وبالعلاقات بالجنس الآخر وبالممارسة الدينية ... إلخ . وقد استلزم هذا الاستقصاء حشد عشرات الباحثين وخمسمائة شخصًا يقومون بالاستقصاء وخمسين مترجمًا ، وشمل البحث سبعة دول أو مجموعات دول تمثل ٦٠٪ من السكان المهاجرين : إسبانيا والبرتغال والجزائر والمغرب وتركيا وأفريقيا السوداء وجنوب شرق أسيا . وفيما يتعلق بالهجرة من بلاد المغرب ظهرت من خلال هذا الاستقصاء بعض الملاحظات :

- كان من المعتقد أن الهجرة القادمة من أوروبا غالبًا ما تندمج أكثر داخل المجتمع حيث إنها أقدم الهجرات ، إلا أن الاستقصاء أظهر أن ١١٪ فقط من أبناء الجزائر يريدون العودة إلى البلد الأصلى لآبائهم فى حين تبلغ النسبة لأبناء الإسبان ٢٨٪ .
- فيما يتعلق بالشق الدينى كانت هناك خشية من تزايد التطرف الإسلامى فى حين أن أبناء البرتغاليين والإسبان يمارسون طقوس دينهم أكثر من ممارسة الجزائريين لدينهم حيث يعلن ما يقرب من نصف الجزائريين أنهم بلا دين أو غير ممارسين لدينهم وتبلغ نسبتهم ٢ من كل ثلاثة أبناء .
- فيما يتعلق بالشق اللغوى ، ٩١٪ من أبناء أو أحفاد الإسبان المولودين فى فرنسا مازالوا يتحدثون بلغة أبائهم فى حين ٦٩٪ فقط من أبناء الجزائريين يتحدثون اللغة العربية . وبالنسبة للجيل الثانى من المهاجرين فى فرنسا نجد أن النسبة تصبح ٣٥٪ للغة الإسبانية و ٢٤ ٪ بالنسبة للغة العربية.
- وفيما يتعلق بالاختلاط بالشباب من الفرنسيين والفرنسيات نجد أن نصف الفتيان وثلث الفتيات من ذوى الأصول الجزائرية يعيشون فى علاقات حرة مع

فرنسيين أو فرنسيات أصليين . كما نجد أن ثلثى أبناء الزيجات المختلطة يتزوجون من فرنسيين أصليين .

- وفيما يتعلق بالجانب الدراسى فإن الشباب ذوى الأصول التى ترجع لبلاد المغرب يتفوقون غالبًا على الشباب البرتغالى فى الدراسة إلا أن البرتغاليين يتمتعون بمزايا عند التحاقهم بالعمل : فنسبة البطالة بين الشباب ذوى الأصل الجزائرى ضعف نسبة البطالة فى متوسطها بين الشباب الفرنسى . ونجد أن الشباب الأسيوى هو أكثر من يسارع فى الاندماج داخل المجتمع . إلا أنه بصفة عامة نجد أن المهاجرين - أيًا كانت أصولهم العرقية - الذين ينتمون للجيل الثانى قد استطاعوا الخروج عن دائرة الطبقة العمالية بدرجة أكبر بالمقارنة بمتوسط عدد أبناء الفرنسيين الذين ينتمى آباؤهم لهذه الطبقة .

قام المجلس الأعلى للوسائل السمعية والمرئية Conseil Supérieur de l'audiovisuel (CSA) باستفتاء لصالح مجلة " لونوفال أوبسرفاتور" Le Nouvel Observateur وراديو فرنسا الدولى وتليفزيون فرنسا استهدف المهاجرين عامة و " البور"(*) les Beurs أبناء العرب المهاجرين والفرنسيين الذين يعيشون خارج فرنسا للتعرف على رأيهم فى فرنسا (١) . وجاءت النتائج لتظهر شعورًا واضحًا بالعنصرية ضد مهاجرى بلاد المغرب فى فرنسا . ويضع الشباب من أبناء المهاجرين العرب " البور" les Beurs هذه الخشية فى مركز الصدارة بالنسبة لما يثير قلقهم فى الوقت الذى لا يأتى فيه هذا الأمر سوى فى المرتبة السابعة للسكان عامة، حيث تحتل البطالة ومشكلة الفقر

(*) كلمة Beur من الكلمات المستحدثة فى اللغة الفرنسية العامية وأصلها كلمة Rebeu التى تعنى العربى بشكل عام وشباب العرب من الجيل الثانى الذين يعيشون فى فرنسا ويحملون الجنسية الفرنسية بشكل خاص وقد اخترنا لترجمة هذه الكلمة " أبناء العرب المهاجرين". وقد تحولت كلمة rebeu إلى beur بسبب ظهور لغة عامية اصطلاحية خاصة بالشباب يطلق عليها "فارلان" Verlanتنص على عكسى مقاطع الكلمة بحيث يتم النطق بها بشكل عكسى أى من نهاية الكلمة إلى أولها. وهى لغة ابتدعها الشباب فى فرنسا رغبة منهم فى ايجاد لغة خاصة بهم لا يفهمها البالغون وتنتشر هذه اللغة بصفة خاصة فى الضواحى .

(١) استفتاء قام به معهد CSA لصالح مجلة " لونوفل أوبسرفاتور " و راديو فرنسا الدولى وتليفزيون فرنسا فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٦ .

الصدارة بالنسبة لهم . ومع ذلك ، وجدنا أن الأفراد الذين تم سؤالهم يشعرون بثقة كبيرة فى مؤسسات الجمهورية مثل العدالة والجهات الإدارية . ومما يشعر أبناء العرب بصدمة وحساسية تجاه هذه العنصرية اليومية هو كونهم قد ولدوا وتربوا فى فرنسا ودرسوا فيها ونشأوا على قيم الجمهورية . ومن هنا اكتشفوا - ودفعوا ثمن ذلك غاليًا - أنه لا يكفى أن تكون فرنسيا لتكون بمنأى عن العنصرية .

غموض الأوضاع :

تظهر سلسلة من ثلاثة تحقيقات صحيفة قامت بها " يامينا بنجويجى " Yamina Benguigui عام ١٩٩٨ عن المهاجرين فى فرنسا ذلك الغموض الذى يحيط بوضع رعايا بلاد المغرب الذين دعتهم فرنسا للقدوم والذين اندمجوا إلى حد ما داخل هذا البلد اليوم .

الآباء :

لقد وصلوا إلى فرنسا خلال الأعوام التى كانت فيها فرنسا فى أوج نموها . وكانت الفكرة السائدة هى أن هذه الهجرة مؤقته ومفيدة لإعادة بناء فرنسا . ويؤكد " فرانسوا سيراك " François Ceyrac رئيس المركز القومى للصناعات والتقنياتCNPF فى الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٨١ على أن المهاجرين كانوا يعتبرون آنذاك مواطنين فرنسيين - مسلمين بالتأكيد - " لكن لم يكن هناك شعور باستدعاء أناس غرباء على فرنسا على عكس الحال بالنسبة للإيطاليين والبرتغال . حتى ولو كانت هناك مشكلات خاصة بالجزائر فقد كانوا جميعهم مواطنين فرنسيين . ورعايا بلاد المغرب العربى أنفسهم كانوا يريدون أن يصبحوا فرنسيين عندما تعلموا القراءة والكتابة باللغة الفرنسية إلا أنهم اصطدموا بالتجاهل و الازدراء من جانب المجتمع الفرنسى .

ويصرح " عمر صمويلى " مدير مرصد شياخة الهجرات من خلال هذا الريبورتاج أن الهجرة لم يكن هدفها أبدًا أن تشكل قاعدة سكانية داخل فرنسا - وكانت فكرة

العودة محفورة داخل عقول العاملين والمسئولين عن العمل ، لذلك " لا يمكن تصور المهاجر إلا فى زى العمل الأزرق " . إلا أن النمو تباطأ خلال السبعينيات فنشأت إشكالية الهجرة مما دفع الحكومة إلى القيام " بشىء إنسانى " ألا وهو نظام لم شمل الأسرة .

الأسر :

ويذكر " عمر صمويلى " أن " الهجرة التى جاءت بالمصادفة أصبحت منسقة على نحو بنيوى خلال ما يقرب من عشرة أو خمسة عشر عامًا . كيف سيتسنى لهؤلاء الأطفال والنساء أن يعيشوا من الآن فصاعد داخل البلد الذى استقبلهم"، وهنا فرضت مشكلة اجتماعية نفسها على الحكومات الفرنسية ألا وهى إمكانية استقرار مجتمع جزائرى داخل المجتمع الفرنسى . وقد صور هذا الكلام "جون نوال شابولو" Jean Noël Chapulut الأمين العام للجنة الوطنية لإسكان المهاجرين فى الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨١ حيث ندد من خلال سلسلة من التحقيقات الصحفية بهذه الهجرة العائلية غير المحسوبة فيما يتعلق بإمكانات تحسين الهياكل الموجودة بالفعل . إن تحمل مسئولية نفقات هذه الأسر مرتبط باندماج الفلاحين داخل المجتمع العمرانى الحديث كما صرحت " إيزابيل ماسين " Isabelle Massin المسئولة عن مهمة القضاء على السكن غير الصحى فى الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ . وتؤكد من خلال الريبورتاج على أن اندماج هذه الأسر يتم " وفقًا لنموذج العائلة الفرنسية حيث الآباء يعتنون جيداً بأبنائهم " . ويوجد جهاز كامل يسعى لهذا الدمج وهو يتبع الخدمات العامة والإدارات ، ومن جانب أسر المهاجرين يتمنى الآباء أن يظل أبناؤهم فرنسيين ، لأن حياتهم الحقيقية داخل فرنسا حتى لو ظلوا هم أنفسهم جزائريين رغم كل شىء .

هكذا يتعين أن نلحظ – على غرار " دليل أبو بكر " إمام مسجد باريس –أنه مع مرور الوقت ستدخل الأسرة المسلمة تدريجيا فى إطار عملية الاندماج داخل الأسر الفرنسية . وسيتم ذلك بصورة أكثر يسرًا طالما أن العلاقة بالدين الإسلامى متوازنة بشكل كاف . إن العائق الثقيل الذى كان يواجه الأسرة المسلمة بسبب أميتها أو بسبب

أصولها الريفية أساساً قد حل محله فى الوقت الراهن محاولة خلق نمط أسرى يتم فيه البحث عن وسائل لتحقيق توازن جديد بين التقاليد والحداثة .

الأبناء :

وهم الأبناء الذين ولدوا فى فرنسا أو قدموا إليها فى سن صغيرة فى إطار برنامج لم شمل الأسرة . إن هؤلاء المهاجرين من بلاد المغرب والذين ينتمون للجيل الثانى يعيشون وضعًا صعبًا ، فحتى فى بلادهم الأصلية يتم النظر إليهم على أنهم نازحين . لذلك ينمو داخلهم شعور بالكراهية والبغضاء تجاه النظام الفرنسى الذى يستبعدهم ويقصيهم . " العالم الرابع الموجود على بعد عشرة كيلو مترات من الشانزلزيه " هكذا يصوره أحد الشباب الذين يعيشون فى هذه المدن الصفيحية الفقيرة والذى أجرت معه " يامينا بنجويجى " حواراً، واستمر هذا الشاب فى التنديد بسلوك آبائه الذين ارتضوا الذل والمهانة بثمن بخس . إلا أن الأطفال فرنسيون ويذهبون للمدارس الفرنسية ، ومن هنا تنمو بداخلهم أزمة هوية . " إن الأنصبة المفروضة لأبناء المهاجرين كانت دائمًا أقل فيما يتعلق بالمعسكرات الصيفية والسكن ... لكن عندما كبرنا صرنا فرنسيين خاصة عندما أصبح الأمر يتعلق بالخدمة العسكرية وبالضرائب ! فى الضواحى ، توجد أزمة ثقة نابعة من أزمة فى الهوية " فالشباب الفرنسى يتم النظر إليه على أنه شباب أجنبى ، فما هو إذن تعريف الهجرة؟ وما الذى يعنيه الاندماج ؟ أنا فرنسى ، فرنسى ومسلم ! " . وقد أدى ذلك إلى مسيرة قادها أبناء المهاجرين العرب "البور" **Les Beurs** فى ديسمبر ١٩٨٣ مطالبين " بالمساواة فى الحقوق وبمناهضة العنصرية " . وقد كان شعار هذه المسيرة : "لنعش معًا رغم اختلافاتنا " وقد أدت هذه المسيرة إلى وجود رؤية أوضح فيما يتعلق بأبناء الهجرة ويقف " رشيد قاسى " العضو المنتخب المحلى عند هذه النقطة فى أثناء إجراء الحوار معه فيقول: "لا توجد فوارق بين الناس إنما الصور هى التى تصنع الفوارق . فحياة " ميشيل " ستكون دائما أكثر سهولة من حياة " محمد " .

والدليل على ذلك هو الصعوبة التى يجدها هؤلاء الشباب فى البحث عن عمل ثابت ودائم . "فى مجملهم لا يطلب أبناء العرب المهاجرين Les Beurs سوى الاندماج داخل المجتمع الفرنسى ذلك المجتمع الذى ولدوا أو نشأوا به . فى غالبية الوقت نجدهم لا يتحدثون سوى الفرنسية ولا يشعرون براحة فى بلاد آبائهم والتى ترفضهم فى الوقت ذاته . إنهم يرفضون الاشتراك فى ترديد النشيد التقليدى الخاص بالعودة والذى يردده الآباء ، فهم يشعرون بالاندماج داخل ثقافة قائمة على الحرية ورفاهية الحياة العصرية بل إنهم يرفضون حتى لفظ " الاندماج " حيث يرونه لا يستخدم فى موضعه ويعتبرون أن وصفهم بالمهاجرين إهانة حتى ولو كانوا مهاجرى الجيل الثانى " (١) .

إن هذا الذل هو الدافع الأول وراء انتقاد أبناء المهاجرين للنظام الفرنسى المنادى بالاندماج . إن والد " رشيد قاسى " مهاجر عامل شغل كافة الوظائف المخصصة للمهاجرين . لقد عاش هذا الوضع فى خزى واليوم هو لا يلفظ فرنسا ولا الفرنسيين ولكنه يكره سلوك بعض الفرنسيين الذين " هضموه حقه وأذلوه " . لقد كان هذا الذل مقبولاً لأنه مرتبط بشكل أساسى بوضع المهاجر وقد كان مختلطًا بالخوف : الخوف من الطرد والخوف من الشرطة والخوف من السلطة ، إنه خوف قد تحول اليوم إلى كراهية فى بعض الأحياء . إن رفض السلطة يعود من جديد من خلال أحداث تعيشها مدن الضواحى والأحياء المسماة " بالأحياء الحساسة " حيث يبدو أن الشباب فى هذه الأحياء يغطى على الابتزاز المدنى للبعض – إن مشكلات الضواحى ومشكلة التيار الإسلامى ومشكلات الاستبعاد تجعل هؤلاء الأطفال يعيشون دائمًا ورغم كل شىء فى إطار من الخوف، فلا هم ينتمون لبلاد المغرب ولا هم فرنسيون . وكما يقول " رشيد قاسى": " إننا نلعب مع فرنسا لعبة " أنا أحبك لكن أنا لم أعد أحبك " .

إن القالب الفرنسى لايزال مختبرًا للهوية وللثقافة ، حيث لا مكان للمرجعيات العرقية والطائفية . لقد صاح " ميرابو " Mirabeau قائلا منذ عام ١٨٨٩ : " إن المملكة هى مجموعة متراكمة من الجنسيات " . وذلك يؤكد على أهمية المكانة التى احتلها

(١) عبارة مذكورة فى كتاب " رولان جاكار " Roland Jacquard " فتوى ضد الغرب " ، باريس ، دار نشر ألبان ميشيل ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٨

ومازال يحتلها اليوم الأشخاص ذوو الأصول الأجنبية داخل التاريخ الجماعى لفرنسا الملكية ثم الجمهورية . فكل منهم يحضر معه زاداً ثقافيا يساهم فى إحداث اندماج فعال يثرى الهوية الجمعية ويفعلها ويعيد خلقها وتشكيلها بفضل هذه العناصر الجديدة التى تدخل عليها . بذلك يمكن فى الوقت ذاته أن يكون المرء فرنسيا ومسلماً أو يهوديا أو ملحداً وأن ينتسب للهوية الفرنسية والفرانكفونية القائمة على التبادلات والاقتباسات المشتركة .

ويتعين الانتباه لعنصر جديد : فمنذ التسعينيات اكتسبت الفتيات (*) Les Beur-ettes اللاتى يطلق عليهن اسم " بنات العرب المهاجرين " استقلالية مزدوجة تجاه الرجال من ناحية وتجاه المجتمع الفرنسى من ناحية أخرى ويؤكد " جون ميشيل جايت " Jean Michel Djaït (١) أن هذه الظاهرة الاجتماعية تعكس فى الواقع حب هؤلاء الفتيات للدراسة مما يقودهم نحو نجاح محقق بحيث تصبحن بفضل هذا النجاح ممثلات مزدوجات الثقافة للاندماج الاجتماعى . إن الصعوبة المزدوجة المتعلقة بالتبعية لأولياء الأمور خاصة والرجال بصفة عامة وبعدم الاندماج داخل المجتمع أصبحت نصراً مزدوجاً . وبفضل إرادة قوية ورغبة فى الخروج على الإطار التقليدى للأسرة المهاجرة استطاعت تلك الفتيات أن يندمجن داخل العالم المهنى والوظيفى ليس فقط بفضل جديتهن فى العمل ، لكن أيضاً بفضل الثقة فى سيرتهن الذاتية .

إن هذا النجاح الاجتماعى تحول إلى موضوع للدراسة من قبل بعض علماء النفس الذين يرون فيه نجاحًا لازدواجية الثقافة . فبنات العرب المهاجرين Les Beur-ettes يمثلن اليوم فى الواقع نقطة الالتقاء بين الثقافة الفرنسية وهى ثقافة البلد المستقبل والثقافة العربية الإسلامية وهى ثقافة بلد الرحيل . ومع هذا الاندماج الناجح تسقط التابوهات خاصة تلك التى تتعلق بالزواج المختلط الذى أصبح الآن يحمل اسم الزواج مزدوج الثقافة . إن التهجين الذى ينشأ عن هذا الزواج يكون كالجسر بين

(*) مؤنث : Les Beurs
(١) جون ميشيل جايت ، " بنات العرب المهاجرين ، رأس الحربة فى عملية الاندماج " ، مجلة " عربيات " ، يوليو - أغسطس ٢٠٠٠ .

الثقافتين، فهؤلاء الفتيات يسمحن للثقافة العربية الإسلامية بأن تعلن عن نفسها داخل المجتمع الفرنسى .

إلا أن ذلك لا يعنى التخلى عن ثقافة المنشأ ، " إن اختلافاتنا هى مصدر قوتنا! إننى أشعر بأننى من بلاد المغرب فى خيالى . ربما يبدو ذلك غير معقول بل وبلا معنى ولكن بالنسبة لى فرنسا هى بلد الواقع والتكنولوجيا ، وعلى الجانب الآخر فبلاد المغرب هى بلد الراحة والاسترخاء والهدوء فى العيش . وأشعر أننى مواطنة كاملة الأهلية فى البلدين ! أشعر أننى فى الوقت نفسه مغاربية (*) بالكامل وفرنسية بالكامل " هذا ما أكدته مهندسة معمارية شابة من أصل مغاربى .

إن " نور الدين جبريل شرقاوى " وهو مسئول سابق عن شباب حزب التجمع من أجل الجمهورية (RPR) قد كتب لإحدى الشابات ذات الأصل العربى فى " نصر مسروق ، خطاب إلى الشيراكيين فى العام الثانى " : " إنك فرنسية من أصل أجنبى مثل الكثيرين، إذن فأنت ببساطة فرنسية " .

إن مواطنة هؤلاء الشباب الفرنسى الذى نشأ فى ظل الهجرة قد تأكدت عندما أخذت الدولة بعين الاعتبار مشكلات الأحياء الحساسة من منظور ثقافى يتعلق بالهوية . فى الواقع ، ووفقًا لقرار المجلس الوزارى الداخلى للمدن قام " برنارستازى Bernard Stasi " وسيط الجمهورية بتعيين " خضرة جادو" ، فى مارس ٢٠٠٠ وهى دارسة للقانون- مندوبًا لوسيط الجمهورية فى الأحياء الحساسة . إن هذه الفرنسية ذات الأصل الجزائرى هى المندوبة الأولى لسلسلة طويلة تبرهن على الإرادة الحكومية فى إعطاء الشباب المسئولية .

(*) نستخدم لفظ "مغاربى "Maghrébin للإشارة إلى بلاد المغرب العربى فى مجملها بينما تقتصر كلمة "مغربى "Marocain على دولة المغرب فقط .

الهوية والتمثيل السياسى :

" حنيفة الشريفى " وسيطة وزارة التعليم فى قضية ارتداء الحجاب الإسلامى ومؤسسة دار القبيلية فى فرنسا تتمنى أن تكون قضية اندماج المهاجرين مطروحة بصفتها قضية هوية وليست قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية . فالأمر يتعلق بهويات تعيش فى معاناة فى فرنسا التى لم تقم باسترجاع ذاكرتها خلال الحقبة الاستعمارية ، إنها هويات تعانى من عدم الاعتراف بها داخل جمهورية علمانية تتحدث الآن عن علمانية مفتوحة أو متعددة . إن " حنيفة الشريفى " تتساءل عما إذا كان فى الإمكان الاستمرار فى معالجة قضية الاندماج داخل المجتمع من وجهه نظر سياسية فقط وخاصة بكل مدينة مع تجاهل بعد الهوية والثقافة الذى يعانى منه أبناء المهاجرين ، علمًا بأنه بعد يفرض نفسه حتى داخل المدرسة . منذ مسيرة أبناء العرب المهاجرين Les Beurs أصبح نظام الدمج الاجتماعى الفرنسى متعثرًا . وأكبر دليل على ذلك غياب منتخبين من المهاجرين فى مختلف التمثيلات السياسية . فعلى الرغم من وجود " كريم كريبى " فى حزب حركة المواطنين " (MDC) le Mouvement des citoyens وسمير ناير " فى الحزب الاشتراكى وحزب MDC و " توفاء صايفى " فى حزب تجمع الشعب الفرنسى RPF وعلى الرغم من بعض الديناميكية الواضحة فإن الشباب الفرنسى من أبناء المهاجرين لايندمج إلا قليلاً فى القطاع السياسى الفرنسى وتنادى العديد من الشخصيات الفرنسية والعربية بتغيير نموذج الدمج الجمهورى ليأخذ فى الاعتبار الأبعاد الشعورية والثقافية للهوية .

وتؤكد " جاكلين كوستالاسكو " Jacqueline Costa-Lascoux مديرة الأبحاث بالمركز القومى للبحث العلمى (CNRS) بأن لب قضية الدمج الاجتماعى هو وجود فكرة التعايش والمشاركة بين ذاكرات متشابكة ومتعددة . إن الظلم يكمن فى تقليص المهاجرين إلى هوية يتم دومًا مراجعة وتصحيح أصولها من قبل من لا يحملون لقب " مهاجرين " .

إن إعادة توزيع أوراق اللعبة السياسية تظهر أن الفرنسيين المهاجرين يدخلون المجال السياسى ولكن ليس فقط عن طريق النضال والتحالف . بالنسبة لـ " توفا

صـايفى " وهى نائبة أوروبية " فإنه لا يوجد عدد كاف من الفرنسـيين ذوى الأصـول المهاجرة على القوائم الانتخابية! توجد فجوة كبيرة بين قلة التمثيل وعدد الفرنسيين ذوى الأصول المهاجرة والذين يناضلون فى جمعيات أو أحزاب سياسية . توجد مشكلة حقيقيـة فى الاعتـراف بهم ، وتوجد مشكلة أكبر تكمن فى العدد الضـئيل جداً من المنتخبين الذين ينتمون لهذه الشريحة من السكان الفرنسيين لكننى أشعر أن ذلك سيتغير قريباً . أتمنى أن يدخل الفرنسيون ذوو الأصول المهاجـرة الجمعية الوطنية عام ٢٠٠٢ " (١)

إن هذا التمثيل الضرورى لابد أن يأخذ فى الحسبان إرثًا ثقافيا عـربيا بربريا ومسلمًا وأن يجعله مقبولاً من المجتمع الفرنسى فى مجمله .

خيار الاندماج :

إن كلمات مثل " تماثل " و " اندماج " يتم دائمًا استخدامها بالمعنى نفسه فى حين أن لكل منهما مفهومًا مختلفًا عند التعـامـل مع الأجـانب، وذلك ما أشار إليه كل من " مـارتين أوبـرى " Martine Aubry، و " أوليـفييـه ديومال " Olivier Duhamel .(٢) كل منهما يعارض التفرقة والفصل ويعارض أيضا المفهوم الإنجليزى للحياة الجماعية .

إن " التمـاثل " يسـتلزم التـقليص ومن ثم المحـو للفـوارق اللغـوية والثـقـافـيـة والاجتماعية والدينية ، إنه ينفى الخصائص المتعلقة بجذور كل فرد . أما "الاندماج" فهو يعنى الإمكانية الممنوحة للأجانب للاستفادة من الحقوق الممنوحة للفرنسيين فيما يتعلق بالتعليم والصحة والإسكان ويطالبهم فى الوقت نفسه باحترام القيم الأساسية للبلاد مثل الاعتراف بالعلمانية ورفض تعدد الزوجات وتطبيق التسامح . إلا أن " الاندماج " يعترف أيضا بحق الأجانب فى الاحتفاظ بمرجعياتهم الثقافية الخاصة بهم طالما أنها لا تتعارض مع الأسس التى يقوم عليها المجتمع الذى استقبلهم . فمن غير المجدى أن

(١) جون ميشيل جايت ، " فرنسا والهجرة : الإدراج السياسى المتوقع " ، مجلة " عربيات " ، فبراير ٢٠٠٠ .
(٢) مارتين أوبرى وأوليفية ديومال ، " المعجم الصغير لمحاربة اليمين المتطرف " ، باريس ، بوان سوى ، ١٩٩٥ .

تلزم أناسًا بالتخلى فجأة وبعنف وبالكامل عن كل تقاليدهم وعما يشكل هويتهم وإلا سيحدث ما هو عكس ذلك تمامًا حيث يكون الطريق ممهدًا للأصولية والإرهاب . وبهذا الشكل يكون بالطبع لكل فرد الحق فى ممارسة شعائره الدينية طالما تتم فى إطار شخصى ولا تمثل أية إلزام للآخرين .

إن الاندماج يفترض وجود إرادة فعالة من جانب هؤلاء الذين نقدم لهم عرض الاندماج لكنه يفترض أيضًا وجود قناعة من جانب المجتمع الذى سيعرض عليه الاندماج بأنه سيحقق ثراءً كبيرا بفضل الاختلافات . إن ما يميز الاندماج بشكل أساسى هو القبول بكل القيم المشتركة وهو بذلك يندرج فى إطار التقليد العام الذى يميز فرنسا .

وهناك مؤشرات تسمح لنا اليوم بأن نقيم ونقدر تطور هذا الاندماج ومن هذه المؤشرات الحصول على الجنسية الفرنسية، حيث أصبح العدد فى تزايد فيما يتعلق بهؤلاء الذين يطلبون الحصول على الجنسية خاصة من بين الذين يقيمون منذ زمن فى فرنسا . إن تعديل قانون الجنسية لعام ١٩٩٣ والذى كان يفرض على الشباب المولودين فى فرنسا من آباء أجانب أن يعبروا عن رغبتهم فى أن يصبحوا فرنسيين بين سن السادسة عشرة والواحد والعشرين بدلاً من أن يكون الحصول على الجنسية تلقائيا – إن هذا التعديل قد تم النظر إليه على أنه رغبة فى الاستبعاد من جانب هؤلاء الشباب وأسرهم .

ومن بين المؤشرات الإيجابية للاندماج الاجتماعى العدد المتزايد للزيجات المختلطة (١) . إن هذا التحليل مثير للاهتمام بشكل خاص للشباب الذين نشأوا أو تربوا فى فرنسا علمًا بأن آبائهم كانوا متزوجين بالفعل عند دخولهم إلى فرنسا أو كانوا بالغين وبالتالى متأثرين بشدة ببلادهم الأصلية .

إن هذا النوع من الارتباط يزداد كذلك بين الشباب من عائلات ذات أصول جزائرية أو مغربية ، فاليوم نجد أن نصف الشباب و ٢٥٪ من الفتيات ذوات الأصل

(١) ميشيل تريبالاه Michele Tribalat، " بناء فرنسا ، " لاديكوفارت / إيسيه " ، ١٩٩٥ .

الجزائرى يعيشون مع رفيق فرنسى . إلا أنه من الضرورى أن نقول بأن لدى الشباب ذوى الأصول التى ترجع إلى بلاد المغرب مشكلات وصعوبات مهنية حتى إن مقاومة النموذج الثقافى التقليدى يقودهم إلى تأخير سن بدء الحياة الزوجية . ومن جهة أخرى ، تحمل الفتيات ثقلاً لتقاليد ثقافية صعبة لكن إذا ما تطور الزواج المختلط فإن ذلك يعنى أن عملية الاندماج فى تزايد . إن تحسين ظروف الإسكان والتعليم واكتساب اللغة الفرنسية - كل ذلك يؤكد حقيقة أن الاندماج يسير فى الطريق السليم . وفى المقابل ، فإن الوضع المترتب على البطالة وعلى إيواء الأحياء التى تعانى من المشاكل المتراكمة للأجانب يتعارض مع عملية الاندماج ويؤدى إلى فصل الشباب الذين يعانون الفشل الدراسى والانحراف عن المجتمع مما يتسبب فى حالة من اليأس .

إن تحقيق سياسة اندماج حقيقية لابد أن يتم بالطبع من خلال تحسين الظروف المعيشية للناس عن طريق محاربة البطالة والاستبعاد والشعور بعدم الأمان . إن السياسات شاملة ويتعين أن يتم تطبيقها على الجميع سواء كانوا فرنسيين أم أجانب وأن يتم الخروج من دائرة منطق القمع الذى يدعو إليه اليمين المتطرف .

فى ملتقى الثقافات : الراب والراى
والهجرة من بلاد المغرب إلى فرنسا

بقلم : حاج ميليانى

مدرس بجامعة مستغانم

وباحث مساعد فى الـ " كراسك " (١) CRASC

" أظن أنه من حولى

أظن أن فى أعماقى

أظن أنه بداخل كل منا يوجد صوت

يرشدنا وأتبعه

يرشدنا إلى وجهتنا ويقودنى إلى طريقى

لكى أساعد صديقى وأخى

إن هذه الكلمات بالنسبة لك أكثر من صادقة

فلتساعد كل إنسان وافعل الخير من أجله ولتعاونه على محاربة آلامه

فهو بحاجة لذلك أكثر منك ، فلتمنحه أكثر مما يحتاج (...) "

صليحة ، " أظن "

إذا كانت الهجرة من بلاد المغرب واقعاً فرنسيا منذ ما يقرب من قرن فإن تعبيرها الثقافى لم يظهر حقيقة على سطح هذه الجالية سوى من حوالى عشرين عاماً ، أى منذ

(١) مركز أبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

ظهور الصفة الإعلامية والسياسية المسماة " بور " . Beur إن ما يشكل أساسًا هذا التعبير الاجتماعى هو الموسيقى والغناء اللذان يمثلان شكلاً من أشكال الرؤية الثقافية الأكثر أهمية ونمطًا من أنماط الاندماج داخل المجتمع الفرنسى علاوة على الرياضة التى تعد فى إطاره علامة من الدرجة الأولى (يمكن أن يعتبر كل من فضيل وزيدان وجهين إعلاميين نموذجيين) . إلا أن الموسيقى تعبر بشكل كبير عن التطور الذى شهدته الهجرة من بلاد المغرب خلال العقود الأخيرة لتشكل حقلاً خصبًا لرصد الثوابت والمتغيرات التى شهدها العالم الرمزى لهذه الجالية بل والمجتمع الفرنسى ذاته . فى الواقع ، يبدو أن الموسيقى والغناء يبرهنان ويشهدان على أنماط تأقلم الأجيال المختلفة مع البيئة الاجتماعية الثقافية المحيطة ومع التعددية فى تشكيلات الهويات ومع حيوية تجسيد الأنا والآخرين ومع المطالبة الدائمة بحق المواطنة (١) .

الأغنية والهجرة من بلاد المغرب : ظهور تعبير عن هوية مركبة :

إن التواجد المهم لأولاد الجالية المغربية التى نتجت عن الهجرة داخل المجال الموسيقى الفرنسى له دلالات كبيرة حتى إنه يستحق دراسة أنماط تعبيره المختلفة . فمن خلال الأغنية وفى فترة السبعينيات استطاع " الجيل الثانى " أن يجعل صوته مسموعًا بشكل كبير . فعلى عكس الأغنيات التى نشأ عليها آباؤهم نجد أن أغنيات هذا الجيل تعبر عن حياتهم اليومية الصعبة وعن العنصرية خاصة وأنهم يعبرون عن أنفسهم أساسًا باللغة الفرنسية . وذلك يشهد تحولاً من أسطورة العودة للوطن إلى استعارة موسيقية على حد تعبير " مارانسى " (٢). وقد تمت ترجمة هذا إلى عدد من الأغنيات التى تعبر عن الألم أو الأسى من حالة قائمة ومعيشة داخل فضاء اجتماعى "مهاجر" ويائس وبلا آفاق مستقبلية، بحيث شكلت على مدى زمن طويل خطة تمت

(١) ولمزيد من الإيضاح حول هذا الإنتاج أنوه إلى مقالى بعنوان : " موسيقى الشباب ، ثقافة الاندماج . حالة المغنين والموسيقين " البور " فى فرنسا " ، فى " عرقيات . موسيقى الشباب " (كندا) . المجلد ٢٢ ، ١، ٢٠٠٠ ، ص ٢٢١ - ٢٤٨ .

(٢) جبريال مارانسى Gabriel Maransi، " الهوية المركبة والتجسيد الموسيقى : البور وموسيقى الراى " باريس ، موسيقى وأنثروبولوجيا ، ٢ .

ترجمتها إلى عالم ذى أطراف ملموسة من خلال الأدب والسينما . ويتغنى هؤلاء المطربون بهذا العالم، وكما سبق وأعلن مطربو هذا الجيل الثانى فهم غير مجددين على المستوى الموسيقى بل ظلوا قريبين من الموسيقات السائدة فى عصرهم . وهذا ما برهن عليه بتهكم " جميل " العضو فى فرقة " دازيباو " : فيما يختص بموجة "الولع بكل ما هو عربى " arabomania من الذى قد يطالب بوجود فرقة مستقلة لموسيقى الروك تغنى باللغة العربية ؟ فأبناء العرب المهاجرين " البور " Les Beurs لا يستطيع معظمهم التلاقى مع هذه النوعية من الموسيقى : فهى ثورية جداً بالنسبة لهم . إنهم على العكس من ذلك يشعرون بحاجة للتعبير عن أنفسهم من خلال شىء مؤسسى . يتعين عليهم أولاً أن يكونوا " فرنسيين من الدرجة الثانية " فى انتظار أن يثور أبناؤهم فيما بعد . إن الموسيقى التى تعبر عن فترة مراهقتهم هى موسيقى ترافولتا والديسكو .

" إنه يفتح عينيه بدهشة

وينظر إلى ضاحيته

فالبطالة فى سنه تلك لا تجعله سعيداً

إن هذا الأفق الملىء بالأبراج

والمحيط به يصيبه بالاختناق (...) ..

كريم قاسل ، " ضاحية "

إن هذا الخطاب فى أساسه عبارة عن تعزية لهذا الجيل الذى نشأ وتربى فى فرنسا فى ظل مجتمع استقبله وسلطات حكومية تحيط به .

إن الأغنية بالنسبة له هى أغنية نضال [1] فى بداياتها ثم انزلقت إلى مجال السياسة والمجال الاجتماعى فى فرنسا بحيث أصبحت محاورها منذ ذلك الوقت تشكل العناوين الرئيسية للأحداث الراهنة فى فرنسا .

(١) فى عام ١٩٧٢ غنى "رشيد مزيان" أغنية "مليكة" عن طفلة تبلغ من العمر ثمانى سنوات قتلتها صفعة على وجهها من أحد رجال الشرطة فى مدينة "إيفرى". وخلال الثمانينيات، قامت فرقة "أصدقاء عبد النبى" "حمو شهاب " و"لوينسى لونس " بتركيز خطابهم على الإشارة إلى المهاجر الذى يتحول وقت الأزمة لمتنفس للكراهية والأحقاد.

" دار حديث عن مدينة مؤقتة

والآن أصبح ذلك مثيرًا للسخرية

فقد شهدت ميلاد جيلين

والسؤال هو هل سيغيرون

السقف الحديدى المموج

والأراضى العشوائية الغامضة

وحطام السيارات

التى يستخدمها الأطفال فى لهوهم

فى انتظار قدوم الربيع ".

أصدقاء عبد النبى ، نانتير ، مدينة الفيح ١٩٨٤

إلا أنه خلال الثمانينيات استطاع أبناء المهاجرين العرب " البور" أن يصوغوا من خلال اختياراتهم الموسيقية التطور الاجتماعى والموسيقى المركب لهم داخل المجتمع الفرنسى . ويمثل " الراب " و " الراى " مركزى الإشعاع الفنى لهم حتى مع ملاحظة أنهم جربوا أيضًا الأشكال والأنواع الموسيقية لجيلهم (وهى التراث المسمى بالأغنية الفرنسية مثل الريجيه(*) والراجا (**) والجاز والموسيقى السلتية والروك ... وغيرها) . فى المرحلة الأولى ، رفض المغنيون والموسيقيون القالب الثقافى للمهاجرين من أجل تأكيد مكانتهم داخل مجتمعهم أى أنهم اتبعوا الموجة الثقافية نفسها التى اتبعها الشباب الفرنسى . وقد تمت ترجمة ذلك فى البداية إلى شىء محدد وهو : " الغناء

(*) الريجيه Reggae عبارة عن نمط موسيقى ذات بنية ثنائية مع وجود تفاوت فى الزمن اللحنى القوى وهى موسيقى خاصة بزنوج جامايكا .

(**) الراجا Ragga موسيقى هندية تتسم بالشجن قائمة على بنية موسيقية قاعدتها مأخوذة من سلم الأنغام التصاعدى والتنازلى .

باللغة الفرنسية للخروج من كليشيه العربى الذى يحتاج لمساعدة المجتمع الفرنسى" . إن ذلك أكثر تهديداً ، فالثورة لا تخرج فقط من خلال نبرات الصوت لكنها تعبر عن نفسها من خلال الكلمات التى يفهمها الجميع . وكانت تلك ضربة للإغرابية L'exotis-me" (١)

فى عصر الذرة والحاسب الآلى

لم يعد البندير ولا الناى موسيقاى

فموسيقاى عبارة أيضا عن توليفة وأجهزة متقدمة وجيتار كهربائى

وعبارة عن لغة فرنسية لتقول : " ضقنا بالإغرابية "

حمو شهاب ، ألف ليلة وليلة

وبعد ذلك ، شارك الاستثمار على الصعيد الموسيقى فى تأكيد ثقافة معينة داخل المجتمع الفرنسى من خلال أنماط موسيقية مواكبة للجيل وتعبر عن إرادة قوية للخروج على هذه الثقافة الموسيقية : " أصبح لا يجدى فى شىء أن نصيح منددين جميعًا بمعاناتنا من خلال التأليف الموسيقى. الآن أنا أكتب بوضوح . فإذا كان الاعتراض اليوم يتمثل فى الركاكة وفى الغناء ببذاءة ، فشكرًا ، لا أريد ذلك . إننى أعيش حياة المنبوذيين والموسيقى تسعى لإخراجى من هذه الدائرة . " (جانجل هالا).

إن ظهور تيار " الراب " الفرنسى فى أواسط الثمانينيات وقدوم مشاهير " الراى" إلى فرنسا فى نفس فترة ظهور شباب أبناء العرب " البور " فتح أفقًا موسيقيا مرجعيا يساعدهم على أن ينهلوا من المنابع الفنية الرئيسية . إن المكونات الأساسية للتجارب الموسيقية والتى تولد المغنين الجدد والفرق الحديثة المكونة من أبناء العرب أو الفرق المختلطة قد أكدت تواجدها بقوة خلال التسعينيات .

(١) منسى Mounsi، كما ذكره " بول موريره "Paul Moreira فى " موسيقى الروك والتهجين فى فرنسا " ، باريس ، دار نشر سوفل ، تقديم " هارلم ديزير " ، ١٩٨٧ ، ص ٦٥ .

إعادة الأهلية لموسيقات المغرب العربى وقبول أبناء المهاجرين لها :

منذ نهاية الثمانينيات استطاعت موسيقات بلاد المغرب أن تخترق سوق العرض الموسيقى فى فرنسا . كانت هذه الموسيقات حتى ذلك الوقت مقصورة على شبكة من الجمعيات والرابطات وبيوت الثقافة والمطاعم التى تقدم عروضًا موسيقية فى المدن العمرانية وعلى بعض الإذاعات الخاصة بالجاليات وقد استطاعت هذه الموسيقات الاستفادة من هذه الظروف . من ناحية جاءت التغطية الإعلامية للتقلبات السياسية والاجتماعية التى شهدتها بلاد المغرب ومن ناحية أخرى حدث تجديد موسيقى فى البلاد الأصلية تجسد فى شكل " الغوان " والأغنية القبيلية والراى .

وقد تمت ترجمة هذه الديناميكية من خلال الازدياد الكبير فى عدد الموسيقيين والمغنيين الذين استقروا نهائيا أو مؤقتًا فى فرنسا ومن خلال الاختلاف المتزايد فى مسارات توزيع هذه الموسيقات ومن خلال تواجد عدد أكبر من الفنانين المغاربة على مسارح ذات شهرة واسعة (مسرح الأوليمبيا وقصر المؤتمرات و"الباتكلان" و"الزينيث" ... إلخ) ومن خلال مهرجانات تهدف للوصول إلى اعتراف إعلامى وشعبى بهذه الموسيقى (جنون الفرانكفونية فى مدينة لاروشيل ، ربيع مدينة بورج ، ... إلخ) . وجاء إنتاج الأسطوانات من قبل شركات متعددة الجنسيات لتطرح هذه الموسيقات فى السوق العالمية للموسيقى .

وقد تأثرت هذه الموسيقات بالتأكيد بأنماط موسيقية (أغنية الراى) وبخصائص فردية وبظروف راهنة استثنائية (الأحداث السياسية فى بلاد المغرب العربى وتصاعد التيار الإسلامى)، مما أعطى لهذه الظاهرة طابع إعلامى واضح ومعلن . وبدلاً من استبدال المسيرة التقليدية لأغنية وموسيقى بلاد المغرب قام هذا التيار بالتأكيد عليها وتطويرها من خلال عروض منظمة من قبل شبكة مترابطة تزداد ثقلاً ومن خلال شبكة من الملاهى الليلية والراقصة المخصصة لهذا الإنتاج الفنى (مثل ملهى " الراى الجديد " و " المثلث " ، إلخ .) وذلك فى المرحلة الأولى للانتشار وحتى منتصف التسعينيات . وكانت هذه الأماكن المخصصة للأشكال الفنية المغاربية وللراى قد سمحت أيضًا

بتواصل أبناء الهجرة المغاربية مع العناصر المشتتة القادمة من بلاد المغرب التى استقرت حديثًا فى فرنسا .

لقد شهدت هذه الأماكن من خلال تردد شباب وبنات أبناء المهاجرين عليها على الوصول إلى الثقافة الموسيقية لهذا الجيل . ثم شاب هذه الأماكن بعض الهبوط والتأخر بسبب شعبية هذه الموسيقات وإدخالها على ريبرتوار قاعات الحفلات والملاهى الراقصة المنتشرة . هكذا لم يقتصر " الراى " الذى انتشر بصفة خاصة من خلال الألبومات المختلفة (ديدى وغيرها) على مجتمع الجاليات لكنه وصل لجمهور عريض حيث ساعدت هذه الألبومات الغنائية على إدخال هذه الموسيقى على إيقاع المناخ الموسيقى الفرنسى .

الجذور والمحلية والعالمية : تسوية مبدعة وتهجين إيجابى :

يعيش شباب المغتربين العرب فى عالم مركب ومعقد بسبب مرجعيات متداخلة ويظهر ذلك من خلال الإغراق فى المحلية (المدينة ، الضاحية) وفى الجذور العائلية وفى أصول الثقافة الموسيقية التراثية(الراب ، الراى، الريجيه) . إن تشكيل الهوية وتركيبها تعبر عنها فرق الراى والراب العربية " البور " Beurs (لكنها ليست الوحيدة) وتعتمد هذه الهوية فى تركيبها على لغة اتصال متداخلة الأعراق ، دعائمها مأخوذة عن الجماعات الموجودة فى الفضاء المحلى (الأصدقاء ، المدينة / الحى ، شباب الضواحى)[1] وفى الوقت نفسه مأخوذة عن الجماعات العابرة للقومية (الحركة ، ثقافة الهيب هوب) .

" فى حيى وفى مدينتى

كل شىء حار وأنا أحب ذلك "

زبدة ، مدينة تولوز

(١) ارجع بهذا الشأن إلى دراسة " ناتالى بينيستى " Nathalie Binisti بعنوان " علامات الهوية فى اللغة متداخلة الأعراق للشباب فى مرسيليا " ، فى"لوى-جون كالفيه" و "أوجست موسنو- مويانا".(ناشرين) التعددية اللغوية العمرانية ، مجموعة اللغات والنمو . معهد الفرانكفونية ، توزيع " ديديه أبريدسيون " ، ٢٠٠٠ .

فى محاولة لتركيب الهوية وتحديدها وفقًا للفضاء الذى يعيشون فيه يقول هؤلاء المغنيين أنهم ينتمون للمقاطعة ٩٣ أو لأحياء الشمال . وتطالب الفرق والمغنيون وفرق الدى جى DJ التى ظهرت بشكل رمزى فى ظل موضة الهيب هوب بالانغماس فى بيئتهم المحلية ، يضاف إليهم كذلك فريمان (مرسيليا) "أليانس أتنيك" و"فرقة ١١٣" و"كيت كيللر" أو"دى جى عبد الله" . هكذا شهدنا إبان الانتخابات البلدية لعام ٢٠٠١ كيف استطاعت هذه الهوية المحلية أن تجد امتداداً لمواطنيها فى مدينة تولوز عن طريق إلحاق فرقة زبده بقائمة المتحمسين . وقد أظهر " كريستيان رينودو Christian Rinaudo " من خلال إعادة المحلية للرموز الثقافية العالمية – الطريقة التى تلتف بها هذه المرجعيات الثقافية المحلية حول التظاهرات الفنية : " إن حفلة الشارع بما تثيره من تلقائية وحماسة تشارك بشكل كبير فى تشكيل حس جماعى مشترك يجمع الشباب ومن هم أقل شباباً والفقراء والأقل فقراً والمستقرين اجتماعيا والأقل استقراراً وأهل البلاد الأصليين أو النازحين فيجتمعون حول إرادة مشتركة لتحقيق مثلهم الأعلى "(١).

" فى هذا الشارع كان يوجد

إسبان لا يجرءون على التصريح

بأنهم لاجئون قدامى

فروا من الأغبياء ومن الملوك

فى هذا الشارع كان يوجد

فرنسيون سيئوا الحظ

كتبوا : "تحيا فرنسا"

على واجهات منازلهم

فى هذا الشارع كان يوجد

(١) كريستيان رينودو Cgristian Rinaudo، " حفلات الشوارع وأبناء المهاجرين وهوية محلية . استقصاء فى مدينة نيس " REMI 2000، (١٦) ٢ ، ص ٥٤ .

برتغاليون معتزين بأنفسهم

مثل حارسين لسجن البؤس

وبعض أشجار الفاكهة

وحياء الأرض (...) "

زبدة ، " شارعى "

إن مسألة التهجين ليست مجرد خيار جمالى أو عرقى ، فهذا الخلط الإيجابى يفرض نفسه بنفسه بسبب نمط الحياة نفسها . إن المدينة بوصفها مرجعًا تخلط الأصول القومية التى تغطى بعمق على مرجعية المناطق والفروع الحضرية أو الريفية والمهن والحرف والتنوعات اللغوية والعادات الغنائية ... إلخ ، وإذا كان هذا التهجين قد طالب به بشكل خاص أبناء الهجرة المغاربية على مستوى الأغنية فإن ذلك يرجع على الأرجح إلى أنها تجسد الخط الأقل جبرية والأكثر توافقا ومن هنا فإنها تحقق تعبيراً عن الاندماج بشكل أكثر احتراماً من جميع مكوناتها .

" وكما تشير رأسى

فأنا لست قادمًا من المكسيك

ولا من البحر البلطيكى ولكن

من شمال أفريقيا

من سلالة المهاجرين ، احترم عرقى

ولا تلصق بى الوصمة المعروفة

فهى ليست بالطريقة المثلى

لكن إذا كنت تخاف أن

يلدغك الاختلاط العرقى

فلا تلتفت إلى الموسيقى التى

تجعله أكثر حيوية

لا تكن ساخرًا

و لا تكن نمطيا

اسمع صوت الأطلس فكل

الناس متشابهون "

صوت الأطلس ، راجا راى

إلا أن ذلك لا يعنى ستر أو حجب الجذور الثقافية ولا يعنى الإيمان الساذج بالمسكونية Oecuménisme الأرضية . إن الاعتراف بثقافة المنشأ كمكون إيجابى للهوية التعددية يمثل الأولوية فى تأكيد شخصية الشاب ذى الأصول العربية " البور " Beurإن الأغنية تسمح على نحو ما بتخطى إضافة العلامة التى تقلل من شأن الأصول (عربى ، مهاجر) ويتخطى الحاضر الاجتماعى- الجغرافى (شباب الضواحى) : " إنها الاستثمار، إنها إعادة بناء ثقافى أو بناء لمرجعيات جديدة ، إنها الحوض التقليدى لأى عنصر عرقى فاعل ومهتم بالهروب من أية ضغوط تقلص جهوده ، أنها منطقة وسطى بين عرقية ناتجة عن التمييز الاجتماعى وعرقية معيشة داخل نمط متخيل " (١) .

إن المغنيين هم أول من يرفض الاستسلام للانغلاق داخل تصنيفات تقلل من شأنهم . إن هذا الرفض يمثل فى الوقت ذاته نبذًا لمحاولات الدمج والخلط الثائرة والجذرية وكذلك ... لأشكال التعبير الهامشية . ويشرح " كامل " من فرقة " إليانس إتنيك " ذلك بوضوح وبشكل مباشر " : ... إنتاج ألبوم غنائى يسعد الناس لا يعنى عدم الاكتراث والوعى بمشكلات فرنسا . إننى أستطيع أن أتحدث مع أى رجل سياسة عن مشكلات الضواحى ، لكن داخل الحى الذى أعيش فيه لا يشعر الناس بالضرورة بالرغبة فى التحدث عن حياتهم . إن الفرق التى لا ترى سوى نفسها تصيبنى بالغثيان . إننى لا

(١) انظر أحمد أبو بكر ، " ثقافات عمرانية وعرقيات . تعبير خاص بورثة الهجرة من بلاد المغرب " ، مهاجرين – تنشئه " ، العدد ١١١ ، ديسمبر ١٩٩٧ " الثقافة فى *الضواحى* " . ص ٤٧

أرغب فى القيام باستنساخ على الطريقة الأمريكية ولا فى أن أقدم راب على طريقة قطاع الطرق طالما أننى لا أعيش فى بيئة قطاع الطرق لأن ذلك سخف " . وبشكل أكثر صراحة نشهد مطالبة متزايدة لوجود خطاب فنى كما يعبر عنه " كيت كيللر " Cut Killer فى صورة قوية : " فالموسيقى فى اعتقادى هى التى توحد العالم بأسره ، الأمر كله بالنسبة لى يتعلق بالعقليات لأنه يوجد أشخاص يظلون أغبياء وحمقى طوال الوقت لكنهم يسمعون الموسيقى نفسها "(١) فى الواقع ، إن ما يتم التشكيك فيه هو النموذج الإعلامى الذى يقلل من شأن هذا الإنتاج الموسيقى أكثر من محتواه الاجتماعى :

" هكذا ستعلمون ماذا تعنى

المدينة فى الواقع

إن المدينة تعرف أنكم

تستغلونها منذ

أن تأزم الوضع

إلا أن ذلك ليس سوى

تعبير عن الظمأ للصورة القوية

التى تظهرها وسائل الإعلام على أبواب المدينة

أى أنها مصابة بالعمى

خاصة فيما يتعلق بالمدينة .. [...]

يزيد ، " *المدينة هى* "

حتى ولو كانت المسيرة تبدو أحيانًا متناقضة بل وغريبة فإن شباب المغنيين العرب "البور" Beur يعودون لزيارة – إذا صح التعبير – أصول ثقافة الآباء التى حدثها الراى وجعلها تتوافق مع الذوق الموسيقى الحديث . إن إعادة الاستثمار هذه تتجسد من خلال

(١) جوزيه لوى بوكيه José-Louis Bocquet وبير أدولف فيليب Pierre- Adolphe Philippe، " الراب فى فرنسا . مغنو الراب الفرنسى يتحدثون " . باريس ، " قرأت " ، ١٩٩٩ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

عدة طرق ، فتأكيد العروبة على سبيل المثال يعد دافعًا للاعتزاز بالنفس تتم به مواجهة الخطاب العنصرى . ولقد أعطت المافيا المغاربية لأحد ألبوماتها عنوان " الدم النقى الدم العربى " وقام يزيد (العضو السابق فى فريق " ن . ت . م NTM) عام ١٩٩٦ بإطلاق مبدئه من خلال العنوان المثير للتحدى " أنا العربى " . وخارج نطاق الصياغة الشفهية أو الحارقة يطالب فريمان Freeman (العضو السابق فى فريق " أم " AM) باستخدام كلمة " المُعرَب " arabitisé الذى يشرحه كالتالى : " لقد ابتدعنا هذا اللفظ لنشرح من خلاله اتجاهنا : عندما تستمع إلى نفسك تشعر أننا بالفعل جزائريون ، حيث توجد كلمات عربية فى كل نصوصنا وفجوات باللغة العربية ، لقد استعدنا الموسيقات العربية ... " . إلا أنه بصفة عامة ، تتسم تيارات العودة إلى الأصول بأنها أقل عرقية وأكثر ثقافة . هكذا ، أنتجت المافيا المغربية إحدى أغنياتها الشهيرة ليقدمها أحد مطربى الراى من الجيل الجديد وهو " الشاب عيسى"، وكذلك كتب " فريمان " لنفسه أغنية قدمها فى شكل ثنائى مع خالد كما سبق وفعل " كامل " العضو فى فرقة " أليانس اتنيك " عندما قام بتأليف أغنية ثنائية مع " الشاب مامى " بعنوان " باريسى من الشمال ": " إنهم يسعون لإعادة اكتشاف هذه الثقافة التى ترجع إليها أصولهم وليتعلموا كيفية التعبير عن أنفسهم بوضوح وليس على سبيل التورية ... إن هذا "البحث" يعد من أهم نقاط القوة فى هذا التيار . [...] ويصل بهم التعبير عنه من خلال التأليف الموسيقى عندما قامت فرق الراب الفرنسية بالبحث عن " عينات " ونماذج من ثقافات المنشأ بدلاً من أن ينهلوا من التراث الموسيقى الأمريكى الأسود " (١)

إلا أن هذا البحث يظهر أيضا من خلال المزج بين القواعد اللغوية التى قامت بتجربتها لأول مرة فى تلك الفترة فرقة " كارت دى سيجور " Carte de Séjour حين قدمت عملا تجريبيا أطلقت عليه اسمًا ذا دلالة واضحة وهو : " رورومانيا " Rhorhomanie (٢) :

(١) فيرجينيا ميليو ، " Virgine Milliot " الراب : جملة غير مسموعة بسبب ثرثرة النماذج المقولبة " ، مهاجرين - تنشئة ، السالف الذكر ، ص ٥٠ .

(٢) لدراسة هذه الأغنية من المنظور اللغوى يمكننا أن نقرأ الدراسة المفيدة لمحمد معواك وجوزيه أجادا بعنوان : الرورومانيا والبور : نموذج للاتصال بين لغتين ، دراسات لهجات شمال أفريقيا فى الأندلس ، ١ (١٩٩٦) ص ١٥٧ - ١٦٦ .

" إش يكون (*) اللى قال (*)

أن السود مريبون

إش يكون اللى قال (*)

أن العرب عددهم زائد عن الحد

اسمعنى يا خويا(*)

دى الرورمانيا ، الرورومانيا

أرقص اليوم ، ياه ، ارقص اليوم

جيمس براون والله (*) بالفعل مميز

جيمى كليف خير من (*) الكيف

جيمس هندريكس خير من (*) الفيكس (...) "

أو بطريقة أخرى أكثر شمولية قاموا بإعادة تقديم أغنيات ريبوتوار بلاد المغرب كما هى مثل أغنية (يا رايح) لدهمان الهراشى أو أغنية (عبدالقادر يا أبو علم) التى غناها خالد وفضيل ورشيد طه. إن هذا الغوص فى أعماق موسيقات المنشأ لم يقتصر فى آثاره على أبناء العرب " البور" Les Beurs فقط بل امتدت أصداؤه الموسيقية فى أنحاء المعمورة خاصة من خلال تبادل الموسيقيين : " إذا كانت الوجوه الأكثر شهرة على مسارح مدينة ليون مازالت تتمثل فى " جيمى وحيد " Jimmy Oihid و " رشيد طه " فإن شبكة كاملة من المحترفين أو من أنصاف المحترفين تقدم نشاطاتها وتتناوب على إنتاج أعمالها دور نشر وإنتاج كاسيت موجودة فى "جيوتيار" Guillotiére لقد نجح هؤلاء الموسيقيون من خلال تواجدهم النشط المتزايد داخل الدوائر الاجتماعية الثقافية الكلاسيكية فى أن يغيروا الأنماط الموسيقية وأساليب العزف عند العديد من الموسيقيين الفرنسيين . وانضم لهم متخصصون فى الجاز وموسيقى العصور الوسطى وفى

(*) باللغة العربية فى النص الأصلى .

الرقص والموسيقى التقليدية كما استخدموا أدواتهم المنقولة مثل العود والسنتور والآلات الإيقاعية على وجه الخصوص . (١)

إلا أنه من الملاحظ أنه خلال تطور الأغنية فى الثمانينيات اجتهدت الأغنية " البور " Beur لكى تقدم معالجة مختلفة عن نموذج المهجر. بالتأكيد توجد ثوابت مازالت موجودة حتى اليوم :

" إننى أسمع صيحات

العائلة الكبيرة

الغارقة فى الهموم

الحى والسكن الشعبى ونقوش الحوائط

دائما المشكلات نفسها

الكل تقريبًا يعيش نفس الحياة

لقد قيل لهم إن فرنسا هى الجنة ... (...) "

إبراهيم ، " أسمع الصيحات " .

وبشكل أعم يوجد نوع من أنواع تحمل المسئولية أقل كآبة وأقل ميلاً للدفاع الدائم من بعض القوالب التى حادت عن هدفها أو التى تخضع للتهكم اللطيف . من خلال الجزء التالى المقتطف من إحدى الأغنيات سنجد صورة اجتماعية معتادة لبقال عربى مجاور وهى صورة تعيد له قيمته الاجتماعية ، وشخصية البقال ليست فقط محور الأغنية لكن الأسطوانة نفسها تم توزيعها جزئيا من خلال شبكة البقالين المجاورين :

" أنا بن على ، بقالكم

الذى قرر أن يخدمكم وهو مبتسم

(١) أريك مونبل Eric Montbel، ليون ألوجين Lyon allogène، " موسيقات المهجر فى المدينة " فى " موسيقات عمرانية وموسيقات متعددة " ، الإدارة الإقليمية للشئون الثقافية ، منطقة رون – ألب ، دور نشر " بارول دوب " ، ١٩٩٦ ، ص ٣٢ .

إنه العمل بلا انقطاع

خاصة عندما يتطلب الأمر التواجد

دائمًا من أجل زبائنى "

صبا ، "بن على "

على غرار الأدب المسمى بأدب" البور " Beur والذى يركز على المضمون التراجيدى الكوميدى فى بعض الأعمال (" أ . ن . ى تاسيلى " A.N.I du Tassili وروايات عديدة لعزوز بجاج ، إلخ .) ، قامت الأغنية باستغلال فكرة العودة إلى الوطن بأسلوب ساخر ورقيق ومن خلال ريبورتاج ميدانى . ها هو نموذج تلتقى فيه بشكل من الأشكال (مختلطة فى قالب أكثر شعبية) المرجعيات الثقافية المحلية (المدينة) وكذلك استخدام اللغة العامية التى يستخدمها الشباب فيما بينهم " لغة الفيرلان "(*) Verlan ونجد فى كل هذا عناصرا للثقافة الأصلية – ثقافة المنشأ – فضلاً عن بعض التعبيرات باللغة الأم متضمنة داخل الاستخدامات اللغوية للشباب ، كما نجد أخيراً هياكل وأطر التعبير المتعارف عليها فى الراب وثقافة الهيب هوب :

" سيارة ٥٠٤ محملة ، هيا اصعدوا يا أبناء الإخوة

لحظة واحدة لكى أضع الحقيبة الزرقاء الكبيرة فوق ظهر السيارة

كثيرون مثل فريق كرة القدم ، سيارة عائمة على الأرض

إننا المستأجرون الآخارى الذين انطلقوا

مستعدين بقدر كبير من الوقود حتى لا نتعطل

سيقوم بلال بالتبول فى الوقت الذى أذهب فيه للسوق

اتجاهنا هو الميناء ، لنضع القدم على أرضية المركب لمدة يومين

(*) لغة خاصة بالشباب ابتدعوها من أجل أن تكون لهم لغة مختلفة عن لغة الآباء وغير مفهومة بالنسبة للبالغين. تعتمد هذه اللغة على قلب مقاطع الكلمة، فيتم النطق بها من خلال البدء بالمقطع الأخير فيها ، وتنتشر هذه اللغة أكثر فى الضواحى .

حتى نبلغ مارسيليا فى حين تميل السيارة

لمدة أكثر من ٢٤ ساعة على المركب ، إن ذلك ليس رفاهية

لكن ماذا سأدخن لكيفى . فى ميدان جيدو

فى مدينة بدجايا ومن على أعلى الجبل

وقبل أن أدخل فى الدار سأمر من أوران

لأننى اشتريت كل شىء فى باريس من محل " تاتى "

لأرضى الجميع فى القرية حتى الصغار

فأهدى لهم الأقمشة والجواهر للمتزوجين الجدد

ولعب الأطفال للمولودين حديثًا

مقطع مكرر :

كنت أريد أن أبقى فى المدينة لكن والدى قال لى " لا لا لا "

فى هذه الحالة سأصطحب كل أصدقائى " لا لا لا "

إذن خلال أسبوع سأعود إلى " فيترى " لا لا لا

سأعود لأشهد نهاية أيامى هناك " نعم نعم نعم "

" العم من البلاد " ، ١١٣

إن الحيوية التى يتسم بها اليوم التعبير الموسيقى لأبناء المهجر المغاربة يشهد أنهم يملكون دون شك أدواتهم الثقافية بجدية وإبداع يميز هذه الثقافة التى تهم جزءًا من المجتمع الفرنسى . فى محاولة لتخطى المعوقات التى تقلل من شأنهم اجتماعيا من خلال الموسيقى استطاعوا أن يمدوا جسورًا وحلقات وصل ومزيجًا أظهر إبداعهم وتحديثهم على المستوى الجمالى ، فى الوقت نفسه الذى ظهروا فيه مؤسسين إنسانيين لمبدأ التسامح والاحترام الكامل للاختلافات الموجودة بين البعض والبعض الآخر.

QUELQUES REFERENCES DISCOGRAPHIQUES

o 113, Les princes de la ville, Small Records, 1999.

o Alliance Ethnik: Simple et funky, Delabel, 1995.

o Avignon donne sa version Session 1997, Cyclone Prod., 1997.

o Big Brother Hakim, Même le Diable ne peut plus M'Aider, Distri Polydor, 1995.

o Brahim, Dans quel monde on vit, Inca Production/Distribution EMI France, 2000.

o Carte de Séjour, Douce France, Barclay, 1987.

o Cut Killer, Cut Killer Show, Double H/S.M.A.L.L./Sony, 1997.

o Faudel, Baïda, Sankara/Polygram, 1997.

o Freeman, Palais de justice, Delabel, 1999.

o Human Spirit Partisan, Salam Aleikum/Musicdisc, 1997.

o Jimmy Oihid, One, 2 Free, CNRMusic, 1995.

o Jungle Hala: Number One Arbi/Number One Hakma, Fromage Productions,1993.

o Karim Kacel, L'orage est passé, WMD 1995.

o L'aktiviste Kader, Stéréotape PIAS, 1997.

o Mafia Maghrébine, Sang pur-sang arbi, Iman/Globe Production, 2000 .

o Melaaz, Lehna, Ariola/BMG, 1996.

o Nemia, Petits contes du désert de France, Autoproduction, 1996.

o Orchestre National de Barbès, Poulina, ONB Corp., 1999.

o Rachid Taha, Olé, Olé, Barclay, 1995.

o Saliha: Unique, Virgin, 1991-Me v'la 1995.

o Sawt el Atlas, Généraliser, CNR Music, 1996.

o Seba, Ewa, Seba Prod./Kwart Publishing,2000.

o Yazid, Je suis l'arabe, PIAS France, 1996.

o Zakia Bellouti, Tatouages, Night and Day, 1996.

o Zebda, Essence ordinaire, Barclay, 1998.

الإبداع فى عجالة
(مقتطفات)

بقلم : محمد فلاج Mohamed Fellag

حوارات قام بتجميعها دومينيك كوبيه Dominique Caubet

أستاذ اللغة العربية المغاربية بالإينالكو INALCO

ولد محمد فلاج عام ١٩٥٠ فى أزفون فى قبيلية . وبعد دراسته التمثيل فى المدرسة القومية للمسرح فى الجزائر العاصمة بين عامى ١٩٦٨ و ١٩٧٢ قام بتقديم الربرتوار الكلاسيكى المترجم للعربية الجزائرية على المسرح القومى بالجزائر العاصمة وعلى المسرح الإقليمى لأنابا . وبعد ذلك سافر لمدة ٨ سنوات وأقام بشكل خاص خلالها فى باريس وكندا لاكتساب ثقافة مسرحية أكبر . ثم عاد إلى الجزائر العاصمة عام ١٩٨٥ ليعمل بالمسرح القومى الجزائرى . وأصبح بعد ذلك مديراً لمسرح بجايا عامى ١٩٩٢ و ١٩٩٣ .

ومنذ عام ١٩٨٧ بدأ فى الجزائر حياة فنية مستقلة حيث كتب المسرحيات وكان يمثل فيها أيضاً وكانت تختلط فيها اللغات الثلاث المتداولة فى الجزائر العاصمة وهى العربية الجزائرية والقبيلية والفرنسية .

وقد أبدع وقدم خمسة عروض : " مغامرات تشوب " (٨٧) و " كوكتيل خوروتوف" (٨٩) و " النجدة لاب " (٩٠) و " بابور ١ - إستراليا " (٩١) و "حديقة دجرجوراسيك " (٩٤) ، ومن بينها عروض مسجلة على شرائط فيديو : " كوكتيل خوروتوف " و " النجدة لاب " بالعربية و " بابور ١ - أستراليا " بالقبيلية . وهو يقوم أيضا فى الوقت الحالى بالتمثيل فى فرنسا .

وقد أُجرى معه الحوار التالى فى باريس فى المركز الثقافى الجزائرى فى ١٥ فبراير ١٩٩٥ وقد نُشر فى " كراسات علم اللغويات والأنثروبولوجيا " التى أصدرتها جامعة روان عام ١٩٩٦ .

دومينيك كوبيه :

إن الشكل المسرحى الذى اخترته جديد " فأنت تقف وحدك على خشبة المسرح. ألا يوجد فيما تقدمه أثر للتراث الشفهى القوى والحى على الرغم من أنه لا يحتل مكان الصدارة فى الجزائر والموجود مع ذلك فى ثقافة كل جزائرى . فسواء أدرك الجزائرى ذلك أم لا فهو مشبع بهذا التراث الشفهى . فلأى درجة أنت وريث لهذا التراث وإلى مدى أنت مجدد ؟

محمد فلاج :

إننى أعتبر نفسى راويًا عصريا أنتمى لتراث الرواة الذين يعبرون عن أنفسهم فى " الحلقة " داخل السوق أو فى الشارع، أنتمى لهؤلاء الشعراء الذين يجولون بلاد المغرب .

على المستوى الشخصى ، لقد تلقيت إعدادًا فى مجال المسرح الكلاسيكى فى إطار مدرسة تجسد كل ما هو كلاسيكى فى الجزائر ، إلا أننى يومًا ما شعرت بداخلى بالميل إلى أن أكون راويًا . وعندما قاربت الثلاثين من عمرى وأتقنت مهنتى وتمكنت من ذاتى ومن خيالى الإبداعى قمت بالانغماس فى هذا الشكل المسرحى .

إننى لا أعتبر نفسى ساحرًا حقيقيا على الطريقة الباريسية ، ذلك الساخر الذى يقدم اسكتشات ، لكننى أدين بالعروض التى قدمتها للرواة الذين تذخربهم بلاد المغرب والذين يتميزون بحرية التعبير وبالخلق والإبداع . إنها حكايات من داخل حكايات متداخلة فيما بينها مثل ألف ليلة وليلة . أنها حكايات ذات أدراج من داخل بعضها البعض . إننى لم أحصر نفسى داخل قالب واحد ، فهى ليست اسكتشات

مركبة بشكل حسابى لها نهاية وبداية محددة . فالحكايات التى أقدمها تزداد ثراءًا طوال الوقت ، حتى إننى استخدم دائما النسيج السردى نفسه منذ نحو عشر سنوات، إلا أن العروض تختلف رغم انطلاقها من القاعدة نفسها وانتمائها للنسيج نفسه . فكل الحكايات التى أقدمها تتطور وفقًا للأحداث ولتفاعلى عاطفيا تجاهها كل يوم ، ووفقًا لما يحدث وتبعًا للجمهور أيضا . لذلك فأنا أعتبر نفسى بالفعل راويا ولكن عصريا .

دومينيك كوبيه :

باعتبارك عالم فى اللغويات توجد قضية تشغلنى بشكل خاص ألا وهى قضية اللغة ، أو اللغات التى تستخدمها . فما هى تلك اللغات ؟

محمد فلاج :

إننى أستخدم اللغات الثلاثة المتداولة فى الجزائر العاصمة ، فى الشارع الجزائرى : اللغة البربرية واللغة العربية الجزائرية واللغة الفرنسية . إن ما يجذبنى لهذه اللغات الثلاثة هو أنها تعبر عن طريقة الكلام التى نجدها فى الشارع ، فتلك هى اللحظة الحية الحقيقية . لهذا السبب نطلق عليها اسم لغة حية ، ذلك لأنها تعيش وتتحول وتتغير وتنتقل وتزداد ثراءً وتنعم بالحرية ، فهى لغة منفتحة . إنها تتمتع بحرية تسمح لكل فرد باستخدامها إذ إن له مطلق الحرية فى استخدام الكلمة التى يريدها والتى تعبر عن رغبته وهواه أو عما يريد التعبير عنه سواء كان ذلك باللغة القبيلية أو العربية أو الفرنسية .

دومينيك كوبيه :

لكنها ليست أية لغة فرنسية تلك التى تستخدمها ؟

محمد فلاج :

إنها اللغة الفرنسية المتداولة فى الشارع ، حتى إن بعض الأدباء والعلماء يستخدمون كلمات علمية فرنسية ويعربونها . فعلى سبيل المثال سمعت كلمات مثل: " تروماتيزانى " Tromatiza-ni و " أنديكاباته " Andikapat-u (لقد جرحنى " ، " لقد أعاقته ") وأشياء من هذا القبيل ... إذن ، فالخلط فى استخدام اللغات شىء يحدث للعلماء مثلما يحدث لرجل الشارع .

دومينيك كوبيه :

هل حتى الشباب ممن هم دون الثلاثين والذين لهم معرفة مختلفة باللغة الفرنسية يستخدمون أيضًا هذا المزيج ؟

محمد فلاج :

تمامًا ! فى البداية وباعتبارى ممثلاً وراويًا لا أستطيع أن أسمح لنفسى باستخدام لغة لا يفهمها جمهورى ولا تجسد الطريقة التى يستخدمها فى التعبير .

ثانيًا فإن لغتى الحقيقية هى ذلك المزيج من اللغات الثلاثة ، إنها اللغة الطبيعية التى أستخدمها وهى مفهومة بطبيعة الحال لأن الجمهور يشبهنى سواء كان جمهور الشارع أو السوق أو المواصلات العامة أو الأوساط العلمية ، فالناس يتحدثون بهذه اللغة ! فضلا عن ذلك فهى بالنسبة لى تمثل لغة الجزائر العاصمة .

إننى شخصيا ضد محاولات تطهير اللغة ، إننى أؤيد المزيج اللغوى ، إننى مع الاستخدام الحر البعيد عن أى إلزام أو قيود .

إننى لست عالم لغويات لكننى أعتقد أن اللغات تتكون على هذا النحو، أى من خلال المزج بينها وبين لغات أخرى .

إن استخدام هذه اللغات شيء يسعدني : فذلك يمثل ثراءً نعتاد عليه سريعًا ، فعندما تغيب كلمة عن العربية العامية ، هوب ... نأخذها من اللغة الفرنسية ونصرفها بالعربية ونسوق هذا المزيج ونصنع منه كلمة .

دومينيك كوبيه :

إن ما تقوله غاية فى الأهمية ! فكثير ممن ينادون بصفاء اللغة يتحدثون عن خطورة إصابة اللغة بالفقر بسبب هذا المزج . أما ما تؤكد عليه أنت باعتبارك مبدعا أو أنا باعتبارى عالم لغويات هو أن المزج ثراء ! إن المجتمع الجزائرى مجتمع متعدد اللغات ومتنوع ، إلا أن ذلك غالبًا ما يتم ازدراؤه والإقلال من شأنه!

محمد فلاج :

نعم بكل تأكيد وذلك لأنه توجد قصص لها علاقة بالسلطة وراء كل ذلك خاصة إذا كان الذين يمتلكون لغة قلة. ففى بلادنا ، لعبت اللغة العربية الفصحى دورًا مهما على مستوى السلطة ، فهى لغة السلطة منذ اللحظة التى يتم فيها تطبيق أشياء لا يفهمها ٨٠٪ من الناس .

دومينيك كوبيه :

إنهم لا يعون ذلك . بالإضافة إلى ذلك فهم معقدون خاصة فيما يتعلق بهذا الأمر ، فقد جعلوا منها لغة مثالية .

محمد فلاج :

نعم! لكن ذلك له حدود ، فإذا كان الشعب فى الجزائر العاصمة قد دمج اللغات الثلاثة واستخدمها فذلك لأنه استشعر ثراءها وإلا لم يكن ليفعل ذلك . إن الناس يتبعون

فطرتهم فى هذا الشـأن فيـأخذون من لغة مـا ليضـيفـوا إلى لغـة أخرى فـيدمـجونهـا ويخلطونها مع بعضـهـا البعض ؛ لأنهم يعلمون أنهم بذلك يثرون اللغة ويسـهلون على أنفسهم استخدامها .

دومينيك كوبيه :

وأنت ؟ ما هو مدى إدراكك لهذه الجرعة من المزج وإلى أى مدى يحدث ذلك بشكل تلقائى ؟

محمد فلاج :

إن أعى ذلك وأدركه عندما أكون فقط فى حالة بحث عن نتيجة محددة أى عندما أبغى التعبير عن شىء يعتمل فى نفسى فآخذ الكلمات وأعكف عليها لأحصل على النتيجة التى أريدها . فإذا كان ما أريده هو التلاعب بالألفاظ لإيضاح تطور ما قمت به فإن ذلك يحدث بشكل واعٍ . أما فى الأوقات الأخرى فإن اللغة التى تساعدنى على سرد حكايات هى لغة غير واعية ؛ إذ إنها لغة الشارع ، تنبع منى وتتأتى إلىَّ بشكلٍ تلقائى !

دومينيك كوبيه :

لكن استدلاليا وعندما نفكر فى ذلك بعمق هل لا تكون بعض الانفعالات وبعض الإيحاءات مرتبطة بهذه اللغة أو تلك من اللغات الثلاثة ؟

محمد فلاج :

بالتأكيد ! لكن ذلك يتم تلقائيا بصورة طبيعية ، فهناك انفعالات أرغب فى تقديمها بالفرنسية وأشياء أود تقديمها بالعربية . وأحيانا أجد رغبة فى التواصل مع جمهورى القبيلى فأبعث له رسالة بالقبيلية .

دومينيك كوبيه :

إنك تبحث عن الشراكة الخفية لكنك بذلك تستبعد شريحة ما من الجمهور .

محمد فلاج:

نعم ، بطبيعة الحال ، ولا أقوم أبدا بالترجمة إلا أن جمهورى يعرفنى جيداً ويتلقى ذلك منى بشكل تلقائى ولا يطالبنى أحد أبداً بترجمة ما أقوله، إنه احترام متبادل بينى وبين الجمهور.

دومينيك كوبيه:

وماذا عن اللغة الفرنسية ؟

محمد فلاج :

على حسب الحال ، لأننى أتلاعب باللغتين ، فهناك أشياء لا أستطيع أن أقدمها بالعربية لكننى أقول ذلك للجمهور فأقول له : هيا ، سأقولها بالفرنسية ، سيكون ذلك أقل إيلاماً !

دومينيك كوبيه :

هل ذلك يخلق فجوة أو مسافة ما ؟

محمد فلاج :

نعم ، بالضبط فباللغة العربية الجزائرية تبدو بعض الأشياء حساسة أو مبتذلة ، لأنه كلما عبرنا عن الأشياء بكلمات قليلة تحررنا منها أكثر . هناك أشياء كثيرة لم

نقلها بعد باللغة العربية أو القبلية وستبدو كالمتفجرات وستكون مبتذلة إذا ما عبرنا عنها كما هى ، فهى قد تتسبب فى حدوث صدمة. إذن ، فالأمر بالنسبة لى عبارة عن خطة وهو أيضا تلاعب باستخدام اللغتين .

وأعتقد أيضا أن كل لغة تتميز برقائق دقيقة ومرجعيات خاصة بها . إذن عندما أود تقديم شىء للجمهور أعلم جيداً أن الجمهور سيلتقط مباشرة مرجعيته باللغة الفرنسية ، فأقوله باللغة الفرنسية حيث إننى استخدم كثيراً حيلة المسكوت عنه ، فالذى أقوله وأصرح به لا يتجاوز ١٠٪ فى حين تتوارى ٩٠٪ من الأشياء التى أريد تقديمها وراء الكلمات من خلال أسلوب المسكوت عنه . وبالتالى أحتاج بواسطة اللغة إلى تحديد اتجاهى وتصويب هدفى فاستخدم هذه اللغة أو تلك لأنها تسهل لى الوصول إلى ما أريد ، أنها شفرة وهى تساعد الجمهور على حل الفزورة .

دومينيك كوبيه :

وبالتالى توجد أيام تكون فيها العروض ، وفقًا لنوعية الجمهور أو وفقًا لانفعالات أو لقاءات معينة تمت فى اليوم ذاته، مقسمة بغلبة اللغة العربية أو اللغة القبلية أو اللغة الفرنسية عليها ؟

محمد فلاج :

آه ! نعم !

دومينيك كوبيه :

إلا أنه يبدو أن هناك لغة لها مكانة خاصة لديك هى اللغة العربية الفصحى.

محمد فلاج :

إننى لا أستخدم اللغة العربية الفصحى فى الواقع إلا من أجل قلب الموقف ذلك لأن كل الناس فى جيلى قد تكبدوا بسببها خسائر فادحة. فقد تعرضنا للعنف فى المدرسة بسبب اللغة العربية الفصحى : فجأة قدم إلينا أساتذة من مصر فى حين أننا لم نكن حتى نتحدث بالعربية .

لقد حدث ذلك بالنسبة لى فى المدرسة الثانوية ولم نكن حتى على دراية بالأبجدية العربية وفضلاً عن ذلك كنا أمام أشخاص يريدون إرشادنا واستمالتنا لمذهب معين وقد عشنا ذلك بقهر شديد .

دومينيك كوبيه :

والغريب أنك عشت العربية بعنف يفوق تعلم الفرنسية، أليس كذلك ؟

محمد فلاج :

نعم ، لأن اللغة الفرنسية كانت تعنى لى المدرسة الابتدائية ، فكنا نتعلمها بتلقائية وبسهولة ألف ، باء ، ... a,b,c,d . كان عمرنا وقتها ست سنوات وبدأنا هذا التعلم برفق وبعد ذلك تفرنسنا شيئا فشيئًا ، إلا أنه كان يوجد أسلوب تربوى . بينما فى حالة اللغة العربية الفصحى ، كان الأمر مفاجئًا وداهمنا فى وسط دراستنا وقد ألقوا إلينا بأشخاص يقولون أى كلام ويقدمون لنا دروسًا قائمة على الدين ؛ لأن كثيراً من هؤلاء المدرسين القادمين من مصر كانوا إخوانا مسلمين لم يقدموا إلينا إلا لاستمالتنا لمذهب معين .

أما أنا ، فكنت أريد شيئًا آخر . لقد اكتشفت الشعر العربى العامى ، وكان يتمتع بثراء كبير لا يصدقه عقل ! فى بلاد المغرب ومنذ القرن السادس عشر حتى القرن

الثامن عشر كان الشعر مذهلاً وفى تلك الحقبة كانت تتم دعوة شعراء عرب كبار قادمين من شبه الجزيرة العربية وكان عمرنا وقتها حوالى ثلاثة عشر أو خمسة عشر عامًا ... بينما كان من الأفضل لنا أن نتعلم الشعر العربى العامى لبلاد المغرب "الميلون " الذى يمكن الاستماع إليه فى قالب موسيقى وكان ذلك يمكنه عندئذ أن يكون مفيدًا جدًا لنا . بالإضافة إلى ذلك يعتبر " الميلون " لغة عربية عامية ثرية جدًا وجميلة جدًا . ولقد تعلمته بعد ذلك مع الموسيقى الشعبية فاكتشفت عالم الشعر المغربى الذى أعشقه وأسمعه وأقرؤه .

أما فى تلك الفترة فقد أنهال علينا الشعر الكريه المتجهم الذى كنا لا نفهم منه شيئًا ، لذلك لم تكن لنا أية مرجعيات خاصة به ولم نكن نتأثر به لأننا كنا ننتمى لبلاد المغرب فى حين كانوا هم يمثلون الشرق الأوسط الذى وفد إلينا .

لذلك ، عشت ذلك على أنه قهر وكنت رافضًا تمامًا للغة العربية ، لكن بعد ذلك تعلمت اللغة العربية فى المسرح وكان ذلك عندما بدأت أكتب نصوصًا أقدمها باللغة العربية . ولقد تلقيت دروسًا فى العربية العامية على يد أستاذ جزائرى كان يعلمنا الكتابة ويعلمنا حب هذه النصوص .

دومينيك كوبيه :

كيف تستخدم إذن اللغة العربية الفصحى فى عروضك ؟

محمد فلاج :

عامة أقوم بذلك لكى أهاجم الجانب العقائدى والمذهبى للغة العربية الفصحى . إننى أسخر من هذا وكان هذا الأسلوب كالسلاح الملازم لى . إننى لست عنيفًا بطبعى لكن يمثل ذلك لى نوعا من أنواع الانتقام الشخصى .

دومينيك كوبيه :

كنت تتحدث لتوك عن الأغنية ، إن ذلك لا يظهر بشكل مباشر فى عروضك فهل الأغنية تلعب دوراً ؟ وما هو شكل الأغنية التى قد تتوافق مع أسلوبك فى الإبداع؟

محمد فلاج :

الراى ! إننى أرى أن الراى منبع مذهل للشعراء ولمن يكتبون الأشياء فى عجالة . إنهم يكتبون حكايات ، مثلى تقريباً ، لأن هذه الحكايات تعبر عن أشكال القهر التى يشعر بها الشباب وعن الضغط الاجتماعى. إنهم يكتبون بغير تمهل لأن انفعالاتهم عبارة عن "ثورات هياج" . فهم مصابون بغضب شديد ، إنها ثورة ، فهم يسارعون بتسجيل ما يشعرون به ليعبروا عن القهر . إنهم يهاجمون ليدفعوا الموت بعيداً ويدفعوا العجلة الضاغطة للمجتمع .

دومينيك كوبيه :

تتم مهاجمتهم ويُتهمون بأنهم بذيئون ومبتذلون . أليس هذا الإبداع بكل ما فيه من فجاجة واضحة هو بالتحديد شكل من أشكال المقاومة ؟

محمد فلاج :

هو بالفعل أحد أشكال المقاومة . أعتقد أيضا أنه من المفروض أن يتم سؤال ٧٥٪ ممن هم دون العشرين من الجزائريين والذين يُعتبرون المستهلكين للراى ويعيشونه عما إذا كان هذا الشكل يعود عليهم بشىء ما أو يساعدهم فى شىء . أعتقد أن الإجابة هى نعم . يكفى أن تنظر لمن يسمعون الراى والذين يبحثون عن تسجيلاته ويغنون هذه الموسيقى لتعرف ذلك ، إنهم يندمجون فى حركة الراى نفسها وهم الأغلبية فى الجزائر .

إن من يقولون بأن ذلك ابتذال أعتقد أنهم هم أنفسهم يعانون من مشكلات داخلية وأنهم ضحايا عقدهم التى تعوقهم .

إننى أكتب اسكتشاتى على نحو ما بطريقة الراى أى فى عجالة وبسرعة وبحرية فى التعبير ويخلط ومزج بين اللغات . هكذا تكون أيضا أغنية الراى ، فهى انفعال وردة فعل، واسكتشاتى بدورها انفعالات وردود أفعال وما أحاول تحقيقه هو الكتابة بسرعة الراى نفسها ، فالسرعة لا يتم قياسها بمعايير زمنية بل هى تلك القائمة بين المبدع ومن يقهره ؛ إذ يتعين على المبدع أن يكون أكثر سرعة لكى لا تسبقه الأخلاقيات وأشكال القهر المتعددة .

ملاحظات حول موضوع :
" الفرانكفونية العربية . الواقع والمشروع "

بقلم : كريستيان فيليب

Christian PHILIP

عمدية الدائرة الثالثة مدينة ليون (١)

إن مداخلة "ستيلو فاراندجيز" الأمين العام للمجلس الأعلى للفرانكفونية فى إطار ندوة " العالم العربى و الفرانكفونية وحوار الثقافات" (٢) قد شهدت ميلاد الفرانكفونية العربية أى ميلاد تعددية لغوية عربية وفرنسية تتولد عنها وتتطور شراكة متبادلة لثقافة ولغة الآخر على جانبى البحر المتوسط .

إذن فالفرانكفونية العربية واقع ولا يتعين أن تكون مجرد عاطفة سريعة الزوال. ومن بين الطرق المتاحة :

- إن الفرانكفونية العربية ترتكز على معرفة لغتين إحداهما باعتبارها اللغة الأم والأخرى باعتبارها لغة ثانوية . إذن فمن الضرورى بذل مجهود هائل من أجل تعلم اللغة الفرنسية فى العالم العربى وتعلم اللغة العربية فى العالم الفرانكفونى خاصة فى فرنسا . أى أن يكون التعلم مزدوج اللغة مما يتطلب بدؤه مع مرحلة الطفولة. والمقصود هو إيجاد ازدواجية لغوية تفتح الآفاق دون أية صعوبات للتعرف على لغات أخرى خاصة اللغة الإنجليزية.

(١) إن مدينة ليون هى مدينة متتائمة مع مدينة بيروت .

(٢) ندوة عقدت بمعهد العالم العربى IMA نظمتها المنظمة الدولية للفرانكفونية يومى ٣٠ و ٣١ مايو ٢٠٠٠ .

وفى الواقع ، لا يتعين أن يتم تفسير هذه الخطوة فى اتجاه الازدواجية اللغوية بوصفها تقييداً لتعلم اللغة السائدة للعولمة وبالتالى نتعرض لمغبة فقدان مكانتنا.

وللتوصل لذلك هناك صعوبات يجب التغلب عليها ، بعضها خاص بالبلاد المعنية مثل المغرب الذى لم يعد يعطى للغة الفرنسية مكانة اللغة الثانية وذلك فى إطار سياستها المتعلقة بالتعريب. لذلك فمن المهم بمكان اليوم أن يتم التعامل مع كل بلد على حدة، فتتم دراسة الحالة بعمق فى كل منها، ومن هذا المنظور تتم دراسة وضع اللغة الفرنسية هناك . (يمكن لمعهد دراسة الفرانكفونية و العولمة أن يقدم إسهاماته بشأن هذه الدراسة) (١)

وفى فرنسا توجد خاصية معنية تزيد الأمور تعقيداً ألا وهى العلاقة التى تربط عادة اللغة العربية بالإسلام. إن الشتات اللبنانى يمكن أن يساعد بشدة فى تخطى هذا التصور .

ومن جهة أخرى، يجب التأكيد على ضرورة اللجوء إلى أنماط تدخل متنوعة. ففى بعض البلاد يمكن أن يتم تدريس اللغة الفرنسية منذ المرحلة الابتدائية لجميع السكان وفى بلاد أخرى يتعين إيجاد شبكة قوية من الفصول مزدوجة اللغة (ويجب أن تكون هذه هى الحال فى فرنسا فيما يتعلق باللغة العربية).

إن كل فئات السكان معينة بهذا الأمر (أى مجمل الطبقات الاجتماعية وليست فقط الطبقة ميسورة الحال) وكذلك كافة الأديان (ففى لبنان على سبيل المثال يجب الاستجابة سريعًا لمطلب اللبنانيين المسلمين) ومجمل الأراضى كذلك وليس فقط العاصمة أو المدن الكبيرة.

وليكون هذا المجهود المبذول فى عملية التعلم ممكنًا لابد من توفير" دعم من فرنسا ومن الفرانكفونية "

(١) هو معهد لدراسة الفرانكفونية والعولمة وعنوانه : ١ شارع الجامعة – ص ب ٠٦٣٨ – ٦٩٢٣٩ ليون .
Rue de l'université BP 0638-69239 Lyon Cedex01.١.

- "فرنسا" لا تبذل اليوم الجهد اللازم. إن دراسة تطوير الوسائل التى تخصصها لتدريس اللغة الفرنسية منذ عشرين عامًا سوف تظهر ذلك بسهولة. (ويمكن للمعهد أن يساهم فى هذا العمل).

- و الفرانكفونية التى تتجسد فى عقد قمم لا تقوم بشىء يذكر فى مجال تدريس اللغة الفرنسية كلغة ثانية، حيث يجب عليها تعميم ما بدأته بنجاح فى فيتنام فى إطار تعاون متعدد الأطراف يشمل فرنسا والكيبيك والجالية الفرنسية فى بلجيكا.

إن الوكالة الجامعية للفرانكفونية قد اقترحت عام ١٩٩٨ برنامجًا بهذا الصدد يستند على نظام تطوع فرانكفونى يمكن توفيره بنفقات قليلة (شباب المتقاعدين خاصة من الكيبيك وشباب الخريجين). هكذا تم فى قمة "مونكتون" اقتراح تأسيس "هيئة من المتطوعين للفرانكفونية" و "رابطة فرانكفونية للتعليم بلا حدود".

إن الفرانكفونية العربية تتطلب تطوير وسائل الإعلام العربية الفرنسية مزدوجة اللغة مع الأخذ فى الاعتبار النموذج الفريد الناجح لإذاعة "ميدى١" التى تبث من طنجة، على حد وصف "ستيليو فاراندجيز"، معلومات وأغانى تتداخل وتتشابك فيها العربية والفرنسية فى لوحة أرابسك رائعة.

ويجب النظر إلى أبعد من ذلك من أجل إحداث مد وتوسع جغرافى فى اتجاه مناطق أخرى ناطقة بالعربية باستخدام وسائل إعلام أخرى مثل التلفزيون وغيره.

● يجب أن يتم وضع الفرانكفونية العربية فى إطار العولمة على أنها مركز إشعاع رئيسى موجه نحو عولمة متعددة الأقطاب أى المتوازنة.

وسنجد فيما يلى ما خلصت إليه اللقاءات الفرانكفونية الأولى فى ليون ٣ (٢/٢/٢٠٠١)، وقد عضدتها ضرورة مواجهة المقتضيات التى تلخصت فى المطلبين التاليين :

- التعددية اللغوية بوصفها عاملاً لا يمكن الحياد عنه لتحقيق التوازن والتعددية الثقافية و العولمة متعددة الأقطاب والتى لا تخضع لأية سيطرة أو هيمنة .

- إنشاء اتحادات ثقافية ولغوية منظمة تكون مرتبطة "بالاتحادات الاقتصادية" من أجل إنجاح العولمة متعددة الأقطاب على المستوى الثقافى .

وجود فرنسا فى الشرق الأوسط

من المهم الدعوة إلى وجود ثلاثية لغوية فى العالم العربى ولكى يتم تطوير اللغة الفرنسية يجب على بلادنا بذل المجهودات اللازمة:

- تقديم منح للمرحلة الجامعية الثانية والثالثة فى فرنسا .

- تطوير المدارس الثانوية الفرنسية فى الشرق الأوسط .

- تأسيس مراكز إعداد جامعى فرنسية داخل جامعات الشرق الأوسط ويكون إعداداً معترفًا به من قبل مؤسسة فرنسية للتعليم العالى مع استفادتها من منح لكى يتم جذب الطلاب إليها من جميع المناطق.

- جعل جامعة القديس يوسف ببيروت قطبًا متميزًا لهذا التعاون مع الإبقاء على اتفاقية الشراكة المبرمة معها لتنميتها وتطويرها.

- التحاور مع الجامعة العربية وإقامة برامج عمل مشتركة معها .

المركز الثقافى السورى بباريس والفرانكفونية

بقلم : دكتور على إبراهيم

مدير المركز الثقافى العربى

السورى بباريس

إن المركز الثقافى العربى السورى بباريس جمعية لا تهدف للربح وهى ثمرة علاقات طيبة قائمة منذ أمد طويل ومتشابكة بين فرنسا وسوريا. لقد تأسس المركز وفقًا لاتفاقية ثنائية بين الحكومة الفرنسية والحكومة السورية عام ١٩٧٩ عقب زيارة لفرنسا قام بها الرئيس السورى الراحل سمو الرئيس حافظ الأسد.

إن افتتاح المركز الثقافى العربى السورى عام ١٩٨٠ ليس وليد الصدفة المحضة خاصة أنه تم افتتاح مركز فرنسى تابع له فى دمشق فى التوقيت ذاته. المركز يشكل إذن تظاهرة فريدة من نوعها تتميز بخصوصية شديدة . لقد تم تنظيم هذه التظاهرة بكفاءة وديناميكية لتحقق أهدافًا عديدة :

- تنمية وتعميق دراسة ومعرفة واستيعاب العالم العربى ولغته وحضارته فى فرنسا.
- تشجيع التبادل الثقافى .
- المساهمة فى تنمية العلاقات الثقافية بين فرنسا وسوريا .

ولكى يحقق المركز طموحاته فهو يملك سبلاً متعددة : مكتبة تضم أكثر من ثمانية آلاف كتابٍ تختص بمجالات الحضارة والأدب والفن العربى والإسلامى، وقاعة متعددة الأغراض متاحة لأية موهبة تسعى لتحقيق ذاتها ولأى فرد يريد التعريف بالثقافة

العربية ونشرها فى جميع صورها وأشكالها المتعددة ، فضلاً عن ورشة عمل للخط العربى تتيح تعليمًا كاملاً وجادًا لمختلف تقنيات هذا الفن.

وينظم المركز كذلك تظاهرات ثقافية ومعارض وأمسيات موسيقية ومسرحية وسينمائية ولقاءات وندوات وحوارات أدبية. وأكثر نشاطات المركز التى تحظى بالقبول والطلب هى الأنشطة الخاصة بالموسيقى العربية الأصيلة والفن المعاصر السورى والخط العربى والندوات المتعلقة بالآثار وبالتاريخ القديم لسوريا.

التعليم :

إن المركز الثقافى العربى السورى مدرك لأهمية وجود تعليم للغة العربية يقدم للجمهور الناطق بالفرنسية والناطق بالعربية على حد سواء، لذلك فهو يملك معملاً للغات لتعليم اللغة العربية الفصحى بما يتفق ومتطلبات التداول اللغوى والذى لا توفره اللغة العربية العامية حيث توجد دورتان يتم تنظيمهما سنويا بعنوان :" منهج : من الخليج للمحيط ". كما يضطلع المركز بمهمة تعليمية تستهدف الأطفال الناطقين بالعربية حيث يتم سنويا تنظيم دورة لدراسة اللغة العربية للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والثانية عشرة. وفى الواقع ، فإن هذا التواجد ميزة يختص بها المركز حيث أن تعلم اللغات صار مطلبًا لا غنى عنه لتشكيل الفكر وإعداده .

ومن ناحية أخرى، يلعب المركز دورًا مهما فى تنشيط السياحة فى سوريا، فهى أرض التلاقى بين شعوب الشرق القديم وملتقى الحضارات الشرق أوسطية ومجال خصب للأيديولوجيات والمذاهب السياسية والدينية والاجتماعية التى عاشت عليها الإنسانية طويلاً وستظل تتغذى عليها. وفى هذا السياق الذى نحرص على إيضاحه فإننا نضع السياحة والثقافة فى مكان الصدارة حيث إنهما ترتبطان ببعضهما البعض على نحو يجعلنا نقر بأن الأحجار ذاتها تسهم فى فك شفرة رسالة ذات تاريخ طويل . لنقرأ سويا ما كتبه " إيف تورافال " Yves Thoraval بهذا الصدد: " فى سوريا- إحدى أكثر بلاد العالم ثراءً فى التراث التاريخى والفنى- تستطيع عشرة أيام كاملة أن تمنح المريدين رحلة رائعة تقطع ٨٠٠٠ عام من التاريخ المحفور على الحجر

(دورية " مؤرخون وجغرافيون " Historiens & Géographies العدد ٣٦٧). فى الواقع، واكب نجاح المعرض الخاص بسوريا فى معهد العالم العربى والذى استقبل أربعين ألف زائر تدفق كبير للسائحين الفرنسيين إلى سوريا. وبهذه المناسبة خصص المركز لزواره مركزًا نشطًا للإعلام السياحى. أليست هناك مقولة بأن السائحين هم العناصر الفاعلة فى تحقيق مواطنة جديدة للإنسانية وبهذا يساهمون فى إحلال السلام والتفاهم بين جميع الأمم ؟

ملتقى وحوار الثقافات :

إن الحوار بين الثقافات أمر حتمى ليس فقط من أجل حث القدرة الإبداعية الإنسانية ولكن أيضًا من أجل إثراء التنوع الثقافى ، ذلك لأن هذا التنوع هو الذى يشكل النتاج المنبثق عن مفهوم الثقافة ويرتكز على المبادئ الأخلاقية والجمالية والتربوية وغيرها. إن الأمر هنا يتعلق برهان النظام العالمى الجديد الذى تمثل فيه العولمة Mondialisation ثقلاً قويا فى جميع مناحى الحياة. أى أن المطابقة الاقتصادية للمواصفات تفرض ثقافة استهلاكية تهدد أصالة وتنمية الثقافات المحلية وتستهدف خلطها داخل كيان أوحد. إلا أنه فيما يتعلق بالثقافة يتعين حماية خاصية كل شعب وضمان حريته فى التعبير عن رؤيته للعالم وعن ذوقه فى الحياة.

إن المركز الثقافى العربى السورى الذى يعتمد برنامجه العام على الثقافة العربية المتنوعة والمتحدة يلتزم بالتأكيد بالاشتراك فى تحقيق التبادلات الثقافية، فهو كثيرًا ما يدعو علماء آثار و أدباء وفنانين فرنسيين لتقديم أعمالهم فى سوريا. وعلى الجانب الآخر، يقوم بالتبادل بدعوة علماء آثار وأدباء وفنانين سوريين لعرض أعمالهم فى فرنسا.

وفى هذا الإطار يؤكد المركز سياسة ثقافية عربية فرانكفونية حيث إن الفرانكفونية العربية حقيقة وهى تعكس الوضع القائم على التقارب والمشاركة والتكافل والذى يستلزم وجود حوار بين الثقافتين: العالم العربى والعالم الفرانكفونى. ومن هنا فمعظم الندوات تقدم باللغة الفرنسية من أجل إنعاش الحوار وتشجيع المناقشات، والدال على ذلك الندوة التى عقدت بعنوان "من سوريا لأوروبا، ثقافة مستمرة" والتى حاضر فيها

السيد "كريستيان لونشون "Christian Lonchonالملحق الثقافى السابق لسفارة فرنسا بدمشق وتلك التى عقدت بعنوان:" الإسلام ، دين معاصر" والتى حاضر فيها الأستاذ "حسين مامرى" الأستاذ فى اللغة العربية وحضارتها بجامعة باريس ٣ ، وكذلك أمسية "لمياء صفى الدين" التى تم تنظيمها تكريمًا للشاعر السورى" نزار قبانى" بمشاركة السيدة " آن فرانس أبيون" و " رول انابلسى" وقد أدار الحوار السيد "جاك كيريل " Jacques Keryell الكاتب الفرنسى وكان محوره " لويس ماسينيون " Louis Massignon وقد عقدت الندوة فى التاسع من ديسمبر ١٩٩٧ تكريمًا لهذه الشخصية الفرنسية الرائدة. والمركز يعد أيضًا ملتقى ويشهد على ذلك اللقاء الذى تم للتوقيع على كتاب: " الحرب والسلام فى الشرق الأوسط" للكاتب " لوسيان بيترلانLucien Bitterlin "وهو مدير مجلة " فرنسا والبلاد العربية".

وعلى صعيد آخر ، يسمح المركز للجمهور الفرانكفونى باكتشاف الألوان المتعددة لأشكال التعبير الفنى لدى الفنانين السوريين. من هنا، يتبلور عمل الفنان السورى فى ظل جدلية لا يتم فيها حث الإلهام على التجدد إلا من خلال الاندماج المتبادل بين أنماط غريبة على الفنان وعلى هويته الخاصة. ولنذكر أنفسنا بأنه إبان فترة الانتداب الفرنسى وعقب تطور التيارات الفنية وانتشار الانطباعية الفرنسية L'Impressionnisme ظهر فى سوريا اتجاهان جديدان : الأول يسعى للوصول لشكل من أشكال الكلاسيكية ويستوحى إلهامه من الموضوعات التاريخية المتعلقة بالعالم العربى، والثانى ركز اهتمامه على الوصف والطبيعة وهما عنصران أساسيان فى التيار الانطباعى . و بعد ذلك، وبفضل فنانين سوريين درسوا فى فرنسا مثل " خزيمة علوانى" و"نزير نبعة" و "غسان سباعى" و "عز الدين شموت" و "خالد ألمظ" وآخرين ، استطاعت الحركة الفنية فى سوريا أن تستنبط من تراثها عناصر خارجية نجحت فى تحقيق الازدهار.

علاقات المركز الثقافى العربى السورى بالمؤسسات الفرنسية:

إن المركز الثقافى العربى السورى جزء من جمعية الصداقة الفرنسية السورية التى تعمل بفكر منفتح على تدعيم أواصر الصداقة والتعاون بين البلدين .

ويجدر بنا أن نذكر أيضًا العلاقات المتصلة التى تربطنا بمعهد العالم العربى وببيت ثقافات العالم وبغرفة التجارة الفرنسية العربية وبالمعهد القومى للغات والحضارات الشرقية (INALCO) وبالجامعات. ومن هذا المنظور، أردنا أن نتيح لأصدقائنا الفرنسيين والسوريين فرصة التعرف على روائيين وقصاصين سوريين معاصرين فقدم مسرح موليير (بيت الشعر) فى ٢٥ مايو ١٩٩٨ أمسية خاصة بالشعر السورى. وفى ٥ يونيو ٢٠٠٠ تم تقديم أمسية أدبية فى صورة ندوة- قراءة للرواية والقصة فى سوريا بعنوان "أوجه الأدب الروائى السورى" وذلك بمشاركة الأستاذ "روبير سانتوشى" Robert Santucci والدكتور " على إبراهيم" والسيد "لونشون".

وفى الثانى من ديسمبر ١٩٩٩ عقدت فى قاعة محاضرات "مارك بلانكبان" بمقر "الأليانس فرانسيز" Alliance Française مائدة مستديرة حول الاقتصاد السورى بعنوان: "آفاق التنمية السورية فى مطلع الألفية القادمة" وقد أدارها السيد سفير فرنسا " كريستيان دومال " Christian D'Aumale وهو المدير السابق أيضًا للشئون الاقتصادية بوزارة الخارجية الفرنسية وعضو مجلس إدارة جمعية الصداقة الفرنسية السورية وبمشاركة الأستاذ "مارك لافارنى" Marc Lavergne مدير الأبحاث بالمركز القومى للبحث العلمى (CNRS) والمدير السابق لمركزالأبحاث والدراسات حول الشرق الأوسط المعاصر (CERMOC) أيضًا وبمشاركة رجل الاقتصاد "جاك أولد أوديا" Jacques Ould Aoudia من إدارة الخطط المستقبلية فى وزارة الاقتصاد والمالية.

التعددية اللغوية والتعددية الثقافية :

فى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٠ وفى إطار الإسهام الفرانكفونى قام المركز الثقافى العربى السورى بباريس بدعوة "ستليو فاراندجيز" الأمين العم للمجلس الأعلى للفرانكفونية ليلقى محاضرة كانت أكثر من ممتازة عن موضوع "فلسفة الفرانكفونية"، وهى أيضًا عنوان كتابه(١) . ولقد أكد السيد "فاراندجيز" على التعددية اللغوية وقال : " إن اللغة الفرنسية هى لغة من بين آلاف اللغات الموجودة على سطح الكرة الأرضية. كم يبلغ

(١) " فلسفة الفرانكفونية" ، باريس ، لارماتان"، مجموعة كراسات الفرانكفونية ، العدد السابع، ١٩٩٩ .

عددها؟ خمسة أو ستة آلاف؟ بالطبع ، كل شيء يعتمد على التعريف الذى نحدده بالضبط لكلمة لغة. إن ما يجب التنبه إليه هو هذه التعددية الثرية" ثم أضاف السيد " فاراندجيز" حول هذه النقطة : "إن الأهم بشكل خاص هو رفض أية "يالتا" Yalta(*) أى تقسيمات) لغوية من شأنها أن تمنح لغة هيبة الثقافة الكلاسيكية بينما تمنح لغة أخرى مؤهلات الحداثة العلمية والتقنية"(١).

مركزنا مدرك إذن تماماً لأهمية هذه التعددية اللغوية فى حدود أنها تساعد على إحداث نقل واقتباس بين لغة وأخرى. وتأتى هذه الاقتباسات غالبًا لتملأ فراغًا موجوداً فى لغة ما بحيث تصبح بالتالى كلمات واصطلاحات خاصة باللغة الأخرى، على سبيل المثال لا يمكننا ترجمة كلمة " سريالية" .Surréalisme ففى الواقع ، كلمة سريالية تشير إلى حدث بل وإلى اتجاه فنى أو أدبى وبالتالى فهى ليست مجرد كلمة يمكن ترجمتها إلى كلمة أخرى.

و يبرهن المثال الذى سقناه كذلك على أن التعددية اللغوية تقودنا إلى التعددية الثقافية. إن ترجمة أغنية فرنسية للعربية بمثابة تشويه لها. إن كل كلمة فى أية لغة تشتمل على مرجعية موسيقية وتاريخية وثقافية. ولكى نفهم لغة ما يتعين علينا أن نفهم تاريخها وتاريخ شعبها وثقافتها.

وفى النهاية نقول بأن داخل الفرانكفونية العربية يملك مركزنا إمكانية إرضاء الجمهور المحب للثقافتين التى تكمل كل منهما الأخرى : الثقافة العربية والثقافة الفرنسية، وأنه سيستمر فى الاضطلاع بهذا الدور. إن اللقاء والحوار والتعددية اللغوية والثقافية هى أهداف المركز الثقافى العربى السورى بباريس. واختيار اللغة الفرنسية وسيلة اتصال فى أنشطتنا هو ضرورة للناطقين بالعربية وللناطقين بالفرنسية على حد سواء . ففى الواقع، تعتبر الفرانكفونية العربية وسيلة لإثبات الوجود فى العالم

(*) "يالتا" Yalta مدينة تقع على البحر الأسود فى أوكرانيا، اجتمع فيها فى فبراير ١٩٤٥ "روزفلت" و "تشرشل"و "ستالين" بعد الحرب العالمية الثانية ليقوموا بعد انتصارهم بتقسيم العالم بينهم. ويشير الكاتب هنا إلى تقسيم اللغات مثلما حدث لتقسيم العالم.

(١) انظر المرجع السابق ، صـ٧

المعاصر ووسيلة لتعددية ثقافية مبدعة . لقد لاحظنا أيضًا أن الإثراء المتبادل بين الثقافتين لا يمكن تحقيقه دون اللجوء للغة مشتركة. إلا أن مشكلة الاعتماد المتبادل للثقافات كل منها على الأخرى وماله من أثر على العالم الناطق بالعربية اليوم يتسم بدرامية كبيرة تفوق قدرتنا على أن نركز جهودنا على اللغويات سوى من خلال تشجيع ظاهرة التناضح Osmose الثقافى اللازم للنهوض بالإنسان .

من أجل مؤسسة فرنسية - مصرية

بقلم : دكتور ألبير طانيوس
رئيس المؤسسة

لماذا هذه المؤسسة ؟

بداية لأن هذا الهيكل من الممكن أن يخدم مشروعات نود تحقيقها عن طريق تجميع الجمعيات الفرنسية المصرية ومحبى مصر وكل من يعمل ليس فقط فى مجالات الثقافة والسياحة ولكن أيضًا فى مجالات الطب والوسائل السمعية البصرية والاقتصاد وبالطبع كل من يعمل فى مجال الفرانكفونية فى مصر . ومن جهة أخرى، فإن هذه المجالات تؤثر فى بعضها البعض وتوجد فيما بينها مصالح مشتركة .

من خلال هذه المؤسسة ، نأمل أن تجد الجمعيات الفرنسية المصرية الوسائل الأمثل والمناسبة للتواصل بينها بحيث تحتل مصر مكانة مميزة فى التبادلات التى تتم مع الوحدة الأوروبية. ومن هذا المنظور، نتمنى أن تكون فرنسا متحدثًا له شأنه يستطيع أن يحتل مكان الصدارة فى المشروعات والأعمال المصرية .

إن مشروع إنشاء جامعة فرنسية فى مصر والذى ناقشه المسئولون فى التاسع من يوليو ١٩٩٧ فى مجلس الشيوخ سيكون مجالاً مهما للعمل سواء بالنسبة للمهتمين بالعلوم أو برجال الاقتصاد أو للذين يودون الذهاب فى مهمات عمل أو استقبال متدربين، إلا أن هذا المشروع سيكون قبل كل شىء مجال عمل للفرانكفونية والذين يشجعونها .

إن المؤسسة يجب أن تعمل من وجهة نظرى على توفير الرعاية والتشجيع الثقافى والعلمى والطبى والاقتصادى وتقديم العون من أجل عقد لقاءات متخصصة بين مختلف المهن والمناطق والتعريف بالصناعة والسمعيات والبصريات والسينما المصرية.

- إن السوق المصرية بحاجة للتقنية الحديثة ولكى نستجيب لهذا المطلب يتعين علينا أن نقدم العون عن طريق إصدار نشرة معلومات نتمنى أن ننفذها فى القريب العاجل مع مجموعة العمل التى تشكلت. ونتمنى من جهة أخرى أن يقدم مسئولو الفرانكفونية فى فرنسا عونًا ملموسًا حتى يتمكن هذا المشروع من أن يرى النور فى أسرع وقت ممكن .

- وعلى المستوى العلمى والجامعى فإن الخبرة الفرنسية فى بعض التخصصات مثل الطب – خاصة فى علم الأورام وأمراض القلب والعظام وعلم المناعة –لم يتم نقلها بشكل كاف إلى مصر . ولذلك فالمؤسسة يمكنها أن تكون وسيلة لتحقيق مزيد من التعاون الملموس بواسطة المكاتب الرسمية الموجودة بالفعل.

- لقد تم تأسيس لجنة علمية ولجنة طبية بالفعل ويتعين عليهما العمل على نشر العلوم الفرانكفونية فى كافة المجالات .

- وعلى المستوى الثقافى والفنى فإن فرنسا تفتخر بثروتها الكبيرة التى تتمثل فى علماء الآثار والكتاب والفنانين، لذلك توجد ضرورة للاضطلاع بتأسيس لجنة ثقافية يكون هدفها الدخول فى مشروعات مشتركة بين البلدين .

- وأقترح أيضًا إنشاء لجنة للبيئة لأننا نعلم جيداً مشكلات التلوث فى مصر. ولدينا وزير للبيئة فرانكفونى نتمنى أن ندعم جهوده .

إن العلاقة الفرنسية المصرية كانت ولا تزال جزءًا من التاريخ وهذه المؤسسة القادمة يجب أن تحرص على منح هذه العلاقات مستقبلاً مشرقًا وواعداً. يجب أن نعمل على حماية نموذج مثالى للصداقة نقدمه للأجيال القادمة وللبلاد الفرانكفونية.

وأود أخيراً أن أؤكد على أن مؤسستنا لن تحل محل الهيئات الرسمية للدولتين لكنها ستعنى أكثر بأن تحقق عملاً واتصالاً منسجمًا وموضوعيا وملموسا.

إننا سوف ننجح بمساعدة مجلس الشيوخ والجمعية الوطنية ووزارة الشئون الخارجية ومنظمة اليونسكو ومجلس الشعب فى مصر وجمعية رجال الأعمال المصرية الفرنسية (CAFE) وفى القريب العاجل بمساعدة اللجنة الأوروبية .

التكافل لا التناضح - التعددية لا التشتت
تعقيب على " ستيليوفاراندجيز "

بقلم : مزرى حداد دكتور فى الفلسفة الأخلاقية والسياسية
(جامعة باريس ٤ - السوربون) ومدرس علم الدين المسيحى وأستاذ التاريخ
المعاصر (الإسلام - العالم العربى)
بجامعة باريس ٧ - دونيس ديدرو

لقد قرأت باهتمام شديد وبفضول علمى الوثيقتين التى قدمتموهما إلىَّ فى ذلك اليوم : كانت الأولى بعنوان " أنثروبولوجيا وتاريخ ، إثارة للنقاش "(١) والثانية بعنوان " الفرانكفونية العربية ، الواقع والمشروع " (٢) وبعد قراءتى لهما فإن أول ملاحظة سأقدمها هى التالية : بفضلكم أصبح للفرانكفونية العربية وجوداً كتصور وكمفهوم وكفكرة وليدة منذ ١٩٨٣ .(٣)

ومنذ ذلك الحين يتعين أن تتم هيكلة الفرانكفونية على أنها فلسفة . ويبدو لى أن تلك هى الشريطة اللازمة لنجاحها، ليس فقط باعتبارها فلسفة تستطيع أن تحشد الناس حولها ولكن أيضًا باعتبارها تطبيقًا عمليا على حد تعبير الاصطلاحات الماركسية .

(١) مداخلة: "ستيلو فاراندجيز" فى ٦ ديسمبر ٢٠٠٠ حول الموضوع العام: "الشعوب الأولى" ثقافات تقليدية وحداثة داخل الفضاء الفرانكفونى".

(٢) مداخلة " ستيلو فاراندجيز "فى إطار مؤتمر " العالم العربى الفرانكفونى : حوار الثقافات " ، فى ٣٠ مايو ٢٠٠٠ .

(٣) لقد كنتم أول من ابتدع هذه الفكرة عام ١٩٨٣ عندما قمتم للمرة الأولى باستخدام هذا التعبير خلال لقائكم الرسمى بالسيد مزيان وزير الثقافة الجزائرى.

إلا أن أية فلسفة تتطلب حتميا عمليتين مرتبطتين بها : الأولى سلبية لأن من خلالها يتم رفض واستبعاد الأفكار والمذاهب أو الأيديولوجيات المعادية ، والثانية إيجابية لأن من خلالها يتم تمهيد الطريق الذى اختارته وبهذا تبنى نفسها .

لقد فهمت عند الاستماع إليكم [١] وعند قراءتى للوثائق التى أشرت إليها أن الفرانكفونية العربية ترفض بشكل ضمنى العالمية Mondialisme ببعدها الاقتصادى المحض ولا نقول مركنيتلى (أى الخاص بالتجارة) . فهى تنبذ هذه العالمية التى يقال أنها مصدر السلام والإخاء فى حين أنها عامل أساسى يؤدى إلى الخلاف والقطيعة . وأمام هذه العالمية الاقتصادية الحصرية بفلسفتها المتعيه [٢] hédoniste ظننت أننى قد فهمت أن الفرانكفونية العربية سوف تفضل العمومية Universalisme ببعدها المزدوج الثقافى والسياسى مع وجود بديل اقتصادى يكون فيه الإنسان فى مركز الاقتصاد وليس على أطرافه البعيدة .

إننى أؤيد تماماً هذا التصور الذى يرى فيه "الواقعيون" مجرد هلاوس عالمية أو يوتوبيا كونية . أؤيده حيث إن الثقافة التى يميل البعض إلى فصلها عن السياسة هى عنصر أساسى فى تشكيلها بل هى القوة المحركة التى بدونها ستكون السياسة بلا حراك مما سيؤدى إلى إصابتها بالعجز. فما هى قيمة سياسة ما بدون ثقافة تنبثق منها؟ إلا أن العالمية كما يروج لها مبتدعوها – وهم غالبًا تقنوقراطيونTechnocrates (أى منتمون لحكومة الفنيين) أكثر منهم مفكرون – وكما يدعو إليها أنصار هذه الفكرة الجديدة هى المقابل للثقافة . فهى العدم الثقافى وهى صناعة الفراغ وهى نخر فى الحضارة العالمية . وذلك ليس من فراغ ، لقد فضح الفيلسوف " باسكال بروكنر " -Pascal Bruckner العالمية التى "تشكل هذه الثقافة الثانوية العمومية والمنوطة بإحلال محل الثقافات الأخرى، هذا الخليط المتنافر المكون من أكلات سريعة التجهيز ومن التماثل فى الزى ومن المسلسلات التليفزيونية والموسيقى التى تدعى إخضاع الناس جميعًا لسلطة أحادية... وبهذا الصدد نجد أن عالم ديزنى قد أعاد تقديم – من خلال النماذج

(١) خاصة فى أثناء المؤتمر الذى عقد فى معهد العالم العربى يومى ٧ و ٨ فبراير ٢٠٠١ .
(٢) إنه ماركس الذى كان قد تنبأ بحدوث " تداخل و تلاحم بين الشعوب داخل شبكة السوق العالمية " .

المصغرة – العصور المختلفة والميثولوجيا والثقافات لكن بشكل ممسوخ وضعيف وذلك يشبه تمامًا العالمية بكل ما فيها ، أى أنها إخراج غبى وفى الوقت نفسه عبقرى للتآخى العالمى والتفاهم الماسخ بين أفراد الجنس البشرى (١) وإنها بالتالى تعتبر علاجًا وبديلاً للأمركة العقيمة التى تتفوق على الفرانكفونية (ليس عن طريق قوة ثقافتها لكن عن طريق قوتها الاقتصادية وقوتها العسكرية الرادعة)، فالفرانكفونية حليفة للعربوفونية وتتناضح معها وتعرض نفسها كخيار بديل .

ومن بين المذاهب والأيديولوجيات الأخرى التى يمكن للفرانكفونية – بل يتعين عليها – أن تتخذ موقفًا إزاءها : الأصولية سواء كانت إسلامية أو يهودية أو كاثوليكية أو بروتستانتية . إن كل ما ذكرته ليس مجرد فرضية أولى بل هى شىء حتمى وقاطع بالمعنى الذى كان يقصده "كانت . "Kant ومن ناحية أخرى، لست بحاجة للبرهنة على ذلك فى حين أن العداء والمعارضة القائمة أصلاً بين الفلسفة الفرانكفونية العربية القادمة وبين "الفلسفات" الأصولية تبدو لى بديهية . إلا أن الشىء المألوف بين الناس هو أن البديهيات ليست دائما بديهية ! لذلك فمشجعو الفرانكفونية العربية ومحاموها (ومن الآن فصاعداً تستطيعون أن تعدونى واحداً منهم) يذكروننى دائمًا فى خطاباتهم وإصداراتهم بهذه البديهية : إن الفرانكفونية العربية باعتبارها فلسفة تناهض بشدة التعصب وعدم التسامح والتفرقة العنصرية ... ومن ناحية أخرى ، يمكننا أن نراهن مقدمًا بأن الفرانكفونية العربية ستواجه من بين معارضيها الأشد ضراوة رجال الدين المتعصبين الذين – كما نعلم جميعًا – تملؤهم دوافع واندفاعات قوية خاصة ترتبط بالهوية وبواعث قلق متعلقة بالنقاء . نقاء الجنس البشرى ونقاء الدين والعادات والثقافة وبالطبع نقاء اللغة حيث إن الفرانكفونية العربية هى – وفقًا لتعريفها ولأصل نشأتها – مفهوم " غير نقى " .

إن التخمين بوجود تعارض جذرى بين الفرانكفونية العربية والمتعصبين لا يعنى على الإطلاق الاستسلام إلى عداوة بنيوية بين الفكر الفرانكفونى العربى والفكر الدينى . بل على العكس ، فإن الديانات التوحيدية الثلاث التى ذكرناها فيما سبق تشترك مع

(١) باسكال بروكنر ، " هل العالمية ضرورة ؟ " فى " فكر " ، العدد ١٨٧ ، ديسمبر ١٩٩٢ ، ص ٨٤ .

الفرانكفونية العربية فى نقطة محورية ألا وهى العمومية . L'Universalismeوبهذا الصدد يفرض حوار الأديان نفسه كعلاج فعال ، وهو الحوار الذى يتعين على الفرانكفونية العربية أن تشارك فيه . لذلك ، ففى منظور الأنطولوجيا وعلم الأسباب وعلم قيم الأخلاق فإن الفرانكفونية العربية قد تكون فلسفة إنسانية وعمومية جديدة .

إنها النزعة الإنسانية للفكر التنويرى Aufklarung ولكن فى صورته العصرية أى أكثر نشاطًا وقد ولدتها المتطلبات الأخلاقية والفلسفية والسياسية لعصرنا . إنها النزعة الإنسانية الحديثة التى يجب أن تقبل التحدى وتتخطى العقبات وتحشد الطاقات وتقنع "الواقعيين" مع الأخذ فى الاعتبار الأخطار التى تهددها .

وسوف أوجز ما ذكرته فيما يلى : باعتبارها فلسفة ، يتعين على الفرانكفونية العربية أن تتشكل فى مواجهة المذاهب الأصولية (سواء كانت دينية أو علمانية) باعتبارها استمرار للتاريخ الإنسانى الذى تجسده بجدارة فرنسا الوطن الحامى لحقوق الإنسان . وسوف أنتقل الآن إلى النقطة الثانية فى التحليل والتى سأعطيها العنوان التالى – لأننى لا أجد أفضل منه – : "الاصطفائية" L'élitisme قبل "الشعبية" Populisme

لأن الفرانكفونية العربية عبارة عن التقاء مفهومين وبالتالى عبارة عن تداخل ثقافتين عريقتين وعظيمتين وحضارتين أثّرت كل منهما فى التاريخ والحياة الإنسانية، لذا يجب عليها أن تكون التعبير السامى والجوهرى عن هذه الحضارات . وذلك فى جميع مجالات الثقافة والمعرفة : سواء كانت فنية (سينما ، تصوير ، مسرح ، موسيقى ...) أو أدبية (قصص قصيرة ، روايات ، مقالات...) أو علمية (خاصة بعلم الانثروبولوجيا أو بالتاريخ أو بالفلسفة أو بعلم الاجتماع ...) . وبدون الفكر الاصطفائى والبعد عن "الثقافات" الشعبية ، يبدو لى أن سفسطة الضواحى سوف تكون على نقيض ما أسميته لتوى بالتعبير عن الجدارة . ربما يبدو حكمى لكم مبالغًا فيه أو متحفظًا إلا أننى أعتبر اللغة غير المفهومة لأبناء العرب المهاجرين ضارة جدًا باللغة الفرنسية وبالأحرى بالفرانكفونية العربية . إنه تشويه يضاعف من خطورته أنه يصيب بالعدوى والتقليد الفئات الأخرى من المجتمع الفرنسى لذلك فإننى لا أتفق كلية معكم عندما تكتبون : "إن

الشباب أبناء المهاجرين القادمين من بلاد المغرب عددهم كبير فى المدارس الفرنسية لدرجة أن جميع الطلاب يستخدمون لكنتهم فى الحديث ! ... خاصة أحفادى". (١) إننى لا أتفق معكم فى ذلك إلا إذا كنتم تحاولون من خلال هذه الجملة أن تتحدثوا عن ظاهرة من المؤكد أنها ثقافية واجتماعية إلا أنها لا يجب أن تشكل حكمًا على الظاهرة ذاتها .

وأكرر أن حديثى هذا لا يحاول التقليل من شأن أبناء العرب المهاجرين بل على العكس ، يتعين أن نرتقى بهؤلاء الشباب لا أن نتبعهم على سبيل الانسياق أو التصالح أو الغوغائية نحو القاع حيث تجذبهم قوى نابذة . ومن واجبنا أيضًا أن نحرص على أن تكون الفرانكفونية العربية لامعة وبراقة من خلال الثقافة الراقية أولاً وأساسًا ، من خلال الجمال ومن خلال علم الجمال ومن خلال الرقى الفكرى العام . أما الخاص والمحلى والفلكلورى فهى عناصر لازمة لتحقيق الشعبية والفائدة ولكنها تأتى فى المقام الثانى . وهنا أصل إلى نقطة أخرى فى تحليلى ألا وهى الازدواجية الثقافية.

على عكس ما نجده فى بعض الصحف وما تبثه بعض الشبكات التليفزيونية فإن امتلاك ثقافة مزدوجة لا يعنى أكل "الكسكسى" Couscous على الغذاء و"الشكروت" Choucroute(*) على العشاء ، ولا يعنى كذلك توالى تفسير الإنجيل وتفسير القرآن ولا إجادة وضعية " أوجست كونت " وتاريخ " ابن خلدون"، إن ما تعنيه الازدواجية الثقافية يقع فى منتصف الطريق بين الطعام والدين ! .

ولكى نكون أكثر جدية ونتحدث بشكل ملموس سأقول بأن ازدواجية الثقافة (وفقا لاستخدام اللفظ فى اللغتين العربية والفرنسية) تعنى تنوق موسيقى " برليوز " Berlioz والموسيقى الأندلسية ، موسيقى " أديت بياف " Edith Piaf وموسيقى أم كلثوم أو فيروز ، موسيقى " براسنس " Brassens وعبد الوهاب . إنها تعنى كذلك – ولو بشكل عام –

(١) ستيلو فاراندجيز ، " الفرانكفونية العربية ، الواقع والمشروع ... ، السالف الذكر .
(*) الـ"كسكسى" أكلة تشتهر بها بلاد المغرب العربى وتتمتع بشعبية كبيرة جداً فى فرنسا وتتكون من قمح وخضراوات ولحم أحمر و الـ"شكروت" أكلة فرنسية شهيرة وتتكون من الكرنب والبطاطس ولحوم الخنزير المقطعة.

تذوق أعمال "لافونتين" la Fontaine و " ابن المقفع ..."، " بودلير " Baudelaire، و " المتنبى " ، " أندريه مالرو" André Malraux و " نجيب محفوظ " ... أنها تعنى الاندماج مع أفلام " يوسف شاهين.. وأفلام " هنرى فيرنوى " Henri Verneuil أنها تعنى أيضا الإلمام بفكرة – ولو شاملة وعامة – عن تاريخ الحضارتين . وأخيراً ، فهى تعنى معرفة المسيحية والإسلام والاعتراف بهما وبشرعيتهما دون أن ننسى وحيهما المشترك والأصيل ألا وهى الديانة اليهودية... ولاحظوا أننى لم أذكر ما قد يعتبره البعض متطلباً أساسيا للازدواجية الثقافية وأعنى به إجادة لغتين (وفى حالتنا هما اللغة العربية واللغة الفرنسية) . لا يبدو لى – ولست الوحيد الذى يعتقد ذلك – أن معرفة الثقافة العربية لا يحدث بالضرورة إلا من خلال إجادة اللغة العربية. لن أبرهن على رأى إلا من خلال بعض نماذج لأسماء مستشرقين فرنسيين مثل (" د.شوفالييه " D.Chevallier و " و . كاريه " O.Carré و " ر. أرنا لديز " R.Arnaldez) وهم على دراية بالحضارة العربية الإسلامية أكثر من الكثيرين من المتخصصين العرب وذلك دون أن يجيدوا اللغة العربية .

إن شروط الازدواجية الثقافية biculturalisme التى عددتها تقودنى مباشرة إلى الفكرة التى أود أن أوجز بها توضيح هدفى : الدور الرئيسى الذى يمكن بالفعل أن تلعبه الفرانكفونية العربية فى إحياء ونشر الازدواجية الثقافية . وبعبارة أخرى ، لا أرى أن الفرانكفونية العربية مجرد مزيج بين معدنين نفيسين هما اللغة العربية واللغة الفرنسية . إن خلط الذهب بالفضة لا يعطى مادة خام تفوق الذهب النقى أو الفضة النقية فى القيمة . إننى لا أرى أنها مجرد تهجين أو كينونة لقيطة تولدت عن تشابك حصرى لغوى أو صوتى . وهى ليست مجرد تشابك وتداخل بين لغتين لكنها بالأحرى التقاء بين ثقافتين . إذن ، فأنا أرى أن الفرانكفونية العربية كيمياء متحدة بين ثقافتين يدعوهما التاريخ والجغرافيا والجغرافيا السياسية (أى الجغراسية) إلا الاتحاد بشدة وإلا ستتلاشيان بكل أسف على المدى الطويل .

فى عالم علم الأحياء يكون التكافل Symbiose عبارة عن " تجمع دائم ومتبادل ومفيد بين العناصر الحية " (معجم " لوبتى روبير " Le Petit Robert) إذن فمن خلال التكافل وليس التناضح Osmose سأقوم بتعريف الفرانكفونية العربية لأن التناضح –

فى معناه البيولوجى كذلك – يعنى " ظاهرة انتشار تحدث عندما ينفصل سائلان أو محلولان جزئيان مركزان ومختلفان عن بعضهما البعض بواسطة غشاء قابل للاختراق يسمح بمرور المادة المذيبة لكن لا يسمح بمرور الخلاصة المذابة " (قاموس " لوبتى روبير ") .

ولا يتعين علينا هنا أيضًا أن نخلط بين التركيب والإضافة ، بين التوفيقية والإلقاح المتبادل . وبعبارة أخرى ، لا يتعين أن تشتمل فكرة الفرانكفونية العربية على محاولة الهيمنة : فالأمر يعنى التقاء خصب بين ثقافتين ولا يعنى ذوبان إحدى الثقافتين وانصهارها داخل الأخرى . إن المراد هو تحقيق وحدانية فى ظل التعددية وتكافل فى ظل الاختلاف ، ذلك لأن كما ذكر " ليفى شتراوس " Levi-Strauss : " إذا ما كان ثمة فضل للتنوع موجود بين المجتمعات الإنسانية (...) فإنه يجب علينا أن نعترف بأن هذا التنوع ينشأ فى جزء كبير منه نتيجة رغبة كل ثقافة فى التناقض مع الثقافات الأخرى المحيطة وفى التميز عنها أى فى كلمة واحدة أن تكون ذاتها . إنها لا تتجاهل بعضها البعض بل تقتبس من بعضها البعض على حسب الظروف لكن لكى لا تموت هذه الثقافات وتنتهى يجب أن يستمر بينها نوع من القابلية للاختراق والنفاذ تتحقق من خلال روابط أخرى " (١) .

وبعبارة أخرى ، فإننى أعتبر الفرانكفونية العربية إكسيرًا طويل العمر يعطى للثقافتين العربية والفرنسية عمرًا أطول . إذن فالفرانكفونية العربية لا تأتى لتحل محل الفرانكفونية ولا العربوفنية . وبين هذين الواقعين الثقافيين واللغويين والحضاريين تأتى الفرانكفونية العربية لتأخذ مكانها كنوع ثالث وجديد لثالوث خطير ومفيد : الفرانكفونية Francophonie، العربوفونية arabophonie ، والفرانكفونية العربية arabofrancophonie . إننى أرى الهيئة الفرانكفونية العربية كأنها مصدر إبداع مزدوج الثقافة وكأنها أداة نقل لهذه الثقافة المزدوجة الأصيلة . وباختصار ، فإننى أرى أن اللغة الفرنسية تعبير عن الثقافة العربية وأن اللغة العربية تعبير عن الثقافة الفرنسية . هذا ، وبشكل نهائى ، هو تعريفى للمفهوم الذى ندين لكم به والذى سيحظى – وأنا على يقين من ذلك – بمستقبل باهر جدًا .

(١) ليفى شتراوس Levi-Strauss، " النظرة البعيدة " ، باريس ، بلون ، ص١٥ .

لقد قال " ر . رولان " R.Rolland فيما سبق أن " الفنان الحقيقى لا يلتفت إلى مصير عمله الفنى " . وإنك يا سيدى العزيز " فاراندجيز " فنان يتعين عليه أن يصاحب نمو عمله الفنى وأن يسهر على مصيره . إلا أن مستقبل الفرانكفونية العربية يعتمد على جوهرها الفلسفى وعلى انتشارها الإستراتيجى وعلى أبعادها السياسية . وليست لهذه الأبعاد السياسية أية قيمة من دون كفاءة الرجال الذين عليهم مرافقتك ودعمك خلال هذه المغامرة الجديدة والمثيرة وحيثما تسوقك الأقدار.

ها هى يا سيدى العزيز فكرتى الوليدة وتناولى المبدئى لموضوع معقد لم أكن حتى لأشك فى وجوده . إننى بالطبع لم أتناول سمات أخرى أساسية تفرضها الإشكالية لأنها وثيقة الصلة بها مثل الرهانات السياسية والعوامل الداخلية المرتبطة بالقضية (حيث أن عدد المسلمين فى فرنسا سيصل قريبًا إلى خمسة ملايين وبالتالى فهم يمثلون شريحة انتخابية ...) والعوامل الخارجية وثيقة الصلة (مثل علاقة الشمال بالجنوب ، والعلاقات بين البلاد الفرانكفونية والبلاد العربوفونية ...) أو الرهانات الاقتصادية (مثل التبادلات والشراكة بين شاطئ البحر المتوسط). إن هذه الجوانب السياسية والاقتصادية والجغراسية سيتم على الأرجح تناولها من قبل زملاء آخرين سيكونون بالتأكيد أكثر مهارة منى فى ذلك .

وعلى سبيل الختام ، اسمحوا لى بأن أقدم لكم ولكل العاملين والقائمين على الفرانكفونية العربية هذه السطور التى اقتبسها وللمرة الثانية من الفيلسوف المتمرد على التقاليد " باسكال بروكنر " : " على الرغم من سلاستها ومن انبساطها فإن مجتمعاتنا ستظل دائما بحاجة إلى " نفوس عالمية عظيمة " ، روسو Rousseau، بحاجة إلى هؤلاء الرجال الذين يشكلون جسورًا تفتح مناطقًا للاستماع وللحب بين العوالم وتنكر الأنانية وتحث على التبادل . إلا أنه بتقليصه فى مجرد أيديولوجية يصبح الفكر العالمى غارقًا فى مادة بديلة مخففة وقبيحة . إن أى راغب فى التغيير الثقافى يجب أن يتمتع بالإصرار والشجاعة بل ويتسم بتلك الذرة من الجنون التى تسكن كل الوسطاء العظام" (١)

(١) باسكال بروكنر ، " هل العالمية ضرورة ؟ .. السالف الذكر ، ص ١٠١ .

الفرانكفونية العربية :
علاقة بالآخر

بقلم : أمينة آيه شهلية بن عيسى
أستاذ بجامعة روان

كيف يمكن تطبيق مفهوم الفرانكفونية العربية فى الجزائر ؟

إن هذا المفهوم من وجهة نظرى يبدو مناسبًا للسياق الجزائرى على اعتبار أن الجزائر بلد ناطق بالعربية رسميا وتحتل اللغة الفرنسية فيه مكانة مهمة جدًا فى شتى المجالات المتعلقة بالحياة الاجتماعية حتى وإن كانت تعتبر رسميا لغة أجنبية .

إلا أنه وقبل كل شىء يحمل مفهوم الفرانكفونية العربية بعدين يتعلق كل منهما بالهوية وهما : "الانتماء للعروبة " L'arabité و"الانتماء للفرنسية " La Francité

عندما يتجاور مثل هذين البعدين تفرض بعض القضايا نفسها وهى تتعلق بالغيرية L'altéritéوبالمثلية . Mêmeté ما هو البعد الذى يمثله بالنسبة للجزائريين الفضاء " المماثل " وما هو البعد الذى يمثله الفضاء " الغيرى " ؟

ويكتسب هذا التساؤل أهمية أكبر فى وضع يشوبه صراع حول الهوية .

إن الأزمة التى تعيشها الجزائر حاليًا تحتل فيها الصراعات حول الهوية مكانة كبيرة وذلك ما عبرت عنه الأحداث الأخيرة المؤلمة الخاصة بالقبيلية . فى مثل هذه المواقف يصاب عنصران مهمان بالتشويش : " التماثل " و " الغيرية " . فى قلب أى صراع حول الهوية يدخل الإنسان – إراديا أو لا إراديا – فى صراع مع " أقرانه "

ومع " الآخرين " الذين يصبحون أعداءً أو على الأقل يتم التمييز بين "أقرانه" و"الآخرين" . ويزيد من خطورة هذا الصراع عولة mondialisation المواقف : فهناك من يشار إليهم على أنهم " مماثلين " ولا يمكن النظر إليهم على أنهم " آخرون " والعكس صحيح .إن جزء الغيرية الموجود داخل كل منا يعتبر تهديداً لوحدة الهوية القومية .

قضية العلاقة بالآخر هى التى سوف تكون محور موضوع مقالتى .

ولكى أوضح كلامى بشكل أفضل ، اخترت أن أعتمد على مثالين حيين اقتبستهما من الاستقصاء الذى قمت به لإعداد رسالة الدكتوراه التى قدمتها فى علم الاجتماع اللغوى [1] . وهذا الاستقصاء عبارة عن سلسلة من اللقاءات مع شباب جزائرى (ينتمى إلى شريحة عمرية من ٢٥ إلى ٣١ سنة) استقروا حديثا فى فرنسا وقمنا بسؤالهم عن هويتهم الجزائرية . وأود أن أضيف أننى شخصيا ذو صلة وثيقة بالاستقصاء على اعتبار أن إحدى المعطيات الأساسية للتحليل ترتكز على كون الأشخاص الذين تم سؤالهم ينتمون – مثلى – لجيل ما بعد استقلال الجزائر وقد قمت بإجراء اللقاء معهم على هذا الأساس .

إن النموذج الأول عبارة عن مقتطفات من اللقاء الذى تم مع " رضا " (٣١ عاماً) وهو طالب يعيش فى باريس ويدرس بالمرحلة الجامعية الثالثة [*] بالمدرسة القومية للأعمال العامة . لقد عاش رضا فى الجزائر العاصمة حيث قام فيها بإتمام دراسته الجامعية بمرحلتيها الأولى والثانية . إنه عربوفونى أى أن لغته الأم هى اللغة العربية الجزائرية وفى الوقت نفسه هو يتكلم الفرنسية بطلاقة .

(١) " تشكيل الهوية من خلال اللغة : تنويعات حول الهوية الجزائرية " رسالة دكتوراه تمت مناقشتها فى ديسمبر ١٩٩٩ بجامعة روان.

(*) هى المرحلة النهائية فى الدراسات العليا وتتكون من دبلوم الدراسات المتعمقة DEA الذى تستغرق فيه الدراسة سنة أو سنتين ويليه التسجيل لرسالة الدكتوراه التى تستغرق بحد أدنى سنتين و ٥ سنوات بحد أقصى .أما الدراسة بالمرحلة الأولى الجامعية Premier Cycle فتستمر لمدة سنتين تنتهى بالحصول على دبلوم الدراسات الجامعية العامة DEUG أما المرحلة الثانية Deuxième Cycle فهى تشتمل على دراسة لمدة سنة يحصل بعدها الطالب على درجة الليسانس ثم سنة أخرى يحصل بعدها على درجة الماجستير .

والنموذج الثانى يمثله " نسيم " الذى تعتبر لغته الأم هى اللغة البربرية ، وهو أصلاً من قرية صغيرة فى " قبيلية " ودرس فى " تيزى أوزو " حتى السنة النهائية قبل الثانوية العامة ثم رسب فيها . وبعد ثلاث سنوات ، قرر أن يذهب ليجرب حظه فى فرنسا وكان وضعه غير قانونى فى أثناء إجراء الحوار معه وكان يتكسب من بعض الأعمال البسيطة فى الخفاء .

وعلى الرغم من الفوارق الواضحة بين النموذجين وبينى والتى تتحكم فى تشكيل هوية وخطاب كل منا فإن درجة " التماثل " بيننا تفرض نفسها : الجنسية نفسها والجيل نفسه المناخ الثقافى نفسه سواء كان جزائريا أو قبيليا المسيرة نفسها (مع وجود نجاحات متعددة بالتأكيد) التى شهدت مراحل مختلفة فى النظام التعليمى الجزائرى . وبهذا تصبح المساحة التى تفصل بين من تقوم بالاستقصاء ومن يتم عليهم الاستقصاء فى أقل درجاتها . ذلك لأنه بعيداً عن التقارب الثقافى والعرقى المشترك بينى وبين متحدثى إلا أننى أكثر صلة بهذا الاستقصاء على اعتبار أننى شخصية فرضية يطبق عليها الاستقصاء . وإذا كان كل شىء يميل إلى وجود تبادل شفهى توافقى بل ومتواطئ فيما يتعلق بالهوية الجزائرية (١) فما هى اللحظة (أو اللحظات) التى يرانى فيها كل من هذين المتحدثين " مماثلة " له والأخرى التى يريانى فيها " أخرى " بالنسبة لهما ؟ وكيف ينظران لهذا " الآخر " ؟

لقد اخترت أن أحلل لحظات الانتقال بين " التماثل " و " الغيرية " فى كلام متحدثىَّ الذين أطرح عليهما الأسئلة المتعلقة بالهوية الجزائرية :

ما هى العلامات الممكن ملاحظتها فى خطاب المتحدثين عندما تصبح رهانات الهوية وجودية ؟ كيف تتداخل هذه العلامات مع أسئلة من تقوم بالاستقصاء ؟ فى أية لحظات تنزلق من تقوم بالاستقصاء نحو " الغيرية " بالنسبة للمتحدث والعكس ؟ سوف

(١) إن مفهوم الهوية مفهوم معقد ويخضع دومًا لتغيرات تاريخية واجتماعية وثقافية . إذن فالقضية ليست تعريف الهوية الجزائرية بشكل نهائى لكنها تكمن فى تحليل ترجمتها إلى كلمات .

أتناول هذه الأسئلة مع أخذ " الآخر " فى الاعتبار ومراعاة تجمده وثبات صورته ومراعاة عملية البناء والهدم التى يعيشها .

الغيرية المجهولة : الجزائريون جميعهم متماثلون :

فى حالة رضا وضعت فى بداية الحديث المستقصية - وهى أنا - فى وضع " الآخر " وهذا منذ البدايات :

أمينة : فى اعتقادك أنت /-/ قل لى ببساطة بالنسبة لك /-/ ماذا يعنى أن يكون المرء جزائريا ، كيف تعرف نفسك باعتبارك جزائريا ؟

رضا : أيه ! حسنًا ! ان يكون المرء جزائريا يعنى لى .... أيه ...

فى بداية اللعبة ، حاولتُ أن أخلق مسافة بينى وبين رضا من خلال استخدامى لكلمة " فى اعتقادك أنت " بشكل مستمر وذلك حتى أحدد وضعى منذ البداية كآخر " بالنسبة لمن أقوم باستجوابه . فلكونى قائمة على الاستقصاء كان الأمر بالنسبة لى يفرض على تقليص بعض سمات تقاربنا كجزائريين دون أن أطمسها تمامًا وذلك حتى تتوافر أدبيات الاستقصاء وحتى أستثير " الغيرية " لتطفو على السطح. إن هذا التركيز المحورى على من أقوم بمحاورته يأتى فى لحظات مهمة من اللقاء وهى تلك اللحظات المتعلقة بموضوع الهوية . باستخدامى كلمة " بالنسبة لك " كنت أناشد متحدثى ليس فقط كشخص " مماثل" ولكن أيضًا كآخر مفترض يمكننى أن أعرفه بوصفه مماثلا من ناحية البعد الثقافى فقد أتقاسم معه معارفًا مشتركة لكنها ليست بالضرورة معيشة بنفس الطريقة ، أى " مماثل" يختلف تجسيد المعارف لديه عن تجسيدها لدى رغم اشتراكنا فيها ، باختصار " مماثل" ولكنه أيضًا "آخر ثقافى" محتمل . يمكننى أن أعرفه على أنه "مماثل" يملك نصيبه من " الغيرية " ويقبل " غيريتى"، والقضية هى معرفة الكيفية التى يستجيب بها المتحدث للدعوة التى يمكن أن يتجاهلها تمامًا .

فى إجابته التى لن أذكر منها سوى الجزء المذهل فيها عبر رضا عن رفضه للغيرية عن السياق الجزائرى وطالب بشدة بالتماثل :

" (...) إننى أعتبر نفسى جزائريا بنسبة مائه بالمائه ، أنا لست هامشيا (...) فأنا مثلى مثل الآخرين (...) إننى أدخل فى نطاق الأعراف الجزائرية . أى أنه عندما تنظرين إلى وأنا أسير فى شارع فى الجزائر ، أكون مثل الآخرين . "

إن إعادة الصياغة تمحو بل وتنكر أية إمكانية للاختلاف . ومن هنا ، لا يمكن أن يتم النظر لمن تقوم بالاستقصاء على أنها " آخر " على اعتبار أنها جزائرية ، و إلا لن تكون جزائرية " مائة بالمائة " وستصبح " هامشية " . ويبقى أن نعرف ما يعنيه أن يكون الشخص جزائريا " مائة بالمائة " وهو الشيء الذى لم يستطع رضا أبدًا أن يوضحه وذلك لأن مجرد فكرة " الغيرية " لا يمكن تصورها بالنسبة له إلا فى إطار تعددى . إلا أن التعريف الذى يقدمه محدثى عن" الأعراف الجزائرية " يتعارض مع جميع أشكال التعددية بما أنه بالنسبة له كون المرء جزائريا يعنى " الانتماء لشعب " و " ممارسة لغته وديانته " كما ذكر فى مقطع آخر . ويقول أيضا : " بالنسبة لى (...) ترتبط اللغة بالدين بشدة وذلك لأن – حسنًا – ديننا هو الإسلام والقرآن باللغة العربية ، إذن فأنا أعتبر نفسى عربيا " .

هو بذلك يقيم علاقة منطقية بين الدين واللغة والهوية وهو يدرج نفسه داخل هذا الإطار . إلا أن استخدام ضمير الجماعة فى " ديننا " يقود من تقوم بالاستقصاء وكذلك جميع الجزائريين للدخول فى الإطار المنطقى نفسه . إن فكرة الغيرية شيء غير متصور أصلاً بالنسبة لرضا . بالإضافة لذلك ، فإن كلمة " عربى " لفظ مختزل جدًا لتعريف الهوية الجزائرية ، فالعروبة إحدى مكونات هذه الهوية بالتأكيد ، وهى مكون مهم لكنها لا تمثل الهوية الجزائرية بشموليتها .

ويضيف أيضا بعد ذلك :

" إننى أعتبر نفسى عربيا ، حسنًا ، إننى لا أختلف عن القبيليين ، فبالنسبة لى هم عرب ، لنقل فى النهاية أنهم جزائريون " .

إن كلمة " عربى " فى حديث رضا تشتمل على دعوة للقبيليين، فبتحديد وجودهم هو يعترف على الأقل بوجود جماعة عرقية غير عربية ، مما يتعارض مع الوحدوية التى وصف بها الجزائر فيما سبق . إن هذا التناقض هو فى حد ذاته تعبير عن صراع

متعلق بالهوية أظهره حديث رضا خاصة عندما ادعى قائلا : " بالنسبة لى هم عرب ، لنقل فى النهاية إنهم جزائريون" ، فهذه العبارة ذات معنى غامض ومتصارع.

ففى الواقع ، إن إدماج القبيليين داخل مجموعة العرب جعل رضا يضطر إلى اعتبارهم " مماثلين " بما أنه هو شخصيا " عربى " . لكنه يعود سريعًا بعد موقفه الأول ليدرج القبيليين داخل مجموعة الجزائريين ، لكنه يبدو غير مقتنع تمامًا بذلك . إن كلمة " لنقل " فى نهاية جملته تعبر فى الوقت نفسه - ومن منظور التعددية الصوتية - الانضمام والمقاربة والشك الذى اعترى رضا تجاه عبارته . وفى الوقت نفسه ، تعبر كلمة " لنقل " عن بحث عن توافق مع الذات ربما لأننى أنا نفسى نصف قبيلية . لقد وقع رضا فى مأزق تسببت فيه عباراته ، وقد بدا عليه الإحراج وأصبح غير قادر على تحديد عما إذا كان يتعين عليه اعتبار القبيليين - بما فيهم من تقوم بسؤاله - " مماثلين " له أو " آخرين " . فضل رضا إذن أن يتجاهل الصراع الذى ولده استخدام كلمة " جزائريون " والذى أفسره على أنه تحفظ وإشارة لتفادى " الغيرية " غير المقبولة وهو شىء لا يمكن إلا التسامح فيه .

هكذا تمثل كلمة " جزائرى " الصلة التى تمحو " الأخر " العرقى لصالح " مماثل " وطنى ، كل ذلك ملامحه غير محددة بدقة . لذلك ، فهو يحاول دومًا فى أثناء الحوار معه أن يحتفظ لى بوضع " المماثل " . إن وجود غيرية لا تتسم بالصراع شئ لا يفهمه رضا داخل الإطار الجزائرى ، وهذا ما أكده عندما تم سؤاله عن الإرث متعدد الثقافات للجزائر . وحينئذ أجاب بالإنكار :

أمينة : وماذا تفعل بالأناس الذين قدموا بعد ذلك ؟ (بعد العرب).

رضا : أى أناس هؤلاء الذين قدموا بعد ذلك ؟

وأمام الإنكار الشامل الذى عارضنى به متحدثى شرعت فى إشراكه فى الأمر ومخاطبته بشكل مباشر وبشكل أعمق :

أمينة : هل تجد نفسك فى الثقافات الأخرى التى جاءت لتحفر مكانها فى الجزائر؟

رضا : إننى لا ألزم نفسى فقط بالثقافة العربية (...) ولا أقول الإسلامية، إننى أقول العربية بشكل عام (...) إننى مهتم بكل ثقافات العالم .

فى البداية ، يبدو أن رضا أراد أن يتخطى الجانب العربى الإسلامى للثقافة الجزائرية . لكن هناك سؤالا يطرح نفسه : " ما معنى هذا التركيب التعبيرى واسع النطاق " العربية بشكل عام " بالنسبة لرضا . ما العمومية التى يتحدث عنها وبالأحرى ، أين يمكن وضعها ؟ هل داخل الجزائر أم خارج حدودها؟

وبعد تردد كبير زال اللبس بسبب عبارة خففت من الصراع فى عموميته . فحلت محل " العربية بشكل عام " عبارة أخرى تعبر عن تخطى الإطار الجزائرى وهى " كل ثقافات العالم" . إن هذا الموقف المتطرف يفضح عدم قدرته على القبول بوجود " الغيرية " داخل الفضاء الجزائرى الذى يريده ناعمًا بالسلام بين طوائفه . ويستطرد فى شرح هذا الموقف طويلاً فيدخل على حديثه هنا تعليقًا طويلاً عن رفضه للتطرف ولعدم التسامح . إن هذا الاسهاب فى تقديم المبررات يساهم هنا أيضًا فى محاولة لتفادى الصعوبة فى قبول وجود " الآخر " الجزائرى وذلك من خلال إستراتيجية تجنب . بالنسبة لرضا لا يمكن أن يكون "الآخر" سوى أجنبيا ، أما " المماثلون " فلا يمكن النظر إليهم إلا من منظور الاندماج والانصهار ، انصهار يتجسد من خلال استخدام كلمة " جزائرى " .

الغيرية المنشودة : عندما تستبعد كلمة جزائرى كلمة عربى:

أما نسيم فهو يدعو إلى إستراتيجية لغوية مقابلة لإستراتيجية رضا . فالغيرية الظاهرة والواضحة تشكل حواره . لقد بدأ متحدثى الجديد بإبراز التناقض بين عربى/ قبيلى من خلال اختلاف الممارسات اللغوية :

نسيم : إذا ما خرجت عن نطاق القبيلية يتعين على أن أتحدث باللغة العربية وهذا ... لا يمكننى أن أتحدث بالعربية ، أقصد ، أن ذلك لا يعود لعدم قدرتى على التحدث بالعربية ولكن... إذا ما كنت مدعوا لحفلة أو ما شابه ، أذهب إلى هناك وفيما عدا ذلك لا أجد

ما يدعو لذلك / – / فأنا أشعر براحة عندما أكون فى قريتى وأفضلها على الذهاب إلى أى مكان آخر .

إذن " فالآخر " يتحدد من خلال الممارسة اللغوية : إنه ذلك الذى يتحدث باللغة العربية . بالنسبة لنسيم ، يجب أن يكون هناك سببًا للتحدث بالعربية ولا يبرر ذلك سوى ظروف خاصة كما هو الحال هنا فى إطار حفلة مقامة خارج نطاق القبيلية . وتدريجيا حل فعل " يتحدث " محل فعل " يذهب " : " إذا ما كنت مدعوا لحفلة (...) أذهب إلى هناك وفيما عدا ذلك (...) أشعر براحة عندما أكون فى قريتى وأفضلها على الذهاب إلى أى مكان آخر " . ذلك لأن استخدام اللغة العربية يمثل الانتقال إلى منطقة غير ناطقة بالبربرية وعلى الأخص غير قبيلية ، مما يستلزم بالنسبة لنسيم وجود مبرر . إن " القرية " – وبشكل أوسع فى بقية الحوار " القبيلية " – هى الفضاء الذى يوجد به " المماثلون " فى حين أن " أى مكان آخر " يعنى كل ما هو غير قبيلى أى فضاء " الآخرين " . إذن فالآخر ليس له وجود إلا فى فضائه الخاص به .

إن الصراع هنا واضح وجلى وهو ينفجر فى لحظة توتر خلال الحوار :

نسيم : إننى أعتبر أن العربى هو من لا يتحدث القبيلية / – / باختصار العربى ليس جزائريا".

إن المعادلة الجذرية "قبيلى– جزائرى" التى ترفض وجود معادلة "عربى– جزائرى" مطروحة هنا ، إن العامل اللغوى يمثل – مثل اللازمة – العنصر الأعظم فى تأكيد الهوية وفى تعريف " الآخر " على حد سواء بالنسبة لنسيم. إن هذه الأهمية التى تكتسبها اللغة يتعين الربط بينها وبين القمع الذى يمارس من قبل السلطات المتتابعة على الثقافة البربرية لحجب البعد البربرى للبلاد وذلك من خلال النصوص الرسمية الجزائرية. إن حديث نسيم يمكن النظر إليه على أنه خطاب مضاد . ولنلحظ أن البربرية تختزل بالنسبة لنسيم فى جزئها القبيلى الذى يعنيه . فماذا يمثل بالنسبة له البربر غير القبيليين ؟ هل هم " مماثلون " أم " آخرون " ؟ هل هم جزائريون أم غير جزائريين ؟ إن هذه التساؤلات أثارها حديث نسيم بغموض . وحتى هذه اللحظة ،

يكتفى نسيم بالتمييز بين نوعين أساسيين ومتقابلين : القبيليون وهم جزائريون و " باختصار العرب " وهم غير جزائريين.

وأمام هذا الوضع تدخلت باعتبارى " مماثلة " مع التأكيد على اختلافى ، فقمت بمعارضة التصنيف الذى حدده متحدثى :

أمينة : أنا / – / قبيلية لكننى لا أتحدث القبيلية (...) إذن فأنا لست جزائرية؟

كان من الواضح أن نسيم أصيب باضطراب بسبب القضية التى طرحتها عليه ، هنا اختار نسيم مواجهة شفهية صراعيه يأخذ فيها مكانى كشخص يقوم باستقصاء . إن هذا التبادل فى الأدوار من جانب متحدثى يهدف إلى إصابتى بالاضطراب . وهكذا وفجأة وجدتنى وأنا يتم استجوابى وسؤالى عن هويتى :

نسيم : إنك / – / تقولين أنك / – / من أب قبيلى /–/ وأنك تعيشين فى الجزائر العاصمة /–/ وأنك لا تتحدثين القبيلية /–/ فماذا أنت إذن ؟

إن عنف نبرة صوته ضاعفت من الطابع المباغت للسؤال : إن نسيم لا يعرف كيف يصنفنى، حيث إن طلبى فى الواقع يشتمل على تنوع كبير فى الثوابت اللازمة للتعريف والتى تشكل لمنهجه فى التنصيف لغزًا حقيقيا يعجز عن حله : هل أنا " مماثلة " ؟ على الأرجح نعم بما أننى نصف قبيلية وإن كنت لا أتحدث اللغة القبيلية . إلا أننى من جانب أمى أملك جذورًا فى منطقة عربية – بربرية لكنها غير قبيلية . وعلى هذا النحو أكون إذن " أخرى " أى عربية . لكن بالنسبة لنسيم ، من المستحيل أن يكون الشخص نفسه " مماثلاً " و " آخرًا " فى الوقت نفسه . إن التعارض العرقى " عربى / قبيلى " شئ لا مفر منه بالنسبة له . أما بالنسبة لى ، فلم أرد أن أحبس نفسى داخل أحد التصنيفين اللذين حددهما محدثى فجاءت إجابتى معارضة لتأكيداته.

وهنا أعاد نسيم صياغة سؤاله واقترح على تصنيفًا جديدًا : " البين – بين " الذى رأى فى النهاية أننى أندرج تحته . إلا أن القضية أبعد ما تكون عن الحل . فهذا التصنيف الجديد لا يرضى نسيم تمامًا على الرغم من أنه هو الذى حدده . من ناحية أخرى ، فمن الملاحظ أن نسيم يسحب بسرعة كلامه ويحملنى المسئولية الكاملة لهذا

التـصنيف الذى لم أتفـوه به أبدًا (" البـين - بين " مـثلك أنت /-/ إنك تدعـين أنك كذلك") ، على الرغم من أننى حتى هذه اللحظة لم " أدع " سوى تصنيفى " بوصفى جزائرية" بكل أبعادها المتعددة . ويتعين القول بأن الأمر هنا يتعلق ببعد تناقضه التصنيفات المتتالية " قبيلى " و " عربى " و " بين - بين " وهى كلها تنكر التهجين الذى أطالب به . إذا كان تصنيف "قبيلى" هو الرباط الذى يجمع "المماثلين " و "عربى"الرباط الذى يجمع" الآخرين "فإن" البين-بين "يصبح محل صراع بجدارة لأنه يشكل موقعًا "للمماثل" و"للآخر" فى آن واحد إن هذا الصراع تولد بسبب الجمع المتفجر لـ "مماثل - آخر" الذى يستعرضه ويوضحه نسيم على الرغم من رفضه له . وبالتالى ، أصبح أنا شخصيا بالنسبة له "مماثلة" لدرجة تتجاوز الحد كما أصبح وفى الوقت ذاته "أخرى" بشكل زائد عن الحد . ومن هنا جاءت نبرة الحدة فى حديثه والقطعية التى تزايدت لتصل لحد العداء المتطرف بين " عربى - قبيلى " لدرجة أنه طالب بفصل كامل بين "الفضاء القبيلى" و"الفضاء العربى" عن طريق استخدام جوازات سفر مختلفة . ويشرح نسيم موقفه بعد ذلك فيتحدث عن وجود "جزائريين مزيفين" ، ويستخدم فى حديثه تورية خلاقية : "الذين يعطون صورة سيئة عن الجزائريين" و "هم ليسوا جزائريين فعلاً" . إن نسيم لا يقبل "كمماثلين" سوى الذين يعتبرهم "قبيليين" كاملى الأهلية ، أما "الآخرون" على إطلاقهم فهم " العرب " . أما " البين- بين " فهم يشكلون تصنيفًا على حدة لكنهم يندرجون مثلهم مثل " العرب " تحت مسمى " آخرون " .

على عكس رضا الذى يتخذ موقفًا متواريًا فيما يتعلق بالصراعات ، يتغنى نسيم بهذه الصراعات ويستعرضها . وبينما تعنى كلمة " جزائرى " بالنسبة للأول إنكار لوجود الآخر فهى تعنى بالنسبة للثانى المطالبة بغيرية طاردة . ومن هنا فالآخر يعنى بالنسبة لأحدهما قبيلى بينما يعنى بالنسبة للثانى عربى .

إلا أنه على الرغم من هذا الاختلاف فى المواقف فنقاط الالتقاء والتوافق بين متحدثى فى علاقتهما " بالآخر " مهمة جدًا . بالطريقة نفسها التى حدثت مع رضا من المستحيل جعل نسيم يقبل نصيبه من الغيرية .فلكل منهما تعنى الغيرية الصراع إلا إذا

كانت خارج السياق الجزائرى حيث تصبح مسموحًا بها . وكما سبق وقال رضا فى أثناء الحوار معه صرح نسيم بدوره عندما سألته عن أسباب قدومه لفرنسا أنه بحاجة للاختلاط بجنسيات أخرى .

بالنسبة لمحدثى لا يمكن " للآخر " الذى لا يتسم بالصراع إلا أن يكون غريبًا وأجنبيا . هكذا، يمكن أن يكون " العرب " بالنسبة لنسيم " آخرين " ويمكن قبول ذلك دون صراع لأنه يعتبرهم أجانب يحملون جواز سفر أجنبى ، فى حين يتعين على القبيليين - بالنسبة لرضا - أن يذوبوا داخل الجماعة " العربية " . وفى الحالتين ، الأمر يتعلق " بغيرية " طاردة وقائمة على "تماثل " انصهارى . إن نفس الباعث الأيديولوجى يقود إلى موقفين متباينين ويدفعان إلى هيكلة ومقابلة خطاب سلام اجتماعى (رضا) بخطاب (نسيم) العدائى. فبسبب عدم الاعتراف بوجود نسيم فى النصوص الرسمية الجزائرية نجده يرفض الهوية الجزائرية التى يتم تقديمها له على أنها واحدة . أما رضا ، فبسبب عدم معرفته الفعلية لذاته أو / بسبب التظاهر بماضى متعدد لبلاده وبالتالى بالطابع المتعدد للعروبة التى ينادى بها نجده مطمئنًا للتعريف الوحدوى للجزائرية التى تقترحها النصوص الرسمية ، وهو تعريف يردده ببساطة . إن خطابه مجرد صدى للميثاق الوطنى (١٩٧٦) الذى يعرف الهوية الجزائرية كالتالى :

يرتبط الشعب الجزائرى بالوطن العربى وهو جزء لا يمكن انفصاله عنه .

- الجزائر أمة .
- إن الأمة ليست تجمع شعوب أو خليط من الأعراق المشتتة (...) .
- إن الشعب الجزائرى شعب مسلم .
- إن الإسلام هو دين الدولة " .

إن الاعتراف بوجود " آخر " من بين " المماثلين " شىء يتم النظر إليه على أنه خطر يهدد كمال ووحدة " المماثل " إن الاعتراف بالجزء "الآخر داخل "المماثل" يعنى كذلك الاعتراف بنصيب الذات من الغيرية . وأكثر من خشية الاعتراف بالآخر على اعتباره آخر تغلب أيضا خشية الشعور بعدم الاستقرار من جانب رضا ونسيم إذا

ما اعترفا بوجود " الآخر " بداخلهما . أليس ذلك هو الخوف من الشعور بالغربة عن الذات ؟ ومع ذلك ... رضا ونسيم وأنا شخصيا وكل الجزائريين ، كلنا نتاج قرون من المزج والخلط . إننا جميعًا وحتمًا نحمل بداخلنا نصيبنا من الغيرية .

عندما تظهر آثار هذه الغيرية التى نحملها بداخلنا على اللغة فإن ذلك يعنى أن " الآخر " هو أيضًا " مماثل " . هكذا ، يمكن النظر للفرانكفونية العربية بوضعها الذى يتسم بالصراع حول الهوية على أنها اجتماع مستحيل لبعدين يتم العيش بهما على أنهما ضدان . لكن الفرانكفونية العربية تمثل أيضًا أملاً فى قبول وجود " الآخر " داخلنا . ذلك لأن الفرانكفونية العربية فى الجزائر لا يمكن أن تنجح إلا إذا أخذت فى الاعتبار ما نرتكز عليه أى بعدنا البربرى . فلأننا نتحدث باللغة البربرية والعربية والفرنسية نعتبر متعددين ، نكون فى الوقت نفسه " مماثلين " و" آخرين " .

الفصل الثالث

الفنانون والكُتّاب مزدوجو الثقافة

الكتابة بلغتين أو مبدأ الأوانى المستطرقة (١)

بقلم : طاهر بكرى
كاتب ولد فى تونس
ومدرس بجامعة باريس ١٠ - نانتير

لقد أدخلت اللغة الفرنسية فى تونس منذ عام ١٨٧٥ أى قبل عام ١٨٨١ تاريخ استعمار فرنسا للبلاد. ويرجع إدخال اللغة الفرنسية فى البلاد إلى رغبة فى الإصلاح عبر عنها آنذاك رئيس الوزراء "خير الدين" حيث أراد إصلاح التعليم التونسى الذى ظل حتى ذلك التاريخ متأخراً وتقليديا (١٨٧٤ - ١٨٧٥). وقد حدث ذلك إبان حكم "صادق بك" ، هكذا حمل التعليم فى ظل حكم الحماية الفرنسية بصمة التعليم الصادقى أى أنه كان تعليمًا مزدوج اللغة. وكان ذلك مختلفًا عن الوضع فى الجزائر حيث كانت اللغة العربية هناك ممنوعة بكل بساطة ، حيث إن الجزائر كانت مستعمرة بشكل كامل وكانت تابعة لفرنسا وكأنها جزء منها .

لقد بدأت الالتحاق بالتعليم عام ١٩٥٦ أى عام استقلال تونس، وقد التحقت بالمدرسة الفرنسية العربية وكان تعليمى مزدوج اللغة منذ نعومة أظفارى. وقد استمرت هذه الحال حتى المدرسة الثانوية حيث كانت المواد العلمية والفلسفية تدرس باللغة الفرنسية. ثم التحقت بعد ذلك بجامعة تونس حيث درست الأدب الفرنسى. وأخيراً، التحقت بجامعة السوربون الجديدة لإعداد رسالة دكتوراه عن الأدب المغاربى الناطق

(١) هذا البحث عبارة عن مقاطع مأخوذة من مؤتمر تم عقده فى المعهد الفرنسى بمدينة فلورنسا بدعوة من المجلة الإيطالية للشعر المقارن " سيمتشركيو" فى الخامس من فبراير ١٩٩٩ .

بالفرنسية والآن أقيم بفرنسا منذ عام ١٩٧٦ ، ومنذ عام ١٩٨٩ وبعد غياب طويل أقوم بزيارات منتظمة إلى مسقط رأسى.

إننى أستخدم اللغة العربية التونسية مع خاصتى حيث إنها تمثل لغتى الأم الحقيقية وهى لغة عربية تتخللها كلمات فرنسية غالبًا ما تكون قد اختلفت حيث يتم تعريبها خاصة فيما يتعلق بالكلمات التقنية، بل وتتخللها أيضًا كلمات إسبانية وأحيانًا إيطالية. إن اللغة العربية الفصحى التى تلقيتها فى المدرسة تحمل فى طياتها علمًا وثراءً وجمالاً فهى لغة القرآن ولغة الأدب. وتُستخدم هذه اللغة العربية الفصحى بشكل مبسط وعصرى فى الصحافة المكتوبة ووسائل الإعلام السمعية والمرئية. وهكذا تتشابك مستويات عديدة من اللغات المنطوقة والمكتوبة. ويحمل هذا التمازج أحيانًا علامات إيجابية حيث تجلط لغة الكلام فى إطاره بين المفردات وتراكيب الجمل والخيال الذى يفرز تركيبات مدهشة تكون أحيانًا سريالية وشاذة فى أحيانٍ أخرى، إلا أن ذلك يثير دائمًا مشكلات حقيقية منها الرغبة فى إعطاء الأشياء مسميات محددة خاصة إذا ما أردنا الاكتفاء بلغة تعامل واحدة.

فى سبتمبر ١٩٩٨ تلقيت دعوة لتسجيل برنامج على الهواء باللغة العربية للراديو والتليفزيون التونسى. إن ما أدهشنى داخل ستديو التسجيل هو وجود لافتة ملصقه بالحائط أمام الضيف مكتوب عليها العبارة الآتية : " نرجو من ضيوفنا الأعزاء استخدام اللغة العربية الفصحى أو اللغة العامية فقط". مما كان يعنى أن بعض الضيوف كانوا يضطرون لإدخال بعض الكلمات الفرنسية حتى يتمكنوا من إجراء الحديث باللغة العربية على الهواء. إن هذا الوضع حقيقى لأن الحديث باللغة العربية بطلاقة وبدون إدخال كلمات أجنبية ليس بالأمر اليسير لدى أبناء بلدى لدرجة أن صديقًا لى تونسيا قد قال لى مؤخراً أنه يشعر أن أبناء بلدنا لم يعودوا قادرين على التحدث بشكل صحيح.

إلا أنه ليس من العدل أن نلصق ذلك بازدواجية اللغة، حيث يبدو لى أن أحد الأسباب العميقة لذلك هو الأمية التى تضطر جزء من السكان- وهم أقلية لحسن الحظ- إلى استخدام اللغة بتشويه عدد كبير من الكلمات فيها سواء فيما يتعلق باللغة

العربية أو باللغة الفرنسية. لقد تحدث عالم اللغويات "صلاح جرمدى" عن التشويه الذى يصيب المرء عندما تستعمره لغة. وأضيف أن الجهل يبقى أحد أسباب هذه المأساة اللغوية بكل واقعها السلبى والقاتم.

إلا أن اللغة فى الوقت نفسه تتمتع بثراء مذهل فهى حية ومبدعة وتتخطى القوانين وتتجاوز القواعد النحوية مما يعطى هذه القواعد نوعًا من الحرية، فهى تتمتع بذلك المذاق الذى يحول دون الملل والرتابة ويخلق نوعًا من الديناميكية التى ترفض أية قولبة. وهى بهذه الطريقة تنافس اللغة العلمية فى مزاياها وحدودها. ويمكن أن يطول الحديث إذا أردنا أن نذكر كل المواقف اللغوية المعيشة أو التى تم تحليلها لكن ذلك يبدو لى شيئًا مهما حتى تظهر مدى تعقيد المعطيات التى يعيشها كاتب تونسى اليوم عندما يكتب باللغتين العربية أو الفرنسية. وذلك بالطبع لا ينسينا أن نذكر التوتر القائم بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية. وتسفر الكتابة على هذا المستوى عن مواقف مختلفة من كاتب لآخر، وليس من السهل دائمًا اختيار لغة الكتابة. وحتى لا أطيل الحديث سأقول إن ذلك هو السياق الذى أقوم من خلاله بعملية الكتابة حتى ولو كنت أعيش فى فرنسا منذ أكثر من عشرين عامًا .

ومع ذلك، كل هذا لا يوضح طبيعة علاقتنا باللغة، ذلك لأن الكتابة وأعنى بها كتابة الشعر- تطرح إشكاليات أخرى على الأقل فيما يتعلق بى أنا شخصيا. ويبدأ ذلك أولاً مع اللغة الفرنسية. إن الشىء الذى كنت دائمًا له الأولوية هو البحث عن لغة أدبية ترجح قبل كل شىء إختيار الكلمة وتسعى لإظهار جمالها بل وعذريتها. إن الأمر لا يتعلق بالبحث عن الأرستقراطية فى اللغة أو بأية رغبة فى التحذلق لكننى أفضل الكلمة النادرة التى مازالت تحمل تاجًا ذهبيًا بدلاً من الأتربة التى تراكمت على اللغة لتجعل منها ركامًا قحطًا، أفضلها على الكلمة الفقيرة التى تحولت إلى مجرد شئ، تلك الكلمة الدارجة المسفة خاصة أن الشعر يهدف تحديداً إلى إثراء اللغة وإخصابها. إلا أن ذلك يبدو لى غاية فى الخطورة لأن اللغة الفرنسية لها شعراؤها مثل "رامبو "Rimbaud و "بودلير "Baudelaire و "مالارميه "Mallarmé و "بول فاليرى "Paul Valéry و "سان جون بيرس " Saint John Perse ولها روائيوها وكتابها أمثال "فلوبير "Flaubert و "بروست " Proust و "جوليان جراك "Julien Gracq

فضلاً عن ذلك، فالكتابة باللغة الفرنسية تعد طموحًا لا يخلو من المخاطرة، والجهد المبذول لابد أن يظل دائمًا مضاعفًا. ذلك لأننى أشعر أولاً بثقل الإرث والتراث الذى تتمتع به هذه اللغة مما يجعلنى أشعر بحياء دائم تجاهها فضلاً عن أنها ليست لغتى مما يجعلنى أيضًا أخشى أن أكون ضيفًا ثقيلاً عليها. "إن وعى بعظمة الأماكن كبير بالتأكيد وأحيانًا ما أظل فى حالة ارتباك عندما أسمع بعض أصدقائى الكتاب من الذين ينتمون للفرانكفونية يصيحون عاليًا وبقوة قائلين : إن كتاباتنا تثرى اللغة الفرنسية"! فيما يخصنى أفضل أن أكون أكثر حرصًا وأن أترك هذه الأمور للنقاد وللتاريخ الأدبى.

إلا أننى أستطيع أن أقدم لكم بعض الملاحظات فى محاولة لتحديد علاقتى الشخصية باللغة الفرنسية.

عما قريب ستكون قد مضت ثلاثون عامًا على استخدامى لهذه اللغة للتعبير عن كيانى وعن انفعالاتى وعن أحاسيسى وأفكارى وخيالى، وهى ليست لغتى الأم لكنها لغة ثانية، لغة المستعمر السابق الذى كان يريد تغيير هويتى وكيانى. لذلك سيكون من التدليس ألا أذكر بهذا الصدد الروابط المعاكسة والخلافية والحدود والجهود الإضافية اللازمة للتخلص من هذا الماضى المؤلم حتى لا نضيف إلى هذه المعضلة متاهات أخرى لا تساعد حيل اللغة ولا حيل التاريخ على أن تجد حلاً لها. لكن تدفع الكتابة ثمن ذلك كله لأنها حرب مستمرة بأدوات اللغة وضدها أيضًا لأنها لا تعبر دائمًا عما نريد التعبير عنه حيث أنها تستند إلى مرجعيات وواقع مختلف ولأنها تحمل رموزًا واستخدامات أخرى. إن ذلك ما تعنيه كلمة "لغة أجنبية" أى لغة الآخر. ولكن على أية حال– وكما لاحظ رولان بارت -Roland Barthes فإن أية لغة هى لغة أجنبية. وسأضيف أن ذلك يصبح حقيقيا بشكل أكبر فى اللغة الشعرية. ها نحن قد وصلنا إلى عمق الإشكالية.

إن المشكلة المطروحة هى إذن كيفية جعل لغة غير لغتى الأم هى لغتى، خاصة إذا ما تذكرنا الجملة الشهيرة التى قالها "مالارميه" Mallarmé للإجابة على "دوجاس" Degas: "إن السونيته لا تصنع السونيته ولكن الكلمات هى التى تصنعها"(١) . إلا أن هذه

(١) انظر قائمة المراجع .

الكلمات ليست بكلماتى لكنها ملك لآخرين. لذلك يظل استخدام اللغة الفرنسية فى الكتابة مغامرة كبيرة لا أستطيع أبدًا قياس نجاحها مسبقًا. إنها غزو سلمى بالتأكيد وجميل لكنها لا تخلو من الألم. إن أية عملية كتابة تعد غزوًا للغة، غزوًا لا يستطيع أبدًا الوثوق بنجاحه وذلك يشبه لغة تحترم نفسها تلتقط فى طريقها غنائم مختلفة وتجوب الأرض الواسعة للصفحة البيضاء التى لا تستطيع الوصول إليها وتزرع غيطان المغامرة الأدبية وإرث الفكر الإنسانى الشاسع. [....]

إن غزو الجسد اللغوى عبارة عن التحام بالورقة البيضاء، أى أنه لا يخلو من الحب ومن الرغبة ومن اللذة بل ومن المتعة التى قد تصل إلى حد العنف والألم والإعياء والغياب وفقدان الذات والتواجد من خلال الآخر . لذا تعد الكتابة باللغة الفرنسية جزءًا لا يتجزأ من هذه العلاقات التى لا تغيب عن أية لغة كتابة . ماذا إذن يمكن أن يقال عندما يتعلق الأمر بلغة تحمل المهمة الثقيلة للخطاب التعسفى والمذل والجارح عبر التاريخ؟

كم من المرات شعرت بالحاجة لاستخدام كلمة فرنسية ذات أصل عربى داخل إحدى قصائدى، كلمة مثل : الحصان أو الفلوكة أو الواد أو الحضرة أو الناعورة أو الزليج.... إلخ ... كما لو كان هذا الاحتياج ضروريا للهروب من انتصار اللغة على ذاتى أو للبرهنة على أن النص باللغة الفرنسية يريد أن يعنى بذلك أنه مكتوب بلغة فرنسية مختلفة، أى لغة فرنسية أخرى. وكما لو كان من الضرورى استخدام لغة فرنسية مختلفة عن تلك المستخدمة فى أرجاء المعمورة بحيث تعبر النص مرجعيات لغوية أخرى وخيالات أخرى. وكأنه من الواجب إحداث تداخل بين ذلك كله. إن الأمر هنا ليست له أية علاقة بالإغرابية المعكوسة بل برغبة فى تطعيم النص وفى التناص وفى إحداث تداخل ثقافى داخل القصيدة نفسها وداخل متن النص وبرغبة أخيرًا فى إقامة حوار من نوع خاص مع القارئ. وذلك بالتأكيد ليس بهدف تسهيل عملية الترجمة لأن بعض الكلمات تغيب عن سياق اللغة التى يتم الترجمة إليها. [...]

إن استخدام اللغة الفرنسية لا يسمح بعقد مقارنات بين عوالم أدبية مختلفة ولا باستكشاف الذاكرة الأدبية العمومية ولا برفض المركزية الأوروبية التى تتسم بها

الثقافة ولا بالتذكير ببعض الإسهامات الثقافية غير تلك التى قدمتها الثقافة الإغريقية واللاتينية للثقافة الغربية ولا تسمح كذلك بإنعاش بعض الذكريات داخل ذاكرة انتقامية وكثيرة النسيان دائمًا . .[...]

شعوريا أو لا شعوريا أرى أن اللغتين- على مستواى- تتصلان ببعضهما البعض مثل تلك الأوانى المستطرقة التى يتحدث عنها " أندريه بروتون" .André Breton ويظهر ذلك لى بوضوح من خلال الديوانيين اللذين كتبتهما باللغة العربية وهما : " قصائد إلى سلمى" (١) و "مذكرات من الثلج والنار" (٢). عند اختيارى للغة العربية أشعر باحتياج مستمر لإدخال مساحات جغرافية ولغوية جديدة غريبة على اللغة العربية وأن أبحث عن استعارات أخرى و إيقاعات جديدة فى نظم الشعر العربى وأن أتنازل عن البلاغة الزائدة وعن المحسنات البديعية الأسلوبية وعن استخدام الأفعال الرنانة (والتى لا تقلل من جمالها) التى تعوق صحوة الكلمات وصحوة العقل. وقد قال أحد النقاد مؤخرًا إن الشعر الذى أكتبه باللغة العربية يتطلب جهدًا ذهنيا كبيرًا. فى بعض القصائد يبلغ البحث عن الجوهر مبلغًا يجعل بعض القراء العرب يندهشون من هذه الكتابة التى تخالف العادات الأسلوبية والموسيقية المعروفة فى حين أنها تخلق صلة مع الشعر الغربى الذى يخلط بين الشعر والنثر والذى يبحث عن القوالب المختصرة و المختزلة.

وإذا تأملنا ذلك عن قرب – مع الاحتفاظ بالمسافة المطلوبة- أدرك أننى أحاول أن أنقل للقارئ العربى ما يضيفه إلى الآخر سواء كان أوروبيا أو غربيا بشكل عام. إننى أحاول أن أجعل هذا القارئ يسافر إلى أماكن أخرى وأن يشعر بأحاسيس أخرى وبمشاعر داخلية مختلفة وبمناظر مختلفة وانفعالات مختلفة وبلاد وسماوات مختلفة عن التى يعرفها . إن الذهاب للقاء ذاكرات أخرى وثقافات أخرى وأناس آخرين يمنعنى من الارتضاء بمجرد أن أكون مُشاهَدا لأصبح مشاهِدًا. إن اللغة العربية تسمح لى بأن أنتقل عبر الثقافتين العربية والفرنسية، الشرقية والغربية... إلخ. إلا أن هذا الحوار يتطلب دائمًا حذرًا ويقظة مزدوجة تجاه ذاتى وتجاه الآخر. إن الفرصة التى تقدمها

(١ ، ٢) انظر قائمة المراجع .

ازدواجية اللغة هى تلك التى تسمح بالتحرر من الانغلاق الذاتى أى تلك "الذاتية القاتلة" كما يسميها أمين معلوف . إن ازدواجية اللغة هى الجسر الذى ينقلنا من ضفة إلى ضفة أخرى، ومن ناحيتى أراها فرصة عظيمة وإثراءً رائعًا لأية كتابة مهتمة بقضية حوار الثقافات واحترام الحياة الإنسانية فى ظل التسامح الاعتزاز بالنفس. وذلك يسمح لى أيضًا بأن أتحاور مع الحداثة **modernité** العربية والغربية فى الوقت نفسه .

العابر من عالم إلى آخر

بقلم : نعيم قطان
كاتب عراقى من الكيبيك [١]

قبل أن أتمكن من القراءة باللغة الفرنسية استطاع كاتبان مصريان أن يثيرا اهتمامى بفرنسا وبالثقافة الفرنسية وهما طه حسين وتوفيق الحكيم . ولازلت أتذكر حتى اليوم الانفعال الذى شعرت به عند قراءتى لرواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم التى تحدث فيها عن حياته فى باريس . إن ذلك يعود لأكثر من نصف قرن ولم أحاول منذ ذلك الحين أن أعيد قراءة هذا الكتاب وربما يكون السبب فى ذلك هو الرغبة فى تجنب عقد أية مقارنة بين تجربته وتجربتى الشخصية. لقد تلقيت منحة من الحكومة الفرنسية عام ١٩٤٧ والتحقت بالدراسة بجامعة السوربون وحاولت أن أكتب باللغة الفرنسية وخصصت أول مقال لى عن هذا الكاتب، وقدمته إلى "موريس نادو" Maurice Nadeau مدير الصفحات الأدبية لـ"المعركة" Combat والذى رحب بهذا المقال ونشره. وفتح لى الكتاب الذى جمع فيه طه حسين تأريخاته المسرحية بابًا جديدًا، فعلى الرغم من أن هذا الكاتب كان ضريرًا فإنه استطاع أن يرصد بدقة وتفرد النصوص التى كان يسمعها. وكان ذلك يمثل لى كقارئ بعيد عن هذا العالم شيئًا مهما يتخطى بكثير كونه مجرد تعليقات وتحليلات على الإخراج والتمثيل .

(١) انظر قائمة المراجع .

لقد كنت قد بدأت أقرأ باللغة الفرنسية مباشرة عندما كان عمرى اثنى عشر عاماً، ومن بين من قرأت لهم آنذاك "كونتيس دى سيجور" Comtesse de Ségur و"ألفونس دوديه" Alphonse Daudet و "ألكسندر دوما Alexandre Dumas". وكنت أستعير تلك الكتب من مكتبة مدرسة الرابطة الإسرائيلية العمومية التى كنت تلميذاً بها. وقد واكب ذلك بداياتى كاتبا مازال متعثراً فى محاولاته الأولى. لقد كانت العربية هى لغتى الأم وكنت أشعر بفخر كبير لأننى كنت الأول على فصلى فى قواعد اللغة. وتم نشر أول قصة قصيرة لى فى إطار عمل جماعى للمدرسة وكان عمرى آنذاك أربعة عشر عاماً. ويرجع الفضل إلى السيد " كابون " Capon مدرس اللغة الفرنسية- وهو من سالونيك salonique - فى مساعدتى على التعرف على كتاب مثل "بلزاك" Balzac و "زولا" Zola ثم "بيجى" Péguy وبعدهم "جيد" Gide و "مالرو" Malraux و"روجيه مارتان دى جار" Roger Martin du Gard إلا أن أكثرهم اثارة لحماستى كان "رومان رولان" Romain Rolland لقد تقمصت شخصية "جون كريستوف" ، ذلك الفنان الشاب الذى ترك منزله ووجد ضالته فى الحب.

ولم يكن يفارقنى الحلم بأن أكون كاتباً، إلا أنه خلال هذه السنوات راودنى حلم أكبر سيطر على هو أن أجد نفسى على انفراد مع امرأة . وكان حلما مستحيلا آنذاك حيث كان وجود المرأة غائباً عن هذه القرية الصغيرة .

وعندما بدأت مداركى تتفتح تجاه السياسة فى فترة مراهقتى ، بدت لى فرنسا من خلال هؤلاء الكتاب على أنها بلاد الحرية . وبالتأكيد كنت قد بدأت فى عدم تحمل سيطرة بريطانيا على بلادى ، وكان الفرنسى الأول الحقيقى من لحم ودم الذى قابلته هو " جون جوليميه " Jean Gaulmier الذى قدم من بيروت ليجرى لنا امتحان شهادة الدروس التكميلية . وقد اخترت فى اختبار الحفظ أن أردد قصيدة لـ " بودلير" Baudelaire فسألنى حينذاك عما إذا كان سبق لى رؤية معرض للقربان المقدس وكانت القصيدة تشتمل على هذه العبارة . وعندما أجبت بالنفى أخذ يشرح لى الأبيات التى كنت أظن أننى أفهمها ، فسألته عندئذ عما إذا كان يمكننى أن أذهب للدراسة فى مدرسة ببيروت فرد على قائلاً " لا، لكنك ستذهب إلى باريس " وبدا لى ذلك على أنها طرفة ، فقد كانت فرنسا محتلة من الألمان وكنت يهوديا من أسرة بسيطة

وكان "جوليه " قريباً من " دى جول " وقال لى وقتها " سوف تتحرر فرنسا وستحصل على منحة " دراسية " وقد صدق وعده فى عام ١٩٤٧ حيث تلقيت أول منحه تعطيها فرنسا لعراقى .

وفى باريس ، فقدت المزية التى كنت أتمتع بها وأنا فى بغداد ألا وهى أن أتحدث عن " جيد" و " فاليرى " و " مالرو " فقد كان الناس يسألوننى عن مسقط رأسى وعن الأدب العربى وعن الطائفة اليهودية التى كنت أنتمى إليها وقبل رحيلى كنت قد شاركت فى تأسيس دوريتين هما " الفكر الحديث " و " الوقت الضائع " وكنت أقدم من خلالهما استكشافاتى والأشياء التى تثير حماستى فتحدثت عن السريالية وعن "جيد " وعن " مالرو " وقدمت من خلالهما أيضاً ترجمة لبعض قصائد المقاومة لـ"أراجون" Aragon و"الويار" Eluard و" بيير إيمانويل " Pierre Emmanuel وفى باريس ، اكتشفت الجانب الآخر من هذا التبادل ، وللحق أقول إن وعيى بنشأتى ازداد وإننى أعدت اكتشاف بلدتى التى نشأت فيها . وخلال السنوات السبع التى قضيتها فى باريس استمررت فى الكتابة باللغة العربية كصحفى مراسل لجريدة الشعب اليومية التى تصدر فى بغداد . وفى الوقت نفسه بدأت اكتب مقالات بالفرنسية خصصتها فى معظمها للعالم العربى فى حين كنت أحتفظ بملاحظاتى حول لقاءاتى فى باريس وأوروبا لجريدة بغداد . كنت أعيش– دون أن أتعمد ذلك– وكأننى جسر عابر بين عالم وآخر ولكن دون أن أذهب إلى المفيد وبدون أن أميز بين ما هو هام وما هو عديم القيمة .

وفى عام ١٩٥٤ ، قررت الرحيل إلى كندا للاستقرار بها . واستمررت فى إرسال مقالاتى للجريدة فى بغداد وعندما تلقيت بعد أسابيع الجرائد التى تظهر بها مقالاتى أدركت المسافة التى تفصلنى عن مدينتى الأم خاصة أن وضعى كمهاجر دفعنى لأن أقرر بوضوح تام أن أجعل من "مونتريال" مكانى الجديد أى مدينتى.

واحتجت لأكثر من خمس عشرة سنة حتى أعود للأدب وقد فرض تغيير اللغة نفسه على بسبب تغير الظروف لكننى لم أكن مدركاً وقتها لمدى عمق أثر ذلك.

لقد غذى هذا الصمت بشكل خفى انتقالى المكانى وزاد منه تغير الزمان. وكنت فى تلك الفترة أعكف على تأليف عمل فكرى بعنوان " الواقعى والمسرحى" كنت أصف

فيه ما يحدث لى، وفى نطاق يتعدى تجربتى الشخصية كنت أصف ما يعترى الشخص الذى يغير لغته وثقافته. وكنت بشكل خفى أطالب بلغتى الأصلية وبثقافة المنشأ، لقد كنت أصف التغير الذى يشوش على علاقتى بالواقع ليس باعتباره مجرد انتقال أو نقل لكن باعتباره تحولاً بل وتهجيناً بشكل أو بآخر. لقد أصبحت منذ ذلك الوقت أنتمى للشرق وللغرب، أنتمى للغرب الشمالى الأمريكى الأقصى وهنا شعرت بحاجة ضرورية ورغبة ملحة فى الحكى وفى سرد خط سيرى عائداً إلى المنبع : أى طائفتى الأصلية وهم اليهود الذين قادهم "نابوكاتنستار" Nabucatnetsar إلى بابل منذ خمسة وعشرين قرناً. كانوا سجناء واستطاعوا أن يتغلبوا على المنفى بدراسة الكتاب المقدس وكتابة تفسيره الذى أصبح فيما بعد "التلمود" الذى مازال يعاد قراءته وتفسيره حتى اليوم. لقد حاولت أن أذكر هذه الطائفة على الصعيد الشخصى وأن أتحدث عن وضعها الحالى من خلال أولى رواياتى التى تحمل عنوان : "وداعاً بابل".

إن علاقتنا بالماضى تسمح لنا بالاتصال بالزمن الذى يسكن بداخلنا ليس فقط عن طريق الذكرى Souvenir لكن أيضاً عن طريق الذاكرة mémoire لدرجة تجعلنا أحياناً نقف على حدود الأسطورة . إننى أعيش حياتى اليومية ككل سكان مدينة مونتريال حيث لا أضع على وجهى قناع الإغرابية محاولاً أن أستعرض ماضيا متواضعا لكننى أعيش بعمق داخل ذاكرة راسخة لدرجة أنها محفورة داخلى ليس على أنها شهادة ولكن علامة وأثر.

اليوم ، أكتب تأريخات يومية بجريدة " الواجب " Le devoir التى تصدر يوميا فى مونتريال وأتحدث فيها عن الأعمال الأدبية للعالم العربى فأجد نفسى فى النهاية أستكمل المشوار الذى بدأته منذ البداية وهو مشوار الشخص الذى يمثل الجسر العابر بين ثقافتين، فأجد نفسى مستمراً فى أن أنهل من المنبع نفسه حتى ولو كانت أبواب جديدة قد فتحت أمامى وعوالم أخرى أصبحت سهلة المنال لى. هكذا وعلى الرغم من الظروف والملابسات وعلى الرغم من التحرك والتنقل أصبح العالم العربى يطفو دائماً على سطح كتاباتى وكأنه المنبع الأصلى على الرغم من كونه خفيا تحت الأرض وغير مدرك .

لقد تمت مؤخراً ترجمة أول كتابين إلى اللغة العربية وهما : "الواقعى والمسرحى" و"وداعًا بابل". وقد أدركت عندما قرأت الترجمة إلى لغتى الأم أننا ندفع ثمن انتقالنا بين الثقافات والحضارات. كانت ردة فعلى الأولى سطحية ، لقد شعرت أننى فى غربة تجاه لغتى. إن موقعى من المنظور الاجتماعى- وكنت سأقول من المنظور الجغرافى- هو أننى أعيش فى مونتريال وإننى أخاطب فى كتبى جمهوراً يحيط بى، ذلك الجمهور الذى يعيش فى المدينة وفى البلد الذى تبنانى. وبعد ذلك قرأت مقالات مخصصة لنقد هذه الأعمال فى صحف بغداد وبيروت ودمشق فشعرت أننى عدت من جديد إلى مكان وزمان يعبران الحدود والتاريخ واستعدت فترة زمنية طوت قراراً واعيًا وإراديا بعدم مسح أى شىء من الذاكرة وبعدم إنكار أى شىء أو الاستسلام لإغراق النسيان.

إننى أعيش كفرنسى ، فرنسى يعيش فى الكيبيك ومع ذلك أعيش كصبى فى بغداد مازال يفك رموز هذه اللغة التى شهدت بداياته الأدبية وأعيش مثابراً ووفيا ليس لجذور صماء لكن لأصول تستقبل بسعادة- دون إنكار أو رفض- التحول والتهجين .

اللغة الفرنسية كلغة حب

بقلم : عبد الكبير خطيبى
كاتب وباحث
مدير المعهد الجامعى للبحث العلمى بالرباط

إن كل دولة من دول الفرانكفونية تتميز بازدواجية اللغة إن لم يكن بتعددها. فنجد فى كل منها علامات وأثاراً للاختلاط وتعدداً فى الألفاظ ورطانة فى اللغة وتدرجاً فى المصطلحات التعبيرية. ولكونى كاتباً مغربيا لا يمكننى التزام الصمت إزاء حقيقيتين غاية فى الأهمية : (١)

– من جهة ، نجد أن التكوين اللغوى الحقيقى فى المغرب يتشكل فى الوقت نفسه من اللغة العربية ولغة البربر واللغة الفرنسية واللغة الإسبانية بشكل هامشى .

– من جهة أخرى ، تعتبر اللغة العربية مزدوجة فهى مقسمة بين نوعين من التراث أحدهما خاص بالذاكرة المدونة والآخر خاص بالسرد الشفهى .

لذلك توجد فى المغرب أربعة صنوف من الأدب متوازية جميعها، الأول هو الأدب العربى ومرجعيته الأمة العربية الإسلامية (ليس وحدها) وما أنتجته من نصوص، والثانى أدب عربى شفهى وهو غير محدد وغير مدون وهو يتنقل ويتجول بين الشعر الشعبى والقصة والأنشودة وممارسة السحر أو التصوف، والثالث هو أدب البربر وهو

(١) انظر كتابنا " وجوه الغريب" (فى الأدب الفرنسى)، باريس ، دار نشر دينويل، ١٩٨٧ ، ص٢١٠ .

الأكثر قدمًا وهو يتنقل هو الآخر بين أماكن مختلفة للثقافة الشعبية، والرابع هو الأدب الفرنسي وأصوله وتاريخه مزدوج .

ليس من قبيل الصدفة أن تأسر السيرة الذاتية لب الكتاب المغاربة، إن الكتابة بلغة كانت أجنبية يُعد وسيلة لخلق شرعية لعملية الكتابة. فنجد كاتبًا يقول أولاً : هذا هو مولدى ، وهذا هو اسمى وهذا هو البلد الذى نشأت به وهذا هو قلبى الذى لا ينبض إلا من أجلكم".

إنه ينظر إلى هويته وإلى هوية شعبه بنوع من العرقية الأدبية. وكلما تقدم فى هذا الاتجاه كلما اكتشف فوائد الاغتراب وما يسببه من اضطرا بات. و كلما أعادت اللغة الفرنسية هيكلة اللغة الأم سيجد الكاتب نفسه منساقًا وراء لعبة الإغراء تلك. إن إغراء الكلمات التى تتداخل مع بعضها البعض يجعلها تتحول إلى لغة حب تحافظ على قواعد المجاملة والرقة .

إن الكاتب يشعر بالمستغرب الذى تثيره لغة الحب هذه دون أن يستطيع التعبير عنه وبلورته ، فهى لغة آتية من عالم آخر ومن ذاكرة أخرى . أليس من المفترض على هذا الكاتب أن يغير " تاريخه النصى" عن طريق التطابق مع هذا الكاتب الفرنسى أو آخر؟ وفى الوقت ذاته ألا يعد استبدال الذاكرة بالقلب فرصة ووعد بالحرية الخفية؟ أليست القطيعة نتيجة أى عمل أدبى جديد؟ ولكن تبقى ضرورة العثور على القوالب وابتداع واكتشاف الصمت الكامن داخل لغة الحب هذه .

وسيأتى اليوم الذى يشعر فيه هذا الكاتب أنه أصبح نسبيا أكثر ثقة بأدواته فيتملك اللغة الفرنسية وينسبها إلى نفسه، إنه يفعل ذلك على طريقته أى بحماسة كبيرة، ويبدو وكأن شيئًا جديدًا قد انطلق من ماض ملىء بالمعجزات ، شىء جديد لا يمكن وصفه ولا تحديده، ربما تكون تلك هى " موهبة" اللغة وستكشف هذه الموهبة لهذا الكاتب الغافل أن أية لغة تخضع لقوانين السوق.

ذلك لأن ما هو هذا الشىء الذى يتفاوض عليه مع شريكته المحبوبة؟ أهو جسدها؟ أم فكرها ؟ أم روحها ؟ مثله مثل البنك تمامًا يعتبر الحب أيضًا مسألة كتابة وترجمة لأسعار السوق. فالحب مرتبط باقتصاد خاص به نجد فيه أيضًا التمويلات والقروض والإقراض والرصيد والدائن والمدين وأرباح الصرف، كما نجد فيه أيضًا حقوقًا مكتسبة مثل حق الإيجار والحق التجارى وحق التصرف والحقوق المعلقة وحق

التخصيص (للأسهم العديدة) وحق التمتع وحق التسجيل وحق حساب القيمة وحق الجمارك والحراسة والتخزين والتمغة دون أن ننسى الطبعات الخاصة حتى تكون السيطرة عليك كاملة ودائمة. لكل عنصر من عناصر الحب حسابه وذلك سر لا يخفى على أحد . إن الوقوع فى حب شخص بشكل سريع يتطلب بعض التدبر. ويمكن "التعامل" مع هذا السر فهو يملك اقتصـــاده وطقوسه التى تنتقل عبر القرون.(١)

إن امتلاك لغة حب مأخوذة عن تراث أدبى آخر سيرغم هذا الكاتب على ممارسة ازدواجية اللغة. هكذا سيجد أنه عند وصوله لبلده سيتحدث بلغة وسيكتب بأخرى وفى اليوم ذاته. إن اللغة ستقوده إلى اكتشاف جديد سواء عاشها بشكل حيوى أو سببت له بعض التشويش. سيدرك فى تلك اللحظة أن هذه اللغة لا هى لغة أم ولا هى لغة أب وعلى مستوى تجربة الكتابة سيجدها لا فردية l'impersonnelle. فردية؟ نعم ، ولذلك معنى مزدوج : فمن ناحية ، اللغة ليست ملكًا لأحد، ومن ناحية أخرى، فإنها تكشف حقيقتها كملكية لجماعة معينة أو لبلد ما يسيطر على الممتلكات الرمزية موضوع التبادل. إن هذه اللافردية هى الحلم المثالى الذى يبحث عنه الكاتب، إنها بالنسبة له تعد المنفى. أما على مستوى الواقع فالأشياء تكون صعبة السيطرة عليها، وبطريقة أو بأخرى يشعر الكاتب الذى نحاول رسم صورة له أنه قد فقد جزءًا من ذاتيته، فيشعر بأنه مهمش، سيقال عنه أن شكاك ومحب لفرنسا دون أن يكون ذلك صحيحًا لأنه هو نفسه ليس فرنسيا حقيقة . وهكذا سيشعر بالرفض وبالإنكار لذاته إذا لم يخفف من حدة ذلك بعض المجاملات . مما يمكن أن يعانى المرء فى ظل الفرانكفونية؟ و فى أى شىء تكمن " الشكوى" إذا ما عدنا إلى الفعل القديم " شكى"؟

حول القومية الأدبية والعالمية الأدبية

يقال دائمًا إن اللغة هى وطن الكاتب . فهل من الممكن إذن أن نجد أمة أدبية أو بالأحرى أمة ممتدة يمكنها أن تكون قلب الفرانكفونية وذلك على الرغم من التنوع الاصطلاحى للفرانكفونية ؟

(١) انظر البحث الذى قدمناه بعنوان " بازدراء"، باريس، أوبييه، ١٩٨٨ ، ص٢١ .

من بين الإجابات العديدة عن هذا التساؤل نتوقف عند إجابة " تييرى دى بوصيه" Thierry de Beaucé وهو نفسه كاتب فضلاً عن كونه وزيراً فى الحكومة الفرنسية. هذه الإجابة متضمنة فى كتابه [1] الذى أحدث صدى كبير حيث ، قام بتحليل الفرانكفونية على ضوء المعطيات العالمية الجديدة الخاصة بها وفى إطار تنوعها الاصطلاحى الحقيقى وباعتبارها لغة عمومية: " إن اللغة الفرنسية هى اللغة الأكثر قوة بسبب طابعها العمومى المفترض، لذلك يتعين عليها أن تكون مثالاً للمقاومة وأن تحدد الإستراتيجيات المشتركة التى من شأنها حماية التعددية. إن اللغة الفرنسية تعنى فرنسا . إننا نخلط بين مصلحة شعب ومصلحة حكومة وبين مصلحة التعبير اللغوى. ومع ذلك فإن المناخ الذى تعيش فيه اللغة الفرنسية لم يعد فقط المناخ الذى تعيش فيه فرنسا حتى لو كانت فرنسا تلعب فى إطاره دوراً خاصاً". (صـ٣٢-٣٤). إن ذلك هو فحوى مداخلتنا.

إن اللغة الفرنسية تتطور على مستوى العالم حتى لو كان هذا التطور أبطأ من التوحيد Standardisation المنتشر للغة الإنجليزية والأمريكية ويرجع ذلك إلى التجارة والتكنولوجيا. أمام هذه التكنولوجيا السائدة والتى تتسم بها الحداثة، يقترح المؤلف إعادة توجيه الفرانكفونية وفقًا لإستراتيجية لا تعتمد على الدفاع بل تعتمد على المرونة والفعالية لكى تتناسب مع مبدأ مزدوج ألا وهو احترام التنوع الاصطلاحى وتحقيق عمومية تعددية ذات أقطاب كثيرة. لقد انتهى وهم المركز، ذلك المركز العرقى الذى تولدت عنه الحضارة الفرنسية المتمركزة حول أرض معينة وحول دولة محددة ومتعلقة بأيديولوجية بعينها، إن فرنسا بصورتها هذه يطلق عليها المؤلف اسم " فرنسا الملكية " (*)

ولكى يحقق هذا المبدأ المزدوج للفرانكفونية فعاليته يتعين وجود قواعد تتميز بقدر كافٍ من الشفافية بين جميع الشركاء ويتعين كذلك وجود قوانين استضافة باللغة التى

(١) " الخطاب الجديد حول عمومية اللغة الفرنسية" باريس، جاليمار، ١٩٨٨ . إن هذا الكتاب يعبر عن مواقف قمنا بيلورتها وبتحليلها فى " وجوه الغريب" (السابق ذكره). انظر كذلك التحليل الذى قدمناه عن " المغرب المتعدد" (وهو عنوان أحد الكتب التيصدرت لنا).

(*) إن كلمة Monarchique الموجودة فى النص الفرنسى تعنى " الملكية" ولكن يريد المؤلف أن يرمز من خلالها إلى النظام القديم البائد الذى انتهى عهده ولا يقصد بها العهد الملكى بمعناه الحرفى.

يستخدمها هؤلاء الشركاء ويتقاسمونها، وأن تكون هذه الاستضافة بعيدة عن المجاملة لكى تكون بحثًا عن هوية مازالت مستقبلية. إذا ما قبلنا فكرة وجود هوية بعيدة عن الماضى ومنفصلة عنه يمكننا أن نصل لمفهوم أكثر صحة ألا وهو مفهوم الهوية المستقبلية أى أن تكون إرثًا من العلامات والكلمات والتقاليد يتحول ويتغير مع الزمن الذى نعيشه مع بعضنا البعض. ذلك لأن الإنسان الذى لا يبقى على الحياة سوى بفضل ماضيه المضىء يعتبر كأنه كالميت المتحجر ، أى ميت لم يعش أبدًا .

هكذا لا يمكن تحديد الهوية من خلال هيكل أزلى ولكن تحديدها وتعريفها يعتمدان على أقوالنا لأنه تتحكم فيها علاقات غير متسقة بين الزمان والمكان والثقافة التى تنظم حياة جماعة أو عرق أو مجتمع ما . إنها ترجمة لتحرك الوجود ولمرونته ولتأقلمه مع الأحداث وترجمة لقدرته ولطاقته على التجديد . إن " الضيافة " hospitalité تعنى هنا الاستماع للآخر باعتباره آخر ، أى الإنصات له بهدف الاحتفاء به وبتفرده والتعامل معه على أنه تعبير قادم من مكان آخر بعيد وأنه عملية تعلم للتدريب على اكتساب تلك الهوية المستقبلية وعلى الانتماء للعمومية المنتظرة مهما كانت هويتى الحقيقية وسواء كنت أتمتع بالقوة والإستراتيجية والسلطة اللازمة على الآخرين أم لا .

إنه بالتأكيد مبدأ التنوع الاصطلاحى ، لكن لماذا ؟ لماذا يعد هذا التنوع الاصطلاحى إثراءً للغة أكثر من كونه إفقارًا للواقع ؟ لنأخذ لغة المستعمرات Le Créole مثالاً على ما نقوله. إن ما يعطى لهذه اللغة قيمتها هو كما هو شائع – اشتمالها على النكهة المحلية وعلى النبرة الراقصة والغنائية وعلى الارتجالات الغريبة بشكل يشبه قليلاً ما يمثله الـ"سكات" (*) لموسيقى " الجاز " مع الأخذ فى الاعتبار أنها تعنى تقديم مقاطع عن طريق محاكاة أصوات آلات هذه الموسيقى .

لكننا نعلم أن " جيمس جويس " James Joyce الذى يعتبر من كبار كتاب هذا القرن قد أدخل اصطلاحات جديدة من بينها الـ "سكات" الأدبى وذلك فى كتابه

(*) كلمة " سكات " scat كلمة أمريكية تعنى طريقة فى التقطيع الموسيقى ابتدعها مغنو " الجاز " وهى تعتمد على المحاكاة الصوتية .

"فينيجنز ويك" Finnegan's wake . نحن نريد أن نخلص من ذلك إلى أن لغة المستعمرات هى نوع من الرطانة " pidgin أو نوع من التهجين اللغوى الذى يعد مختبرًا للإبداع الأدبى إذا ما قدمه عمل أدبى جيد . إن لغة المستعمرات ليست مجرد مسألة محلية لكنها تجسيد للإمكانية التى تتمتع بها أية لغة فى التغذى على اللغات الأخرى و إثراء نفسها عن طريقها دون أن نضطر إلى العودة إلى الثرثرة أو أن تتحول اللغة إلى صيحات بربرية . إن " جويس " كان أيرلندى الأصل ولم يخشى أن يدفع باللغة الإنجليزية – وهى لغة عمومية – إلى حدود فقدان القدرة على التعبير .

إلا أن نقاد العاصمة أجلوا " جويس " وعظموه فى حين تجاهلوا الأعمال الأدبية المقدمة بلغة المستعمرات . إن ذلك يعد كيلاً بمكيالين، لقد نسى هؤلاء النقاد أن الكتابة هى ترك بصمات للصوت وللانفعال من خلال رسم الكلمات ومن خلال مفهومنا للأدب . إن التهجين الأول للكتابة قد حدث بين الصوت والكتابة. وتشتمل كل لغة على تشريعات خاصة بالصوت والكتابة تتضمنها قواعد التعبير ، إلا أن هذه القواعد تذبل وتختفى إذا غاب الإيقاع .

إننا نتحدث عن كرم الضيافة فى مجال اللغة فى حين أن الواقع محتوم ، فهذا هو منطق التاريخ الذى تفرضه المكانة التى تحتلها كل لغة وسيطرة بعض اللغات على اللغات الأخرى وتفرضه أيضًا التعددية غير المتناسقة وغير المتجانسة فيكون من نتائج ذلك انعزال اللغات وذبول وتشتت الاصطلاحات وحدوث حبسة لغوية وملل يشعر به البعض وصمت يغرق فيه البعض الآخر . إن كل هذه المعاناة تعد أيضًا جزءًا من الفرانكفونية .

إن الفرنسيين يعانون من تأخر لغتهم أمام الاجتياح العالمى للغة الإنجليزية والأمريكية فى حين يشتكى الناطقون بالفرنسية ويقولون أن عاصمة الفرانكفونية تتجاهلهم بشدة . إلا أن اللغتين الإنجليزية الأمريكية قد تم توحيدهما على جميع المستويات سواء كانت صناعية أو تكنولوجية أو سياسية أو دبلوماسية أو ثقافية أو إعلامية ... لقد انتشرت هذه اللغة بسرعة لأنها " اللغة المتداولة "حيث أصبحت أداة لازمة للحاسب الآلى أى رموزًا رقمية وقياسية بمعنى أنها أصبحت تقنية لإنتاج الزمن

باعتباره ذاكرة صناعية . إن الكتاب هو الصورة الأولى التى نقلت لنا الكتب المقدسة لكنه الآن قد فقد مكانته في نقل المعرفة حيث يتعين عليه أن يكون مجرد عنصر للبث الإعلامى أى محطة للواجهة التقنية الداخلية .

لكن لنعد للغة الفرنسية التى تميزت منذ الحقبة الكلاسيكية(*) بقدرتها على الاستمرارية والبقاء . إن اللغة الكلاسيكية مازالت حتى أيامنا هذه نموذج القياس والهوية بالنسبة للفرنسيين بل نموذج تتمحور حوله فرنسا بلدًا وحكومة ولغة ودنيًا . إن هذه الهوية الذاتية قد حددتها ضوابط من القواعد الشكلية التى مازالت موجودة وكأنها الهيكل الملكى للغة الفرنسية . لقد تحولت هذه اللغة فى القرن الثامن عشر (عصر التنوير) إلى لغة إنسانية فتأثرت بالاضطرابات التى أحدثتها ثورة الشعر فى القرن التاسع عشر. وبفضل استيعابه للغة الكلاسيكية ولقوالبها الغنائية الجذابة ، استطاع "بودلير" أن يقود الأدب الفرنسى إلى تحديث خفى وغير عادى . وقد استطاع تحقيق ذلك بشكل مزدوج ربما لأنه آخر شعراء الغزل الفرنسيين وربما لتظاهره بحيلة ذكية أنه من الشعراء الكلاسيكيين الذين ينتمون لفترة ما قبل الرمزية. إن اسم "مالارميه" يلى اسم "بودلير" كرمز لتجربة نموذجية وهذا لا يثير الدهشة، لذلك فهو يعد على الأرجح الممارس والمنظِّر " للشعر المحض". لكننا ننسى أنه يملك رؤية حادة ومؤلة لنهاية "الكتاب" فقد كانت له فكرة واضحة عن الوجهة التقنية الداخلية. إن قصيدته "ضربة حظ" coup de dès تعد تلاعبًا بالفراغات يسمح بقراءات عديدة مركبة ومتطابقة على مستويات عديدة . لقد أراد أن يكتب قصيدة فقدم لنا فنا فى الخط وفى طريقة الطبع والتنسيق، قصيدة تمثل هندسة للفكر و سينوغرافيا للرؤية وفكرًا راقيًا عن الفراغ بحيث تجسد لنا أدبًا يُعنى بالتقسيم المتدرج للنور والظلام يصبح فيه الفراغ (رسم الكلمات) تجسيدًا لعظمة الإيقاع . أما "رامبو" Rimbaud الشاعر الذى يجسد عدم الانتماء لإقليم بعينه – فلنترك الكلمة لأنتوان ريبو Antoine Raybaud كى يعرف لنا

(*) تعود الحقبة الكلاسيكية فى فرنسا إلى القرن السابع عشر وحكم لويس الرابع عشر بشكل خاص حيث شهد هذا العصر ازدهارًا متميزًا فى الفنون والآداب وعاشت اللغة الفرنسية أزهى عصورها ، حيث كان هناك اهتمامٌ عظيمٌ بتوحيدها وتطويرها وتنقيتها من الألفاظ الغريبة والأجنبية الدخيلة عليها .

شعره على أنه "شيء يمكن أن نطلق عليه انشقاقًا للسرد، فالقصة تبدأ مرتكزة على أساسيات معينة لتصبح مهمة النص بعد ذلك أن تجعله يتجه نحو الانشقاق وهو يرى أن هذا الانشقاق هو الذى يسمح بتعبئة طاقة أخرى فى النص.

ومن هذا المنظور يتعين أن نفهم كلمة " بربرى" التى يستخدمها " رامبو"، فليس المقصود بها البربرية بمعناها المتداول لكن المقصود بها ذلك المعنى الذى انتشر فى نهاية القرن التاسع عشر والذى يعنى تدمير النظام القائم وتوظيف الطاقة . إن البرابرة يمثلون الدم الجديد لهؤلاء الذين قدموا إلى روما وأبادوها وهى أيضًا محاولة – إن لم يكن تحقيق – القيام بنظام جديد يمكنه أن يفتح الآفاق لإمكانات جديدة". (١)

لقد ذكرنا ثلاث فترات عدم استقرار مرت بها اللغة الكلاسيكية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن حالة عدم الاستقرار تلك والتى استمرت بصورة متغيرة خلال القرن العشرين مازالت قائمة فى فرنسا وخارج حدودها أيضًا من خلال اصطلاحات أدبية ناشئة. لكن ستقولون لى : عم تتحدث ؟ هل الشعر مازال مقروءًا فى فرنسا ؟

إن الشعراء مهمشون فى الأدب الفرنسى الآن . إننا نعيش الآن شيئًا غريبًا، فاللغة الفرنسية تكبت قدرتها الشعرية كما سبقت أن فعلت منذ خمسة قرون فيما يتعلق بتنوعها الاصطلاحى وهى فى الوقت ذاته لا تقوم بعمليات توحيد لغوى كافٍ بشكل يتناسب مع عالمية الأدب سواء داخل العالم الفرانكفونى أو خارجه .

إن فرنسا تجمع بين كونها أوروبية و متوسطية و فرانكفونية ، فتلك هى العناصر الثلاثة التى تشكل هويتها . لذلك يرى " ألان ديكو "Alain Decaux وهو كاتب ووزير أن الهوية المستقبلية لأوروبا ستكون تطبيق الازدواجية والتعددية اللغوية(٢) خاصة أن هذا التطبيق سيكون فى صالح تحقيق التوازن بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، وهكذا نجده يدافع عن قضية تدريس لغتين فى الوقت نفسه وعن قضية الازدواجية

(١) " خيال الآخر " ، باريس ، لارماتان ، ١٩٨٩ ، صـ٤٥ – ٤٦ .

(٢) انظر مقاله بعنوان : "أوروبا وتحدى اللغات" المنشور بجريدة " لوموند" فى عددها الصادر يوم الخميس ١٤ سبتمبر ١٩٨٩ .

اللغوية " المجاورة" والمثال على ذلك هو تدريس اللغة الألمانية فى شرق فرنسا . وتعد هذه طريقة لخلق مناطق تبادل وعبور جديدة بدلاً من منع و إعاقة التواصل بين الناس .

إن الفرانكفونية مشروع كبير ومركب وطموح، وهى تمثل للبعض مدينة فاضلة. ويمكننا فى الواقع أن نتساءل عما إذا كان أنصارها قد استطاعوا توفير الإمكانيات المادية والثقافية التى من شأنها أن تجعل قواعدها راسخة وقوية . ألا يوجد تفاوت كبير واضح بين الشمال والجنوب ؟ ألا يوجد فرق كبير بين احتكار البعض وفقر البعض الآخر ؟ يتساءل " مهدى المانجرا " Mahdi EL Mandjra وهو محق فى تساؤله – قائلاً : "هل الفرانكفونية تشكل أداة للعلاقات الدولية؟ وإذا كانت الإجابة هى نعم ، فما الجديد إذن فى ذلك؟ " (١) لكنه يجيب بالنفى مشيراً إلى المعطيات الحقيقية : فعدد الناطقين بالفرنسية محدود (١٠٦ مليون) والثقل الاقتصادى للعالم الفرانكفونى ضعيف ويوجد عدم توازن فى الناتج القومى بين فرنسا وكندا من جهة (٨٣ ٪ فى المجمل) وبين البلاد الأفريقية (٨,٥ ٪) من جهة أخرى . فهناك معوقات عديدة تشهد بأن الوضع غامض ومكبل بتاريخ استعمارى طويل وبمعدل فقر يتزايد بسرعة. فأين نحن الآن ؟ وما هو وضع الفرانكفونية كمحور للحضارة وللإستراتيجية العالمية؟ إننا مازلنا فى بداية سلسلة من التساؤلات حول الشراكة الجديدة بين اللغات وحول سرعة الزمن التقنى وأثاره على إلغاء الحدود الفاصلة بين الأقاليم .

(١) " بلاد المغرب والفرانكفونية" ، باريس " إيكونوميكا" ، ١٩٨٨ .

الفصل الرابع

رهان التعليم والبحث العلمي

مدخل للقارئ

إن قضية تدريس اللغة العربية موضوع أثار الكثير من الجدل حاليًا فى فرنسا يشترك فيه كاتبو هذه المقالات التى يتضمنها هذا الفصل . وقد أراد المجلس الأعلى للفرانكفونية أن يقدم للقارئ مواقف مختلفة ومتعارضة حول هذه القضية ليكون له مطلق الحرية فى مقابلة الحجج والبراهين المختلفة والأرقام والإحصاءات المقدمة والمصادر التى استند عليها المؤلفون .

الدراسات العربية
فى المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية INALCO

بقلم : أندريه بورجيه André Bourgey

أستاذ بالجامعات ورئيس المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية INALCO

خلال الفترة من يناير ١٩٩٣ حتى مارس ٢٠٠١

إن الإينالكو(*) الذى يُعرف بين الجمهور العريض باسم"لانج ز و" Langues O(*) هو مؤسسة تعليمية عليا تضم أكثر من اثنى عشر ألف طالب (وبالتحديد ١٢٤١٣ وفقًا لإحصائية العام الجامعى ١٩٩٩ - ٢٠٠٠) ويتم فيها تدريس ٨٨ لغة وكذلك حضارة البلاد المعنية .

إلا أنه من بين اللغات التى يتم تدريسها فى الإينالكو نجد أن اللغة العربية هى الأكثر جذبًا للطلاب بعد اللغة اليابانية والصينية وتأتى قبل اللغة الروسية، فضلاً عن ذلك فإن اللغة العربية أكثر قدمًا فى المعهد من اللغات الصينية واليابانية أو الروسية التى بدأ تدريسها به خلال القرن التاسع عشر وبالتحديد عام ١٨٤١ بالنسبة للغة الصينية وعام ١٨٦٣ بالنسبة لليابانية وعام ١٨٧٤ بالنسبة للروسية، أما فيما يتعلق باللغة العربية فقد بدأ تدريسها فى الواقع منذ بدايات تأسيس المعهد أى عام ١٦٦٩ . بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية هى اليوم من أكثر اللغات التى تشهد تزايدًا سريعًا

(*) المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية L' Institut national des langues et civilisations orientales يرمز إليه باللغة الفرنسية باستخدام الاختصار التالى INALCO مشيرًا للحروف الأولى من اسمه وسنستخدم عند ذكر المعهد هذا الاسم المختصر ولكن باللغة العربية " إينالكو" والكلمة المختصرة "لانج زو" Langues O بالفرنسية تعنى اللغات الشرقية حيث يشير الحرف O إلى كلمة Orientales أى شرقية

فى عدد الطلاب المقبلين عليها فقد تضاعف عددهم خلال عشر سنوات ليزداد من ٨٠٠ عام ١٩٩١ إلى ١٦٠٠ عام ٢٠٠١ .

إذا كانت اللغة العربية يتم تدريسها في العديد من الجامعات الفرنسية فى باريس وضواحيها وفى الأقاليم المختلفة فإن الإينالكو هو بلا شك أول مؤسسة تعليمية فرنسية عليا فى عدد الطلاب المسجلين بالقسم العربى.

نبذة سريعة عن الإينالكو :

إن المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية مؤسسة جامعية فرنسية عريقة احتفلت عام ١٩٩٥ بالمئوية الثانية لتأسيسها .

وفى الثلاثين من مارس عام ١٧٩٥ أى فى العاشر من جرمينال من العام الثالث فى التقويم الجمهورى قامت الجمعية التأسيسية لترميدور بنشر مرسوم تبدأ المادة الأولى فيه بالعبارة التالية :– " سيتم داخل المكتبة الوطنية تأسيس مدرسة عامة لتعليم اللغات الشرقية الحية بما يفيد كل من السياسة والتجارة".

فى الواقع ، يرجع تاريخ تأسيس هذه المنشأة إلى أبعد من ذلك لكنها تخفى عمرها الحقيقى كالمرأة الجميلة التى لا تريد الإفصاح عنه ؛ ذلك لأن أصول وجذور تعليم اللغات الشرقية يرجع إلى عهد لويس الرابع عشر حيث تم تأسيس مدرسة لغات الشباب عام ١٦٦٩ بمبادرة من "كولبير" Colbertالذى طلب من غرفة التجارة بمدينة مارسيليا إعداد مرسوم ملكى بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٦٦٩ يتم بموجبه إنشاء مدرسة لغات للشباب فى إسطنبول تكون مسئولة عن إعداد الشباب الفرنسيين لمهنة الترجمة وكان يطلق عليها اسم مهنة الترجمان وذلك فى مجال اللغات التركية والعربية والفارسية .

إن جذور المعهد تمتد إذن إلى إسطنبول، لذلك فهو يطبق حوار الثقافات منذ بداياته وهو يدين بجزء من الفضل لإسطنبول التى تمثل " الحد الفاصل بين عالمين " وفقًا للعبارة الجميلة التى صاغها " شاتوبريان " Chateaubriand فى كتابه " خط سير رحلة من باريس إلى القدس " . وبالفعل ودون تعمد الوقوع فى فخ تحديد جغرافى

مبدئى يمكننا أن نقول بأن المناخ الجامع لأجناس مختلفة والذى تتميز به عاصمة الإمبراطورية العثمانية قد أثر على بدايات الملحمة التى يمثلها معهد اللغات والحضارات الشرقية. إن إسطنبول هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تقع فى قارتين لذلك كانت على الأرجح المكان المناسب لإقامة مدرسة لغات للشباب . ومن الأشياء التى تحمل دلالات قوية أنه عندما تم تأسيس المدرسة الخاصة باللغات الشرقية فى باريس عام ١٧٩٥ كانت اللغات الثلاثة الأولى التى تم تدريسها هى التركية والعربية والفارسية وهى لغات متداولة فى إسطنبول أما اللغتين الأخريين اللتين تم تدريسهما لاحقًا هما اللغة الأرمنية عام ١٧٩٨ واللغة اليونانية الحديثة عام ١٨٠٠ وهما لغتان متداولتان كذلك على شواطئ البوسفور .

وتحولت مدرسة اللغات الشرقية عام ١٩٧١ إلى المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية وقد استقبل حوالى ١٢٠٠٠ طالبًا عام ٢٠٠١ . وقد استطاع الإينالكو اليوم بفضل النتائج التى حققها أن يكون أقرب ما يكون للجامعة عن كونه مجرد مدرسة عليا. ومن جهة أخرى ، يمنح المعهد كأية جامعة أخرى شهادات عامة (الليسانس والماجستير ودبلوم الدراسات العليا المتخصصة ودبلوم الدراسات المتعمقة وشهادة الدكتوراه) مع احتفاظه بالشهادات الخاصة به خاصة فيما يتعلق بالمرحلة الجامعية الأولى . بالإضافة إلى ذلك فإن تعيين الأساتذة والمدرسين فيه يتبع القواعد نفسها المعمول بها فى الجامعات بما أن القائمين بالتدريس فيه لهم الدرجة العلمية والوظيفية نفسها لنظرائهم بالجامعات. وأخيرًا يستطيع الإينالكو كباقى الجامعات أن يمنح إجازة الإشراف على الرسائل العلمية. باختصار فإن المعهد يملك كل خصائص الجامعة إلا أن وضعه وفقًا للمادة ٣٧ من القانون ٢٦ يناير ١٩٨٤ للتعليم العالى يصفه بأنه " منشأة تعليمية كبرى" .

ويوضح مرسوم ١٤ مايو لسنة ١٩٠٠ والخاص بالمعهد القومى للغات والحضارات الشرقية أن الإينالكو " منشأة عامة ذات طابع علمى وثقافى متخصص" (المادة الأولى) وأن مهمته (المادة الثالثة) هى :-

" توفير الإعداد المبدئى والمستمر لدراسة اللغات والحضارات الشرقية".

- " المساهمة فى التعريف بالبلاد المعنية عن طريق نشر إنتاجها العلمى والتربوى".

- " تشجيع التبادل الجامعى والثقافى والتعاون بين فرنسا والبلاد المعنية".

لقد ازداد عدد اللغات التى يتم تدريسها بالمعهد ببطء ، فقد كان عددها يزيد قليلاً عن العشر فى القرن التاسع عشر ثم أصبح حوالى ثلاثين عام ١٩١٤، وخلال فترة ما بين الحربين وخاصة عام ١٩٥٠ تضاعفت اللغات الجديدة. هكذا نجد أنه مع بداية الستينيات أُدخلت اكثر من ثلاثين لغة حتى وصل عددها إلى ٨٨ لغة عام ٢٠٠١ .

وفى الوقت نفسه قام الإينالكو بتطوير تدريس الحضارة بشكل كبير وهى تشمل تدريس التاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والحياة السياسية وتاريخ الفن فى البلاد المعنية . إن التعليم الذى يقدمه المعهد اليوم يجمع إذن وبشكل كبير بين محاضرات اللغات ومحاضرات الحضارة بحيث يوفر للطلاب إعداداً متعدد التخصصات وذلك منذ المرحلة الجامعية الأولى حتى الدراسات المتخصصة فى المرحلة الثالثة بحيث يصل إلى أقسام متخصصة ذات قدرة كبيرة على المنافسة أو إلى إعداد متميز للحصول على الدكتوراه .

إن تعدد التخصصات من التقاليد الراسخة فى المعهد وهذا التعدد يجب أن يستمر و إلا سيفقد المعهد روحه وسبب وجوده . ويظهر هذا التعدد من خلال الإصدارات الخاصة بالأساتذة الباحثين أو من خلال الأعمال الجماعية التى تصدر عن مراكز وفرق البحث التابعة للإينالكو . وتثير هذه التعددية فى التخصصات اهتمام عالم الشركات الذى يقدر- من خلال التعليم المستمر - قيمة هذا الإعداد المزدوج للغة والحضارة الخاصة بهذا البلد أو ذاك .

وفى مطلع الألفية الثالثة تبدو هذه المؤسسة الموقرة والوقورة أكثر ديناميكية وتبدو كذلك وكأنها جددت شبابها ويشهد على ذلك إدخال نظم تعليمية جديدة فيها وتوفير إعداد للطلاب أكثر مواكبة للظروف السياسية والاقتصادية العالمية.

إن الإينالكو يعد بلا شك منشأة جامعية من نوع خاص وهو يعيش أكثر من أى منشأة تعليمية أخرى حوار الحضارات وذلك من خلال التعليم الذى يوفره بالطبع ولكن

أيضاً من خلال هيئة التدريس التى يشكل بها المعلمون الأجانب نسبة ٤٠٪. كذلك فإننا نجد من بين الطلاب الذين يدرسون بالمعهد أن الطلبة الأجانب يشكلون ٢٥٪ فى المتوسط لأن العديد منهم يأتون للاينالكو لدراسة لغات لا يتم تدريسها فى بلادهم . إن كل هذه الخصائص التى يتمتع بها الإينالكو تجتمع داخل قسم الدراسات العربية .

تطور الدراسات العربية فى الاينالكو :

كما هو الحال بالنسبة لكل اللغات التى يتم تدريسها فى المعهد يقوم بتدريس اللغة العربية معلمون من فرنسا وآخرون من أصول عربية . ويلعب المعلمون الذين ينتمون لأصول عربية دوراً أساسيا تجاه الطلاب فيقومون بتسهيل تعلم اللغة العربية كلغة حية . ولهؤلاء المدرسين القادمين من مختلف الدول العربية أوضاع متعددة: فمنهم من يعمل معيداً ومنهم من يعمل أستاذاً ومنهم المدرس، وبعضهم يشغلون وظيفة دائمة بالمعهد والبعض الآخر تتم دعوته لفترة محددة. وبهذه الطريقة استطاع الإينالكو طوال العام الجامعى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ أن يستقبل أستاذاً مصريا وآخر تونسيا. ولقد استفاد بعض المعيدين من تواجدهم فى الإينالكو لإعداد رسائل دكتوراه ليصبحوا مدرسين أو أساتذة جامعات بالمعهد.

من بين الخصائص الأخرى التى تتميز بها الدراسات العربية بالمعهد نجد الأهمية التى يحتلها تدريس العامية العربية منذ تأسيس المدرسة الخاصة باللغات الشرقية عام ١٧٩٥ . كان أول أستاذ لغة عربية بالمنشأة هو "سيلفستر دى ساسى" Sylvestre de Sacy وكان آنذاك يسمى " أستاذ لغة عربية فصحى ودارجة" أى لغة عامية وكان هذا الأستاذ عالمًا كبيراً وكان فى الوقت نفسه أستاذاً للغة الفارسية فى "كوليج دى فرانس" Collège de France منذ عام ١٨٠٥، وقد ترك وراءه أعمالا علمية مذهلة من بينها كتاب " قواعد النحو العربى لطلبة المدرسة المتخصصة فى اللغات الشرقية" والذى ظل نموذجًا لكل كتب قواعد النحو العربى فى أوروبا خلال قرن كامل، إلا أنه لم يقدم منهجًا لدراسة اللغة العامية التى كانت تسمى خلال تلك الحقبة لغة دارجة. لذلك تم تعيين أستاذ مساعد لتدريس اللغة العربية الدارجة بالمدرسة عام ١٨٣٢ وهو

" رافـائـيـل دى مــونـاخـيــس " Raphël de Monachis وظل تدريس اللغـة العربيـة طوال قرنين من الزمان مقسمًا داخل هذه المنشأة التعليمية إلى فرعين منفصلين : الأول خاص باللغة العربية الفصحى (وإن كان هذا الاسم لم يظهر سوى عام ١٨٣٢) والثانى خاص باللغة العربية الدارجة . وبعد ذلك تم إنشاء كرسى أستاذية للعربية الشرقية عام ١٩٠٩ وكرسى أستاذية للعربية المغاربية عام ١٩١٦ .

واليوم، أى عام ٢٠٠١ مازالت توجد وظيفة أستاذ للعربية المغاربية ووظيفة أستاذ للعربية الشرقية فضلاً عن وظائف مدرسين العربية المغاربية والعربية الشرقية ومن جهة أخرى ، فإن الإينالكو هو المنشأة التعليمية العليا الوحيدة فى فرنسا التى تمنح شهادات عامة (ليسانس وماجستير) للمرحلة الجامعية الثانية فى تخصص اللغة العربية المغاربية .

وتظهر أهمية العربية العامية أيضًا عند دراسة اللغة العربية الفصحى؛ فللحصول على شهادة المرحلة الأولى الجامعية فى اللغة العربية الفصحى (DULCO) (*) والتى تستلزم دراسة عشرين مادة تربوية لابد أن تكون العربية العامية هى لغة دراسة أربعة مواد منهم سواء كانت العامية المغاربية أو العامية الشرقية. كذلك ، لابد من اجتياز أربعة مواد تربوية فى الحضارة وهى تتعلق بالتاريخ والجغرافيا وتاريخ الفن أو الحياة السياسية فى البلاد العربية عند الحصول على شهادة المرحلة الأولى الجامعية فى اللغة العربية الفصحى . كما أن دراسة الحضارة إجبارية فى المرحلة الجامعية الثانية.

لقد بدأت دراسة حضارة البلاد العربية عام ١٨٧٢ وقد تعددت وتنوعت دراسة حضاراتها خلال النصف الثانى من القرن العشرين خاصة تلك التى تتعلق بالفترة المعاصرة. حاليًا يوجد بالإينالكو ثلاثة وظائف أستاذ جامعة لتدريس الحضارة يشغلها ثلاثة أساتذة متخصصين فى تاريخ الشرق العربى المعاصر وتاريخ بلاد المغرب وجغرافيا العالم العربى، فضلاً عن وظيفة مدرس لتاريخ وعلم الاجتماع السياسى للدول العربية . لا توجد أية جامعة فرنسية أخرى يتوفر فيها تدريس حضارة العالم العربى كدروس تكميلية لتدريس اللغة والأدب اللذين يمثلان دائمًا الجانب الأساسى فى الدراسة .

لا يسعنا هنا أن نذكر كل الأساتذة الذين قاموا بالتدريس بمعهد اللغات والحضارات الشرقية منذ عام ١٧٩٥ سواء فيما يتعلق باللغة أو الأدب أو الحضارة العربية وسوف نكتفى بذكر بعض أسماء الأساتذة الذين تركوا بصمة خاصة على المكان. فى تخصص اللغة العربية الفصحى نذكر بعد "سيلفستر دى ساسى" الذى قام بالتدريس منذ عام ١٧٩٥ حتى ١٨٣٨ " موريس جودفروادى مومبين " Maurice Gaudefroy-Demombynes الذى عمل أستاذًا منذ عام ١٩١٠ حتى ١٩٣٣ ثم "رجيس بلاشير" Régis Blachère من عام ١٩٣٥ حتى ١٩٥٠ و "شارل بيلا" Charles Pellatمن ١٩٥١ إلى ١٩٥٧ و "جيرار لوكنت" Gérard Lecomte من ١٩٥٨ إلى ١٩٨٦ . و"جيرار ترويو" Gérard Troupeau من ١٩٦١ إلى ١٩٩٠ و "جيلبيردى لانو" Gilbert Delanoue من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٦ واليوم يقوم بتدريس العربية الفصحى ثلاثة اساتذة هم : " محمد عاطف بن عبدسين" و " لوك دوفيلس " Luc Deheuvels و " جورجينا أيوب" .

وفيما يتعلق بالعامية الشرقية يمكننا أن نذكر الأساتذة " ميشيل فيغالى " Michel Feghali الذى امتدت فترة تدريسه بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٤٥ و "جون كونتينو" Jean Cantineau بين عامى ١٩٤٧ و ١٩٥٦ و " و "جون لوسيرف " Jean Lecerf من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤ و "ميشيل باربو" Michel Barbot من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٩ و "هنرى لوسيل" Henri Loucel من ١٩٨١ إلى ١٩٩٠ و "جيروم لونتان" Jérôme Lentin الذى أصبح أستاذ جامعات عام ٢٠٠٠ .

وبالنسبة للعامية المغاربية فإن أهم الأساتذة هم "ويليام مارسيه" William Marçais الذى قام بالتدريس من عام ١٩١٦ إلى عام ١٩٢٧ و "جورج كولين" Georges Colinمن ١٩٢٧ إلى ١٩٦٣ و "فيليب مارسيه" Philippe Marçais من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٨ و "أنطوان بودو لاموت" Antoine Boudot-Lamotte من ١٩٧١ إلى ١٩٩١ و " دومينيك كوبيه " Dominique Caubet منذ عام ١٩٩١ .

وفى مجال تدريس حضارة العالم العربى نذكر الأساتذة " بول رافيس " Paul Ravaisse بين عامى ١٨٨٨ و ١٩٢٩ و "جاستون فييت" Gaston Wiet من ١٩٣٠ حتى ١٩٥١ و "مارسيل كولومب" Marcel Colombe من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٩ و " هنرى

لاباستيد " Henri de la Batisde منذ ١٩٦١ حتى ١٩٨٥ و"روبير سانتوتشى" منذ ١٩٦٦ حتى ١٩٩١ . وفى عام ٢٠٠١ اضطلع ثلاثة أساتذة جامعات بتدريس حضارة العالم العربى بالمعهد وهم : " هنرى لورانس" Henry Laurens لتاريخ الشرق المعاصر و"بنيامين ستورا" Benjamin Stora لتاريخ بلاد المغرب المعاصر و " أندريه بورجيه " André Bourgey لجغرافيا الشرق الأوسط والأدنى.

لقد حاول هذا المقال الموجز أن يؤكد أهمية معهد اللغات الشرقية فى مجال الدراسات العربية فى فرنسا إلا أنه من الواضح أن الإينالكو لا يحتكر الدراسات العربية فى فرنسا بما أن اللغة العربية وآدابها وحضارتها يتم تدريسها فى العديد من المنشآت التعليمية العليا الفرنسية. وهكذا نجد أنه فى باريس وضواحيها فقط يمكننا أن نتعلم الكثير عن العالم العربى فى جامعة باريس ١ وباريس ٣ وباريس ٤ وباريس ٧ وباريس ٨ وباريس ١٠ دون أن ننسى " المنشآت التعليمية الكبرى" مثل " كوليج دى فرانس" و المدرسة العملية للدراسات العليا ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية.... إلخ . كذلك توجد العديد من الجامعات الإقليمية التى تقدم تعليماً ذا مستوى عال فى مجال اللغة العربية وآدابها وحضارتها. وعلى الرغم من ذلك وإذا كان متخصصون بارزون فى العالم العربى يقومون بالتدريس فى هذه الجامعات فإنه لا توجد – باستثناء الإينالكو – أية مؤسسة جامعية فرنسية تجمع هذا العدد من المعلمين والطلاب المهتمين بالعالم العربى .

وضع تدريس اللغة العربية فى فرنسا
وصمة فى حق الفرانكفونية العربية

بقلم : أحمد معتصم

أستاذ فخرى بالجامعات المغربية باحث فخرى فى CNRS(*)

ومدير أبحاث الدكتوراه بالسوربون- باريس

إن تدريس اللغة العربية فى فرنسا مازال يمثل منطقة ظلال فى "مدرسة الجمهورية" ونقصًا معيبًا يشوب الفرانكفونية العربية. فالنظام التعليمى الفرنسى محروم إذن من الانفتاح التاريخى و الاستقبالى على البحر المتوسط حيث يمثل هذا الانفتاح ضرورة حتمية سواء على المستوى الجغراسى أو المستوى الجغرافى الثقافى، إلا أن السياسة قصيرة النظر تعمل على جعله مجرد كلام على الرغم من الخطاب الرسمى الرنان الذى يتغنى بالتنوع . ويفرض هذا الوضع نفسه كما لو كان نجمة ذات خمسة أفرع تدور حول نفسها لكن دون تغيير أبعادها ولا آفاقها. إن هذا الوضع يكشف لنا بهذا الشأن أن تدريس اللغة العربية لا يعتد به من حيث الكم وقابل للنقاش من حيث الكيف . وذلك ربما يؤدى إلى تضييق نطاق الفرانكفونية العربية الناشئة ويجعل الانفتاح على البحر المتوسط شيئًا غير مؤكد مما يجعل بالتالى تناول بعض التساؤلات المستقبلية شيئًا محدود النطاق .

كم لا يعتد به :

(*) CNRS هى اختصار Centre National de la Recherche Scientifique وهى تعنى المركز القومى للبحث العلمى .

يمكننا من ناحية أن نرجع إلى الكتاب الرائع " حال الفرانكفونية فى العالم ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ "[١] لنلحظ على سبيل المثال أن تدريس اللغة العربية فى فرنسا فى المرحلة الثانوية يشمل ٦٥٤٩ تلميذًا موزعين على ٢١٤ منشأة تعليمية عامة من بينها ٩٤ مدرسة إعدادية و ١٢٠ مدرسة ثانوية . ويعمل على تدريس اللغة العربية ١٥٨ معلمًا من بينهم ٣٤ مبرزًا و ١١٢ أستاذًا ثانويا وسوف يتم بالإضافة إلى ذلك توفير ٢٢ وظيفة أخرى تم الإعلان عن مسابقة لشغلها منها عشرة وظائف للحاصلين على شهادة التبريز واثنتا عشرة للحاصلين على شهادة الكفاءة الثانوية. CAPES وفى مجال التعليم العالى، سنجد أن المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية INALCO يضطلع بمهمة تدريس اللغة العربية لأكثر من ١١٥٠ دارسًا تليه جامعة السوربون الجديدة بعدد طلابها الأربعمائة فضلاً عن أكثر من عشرة مراكز جامعية فرنسية أخرى يتراوح عدد الدارسين بها بين ٥٠ و ٢٠٠ دارس فى كل وحدة تعليمية بها .

ومن ناحية أخرى نجد أن كتاب " علامات المرجعيات الإحصائية للتعليم" الصادر عام ٢٠٠٠ كتاب جدير بالثقة وهو لا يقل فى دقته عن المرجع السابق عن " حال الفرانكفونية" وهو يتيح لنا بعض المقارنات المهمة . لا يزيد عدد دارسى اللغة العربية عن ٦٥٤٩ تلميذًا (شاملاً الإسهامات المختلفة) فى حين يبلغ عدد دارسى اللغة الإنجليزية - التى تمثل نقطة مؤلة للفرانكفونية - حوالى ٤٩٣٠٨٤٦ تلميذًا على مستوى اللغة الأولى وتليها اللغة الألمانية ٥١٧٠٤٣ تلميذًا ثم اللغة الإسبانية ٤٢٧٧٦ ولغات أخرى يدرسها ١٢٨٠٠ منها اللغة البرتغالية ثم تليها الإيطالية والعبرية أو العربية ... وهى اللغات الثلاث عشرة أو الخمس عشرة المقترحة نظريا والتى من المفترض أنها تمثل الضامن (المزيف) للتنوع . أما عن المنشآت التعليمية التى يبلغ عددها ٢١٤ منشأة عامة (ومنها ٩٤ مدرسة إعدادية فقط) والتى يتم فيها بصورة أو بأخرى تدريس اللغة العربية فيمثل هذا العدد قطرة مياه إذا ما قارناها بالمدارس الإعدادية والثانوية التى يبلغ عددها فى فرنسا ٢٣٤٩١٦ مدرسة وهى تقوم بدرجات متفاوتة

(١) إصدار المجلس الأعلى للفرانكفونية للتوثيق الفرنسى ، باريس ٢٠٠١ .

بتدريس أربع أو خمس لغات هى الإنجليزية والألمانية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وجميعها لغات أورو-أوروبية. وفيما يتعلق بالتعليم العالى فإنه فيما عدا المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية فإن التراجع مستمر فى السوربون وجامعة إكس- أون- بروفانس. ويأتى هذا التراجع على حساب الازدهار الذى طالما اتسمت به مدرسة الاستشراق الفرنسية الكبرى والتى حافظ على بقائها الممثلون الأواخر لها و الذين ذاع صيتهم بشكل كبير وهم "جاك بيرك" Jacques Bercque و " هنرى لاوست " Henri Laoust و "ريجى بلاشير" Régis Blachère و " أندريه ميكال " André Miquel و آخرين ... إلا أن هذا التراجع يتم على الرغم من ذلك لصالح نوع ثانوى من الأدب يسمى " أدب مغاربى ناطق باللغة الفرنسية " وهو أبعد من أن يعبر - إلا فيما يتعلق ببعض الأعمال الكبرى- عن عمق وتركيب الحضارة العظيمة التى تميز جنوب البحر المتوسط بطابعها الأصيل والعالمى .

كيفية قابلة للنقاش :

ويضاف للمشكلة الكمية والرمزية مشكلة أخرى كيفية متعلقة بالتباس خاص بمبحث العلوم الذى لا يعتبر فقط وليد أدب فرانكفونى غريب يسمى بالأدب المغاربى لكنه يشكل فى حد ذاته حاجزًا إضافيا يفصل بين ثقافتين حضاريتين يفصلهما البحر المتوسط كما ذكرنا آنفًا .

وبشكل أكثر واقعية وأكثر حدة فى الوقت نفسه تفرض قضية اللغة العربية نفسها، ففضلاً عن طابعها الكمى المأسوى تتعلق المسألة بالكيفية المرتبطة بتدريسها فى فرنسا خاصة على مستوى الاصطلاحات مزدوجة اللغة، وعلى الرغم من ذلك فهذه المسألة محسومة فى بلاد المنشأ . إلا أن الاختبارات الاختيارية فى الثانوية العامة الفرنسية والمتعلقة باللغة العربية جعلت هذه المسألة متكررة بشكل غريب. فهذه الاختبارات تظهر دائمًا تقابلاً بين تيارين مختلفين فى فرنسا: الأول لصالح العربية العامية والثانى لصالح العربية الفصحى . إن التيار الأول يمثل الأقلية وهو يدافع عن لغة عامية شفهية يتم تدريسها حصريا فى المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية وهى لغة ليست لها

كتابة خاصة بها باستثناء بعض الاقتباس الطفيف من الحروف اللاتينية . ويسمى هذا التيار هذه اللغة " اللغة الأم" المختلفة طبقًا له عن اللغة الأم الفصحى ويتهم هذا التيار خصومه المناصرين للغة العربية بأن نزعة القومية العربية هى التى تحركهم . أما التيار الثانى وهو تيار الأغلبية فهو يدافع عن اللغة العربية الفصحى التى يتم تدريسها كذلك فى المعهد القومى للغات والحضارات الشرقية وتُدرس أيضًا بشكل خاص فى المدارس الفرنسية كما فى جميع مدارس العالم العربى. ويمثل هذا التيار أساتذة معتمدون للمرحلة الثانوية أو أساتذة مبرزون فى اللغة العربية ويدعمه التفتيش العام التابع لوزارة التعليم. ويرى هذا التيار أنه يملك الشرعية فى مجال التخصص ويتمتع بالممارسة التربوية لكنه ينفى تهمة القومية العربية. ويندهش أنصار هذا التيار من تدريس العربية عن طريق اللاتينية ويخشى أن تُتهم فرنسا بنزعة استعمارية جديدة عن طريق إحياء تمييز مصطنع تم إجهاضه فى زمن الاستعمار من خلال خلق هدف أيديولوجى يحقق المخطط القائم على مبدأ " فرق تسد".

وأمام هذه المشكلة المستعصية لم تحدد وزارة التعليم الفرنسية سياسة ثابتة فتبدو وكأنها تأخذ قراراتها كل سنة على حدة، فمرة يأتى موقفها ليؤيد أحد التيارين ومرة يأتى ضدها وذلك وفقًا لهوى جماعات الضغط التى يتم حشدها وتعبئتها أو وفقًا لموازين القوى دون أن تهتم الوزارة بشكل خاص بالاعتبارات التربوية أو بالالتزامات الدولية. ويبدو أن القرار الوزارى الأخير قد اكتفى باتخاذ قرار ماهر دون تصور حقيقى لموقفها من التيارين، فقد قررت الوزارة أخيرًا أن تترك للطالب المتقدم للامتحان الحرية فى " التعبير من خلال اللغة التى يختارها : أى العربية الفصحى أو العربية العامية أو لغة وسط بين اللغتين" وذلك " استنادًا على وثيقة باللغة العربية الفصحى أو العامية" .(١)

ولكن بعيدًا عن هذه المناقشات البيزنطية يبقى أنه على الصعيد التربوى والدولى لا يمكن للغة أجنبية يتم تدريسها فى مؤسسة مدرسية أو جامعية أن تختلف عن اللغة التى يتم تدريسها فى البلد أو البلاد الأصلية التى تستخدمها، وعلى صعيد المبادئ

(١) انظر الجريدة الرسمية فى عددها الصادر فى الأول من فبراير ٢٠٠١ .

فاللغة العربية لا يمكن أن تشكل استثناءً لهذه القاعدة حتى فى الاختبارات الاختيارية. إن الأمر هنا يتعلق باللغة العربية الحديثة الموحدة أى التى تسمح بالتعامل مع الكتابات الراهنة والمعاصرة. وبشكل غير مباشر فهى تسمح بالاطلاع على الكتب الحضارية القديمة وفى الوقت نفسه تسمح بالتعامل باللهجات العامية المختلفة سواء فى المشرق أو فى المغرب . فضلاً عن ذلك فإن التعليم المدرسى العربى لا يرتكز أساسًا -كما يدعى البعض- على أعمال قديمة مثل التى قدمها امرؤ القيس ولا يرتكز فى الوقت نفسه على اللهجات العامية. وهذا هو وضع اللغة الفرنسية الحديثة الموحدة أيضًا والتى تتم تدريسها فى فرنسا كلغة أساسية وفى بلاد أخرى كلغة أجنبية أو كلغة ثانية ودون أن تبعد مع ذلك عن القواعد التى وضعها مركزها الأساسى. إنه لا يخطر على بال أحد أن تتم العودة دون سبب واضح إلى استخدام لغة " مدام دى سيفنييه " Mme de Sévigné أو أن يتم قياس اللغة وفقًا للغة القانون الصعبة أو للغة الإدارة أو للغة الأكاديمية. ولن يفكر أحد كذلك فى أن يغامر باتخاذ الجانب الآخر فيستخدم لغة الأقاليم أو لهجات الضواحى أو لغة الاصطلاحات أو لغة الدردشة أو لغة الشيبران chébran أو مزيج من الفرنسية والعربية...

وعلى صعيد مختلف فإن اللغة الفرنسية تشهد مثل اللغة العربية توسعًا جغرافيا كبيرًا بفضل الفرانكفونية التى لا تعيش هى الأخرى بمنأى عن التشتت. ذلك لأنه توجد أشكال مختلفة من الفرانكفونية هنا وهناك دون قواعد أو قوانين محددة وذلك ليس فقط فى كندا لكن كذلك وبالذات فى صحراء جنوب أفريقيا وفى بلاد المغرب. ويعتبر ذلك بالنسبة للبعض ثراءً بينما يمثل للبعض الآخر " تهديدًا بالانفجار". نتناسى كثيرًا أن تاريخ اللغة الحية معرض لتحولات كثيرة. إذن فهى لا تستطيع أن تمنع وجود بحث دائم من شأنه أن يحقق المعادلة بين الصدفة التى تتسم بها الإسهامات المتعددة وضرورة وجود دقة فى التوحيد اللغوى. إن مقولة " أخيرًا جاء ماليرب"(*) لم تكن أكثر ضرورة منها كما فى عصر التدفق فى اللغات واللهجات . لقد نجحت هذه المقولة فى

(*) يعتبر "ماليرب" Malherbe هو أول من قام بإدخال إصلاحات جذرية على اللغة الفرنسية فى القرن السادس عشر حيث أدان الاصطلاحات الدخيلة على اللغة وندد بالحذلقة اللغوية وباللهجات العامية ونادى باللغة النقية الواضحة وكان من أهم أعماله بهذا الصدد كتاب : " دفاع وبيان عن اللغة الفرنسية".

القرن السابع عشر فى "تنقيح" الروافد المتعددة للغة الفرنسية دون أن تشوهها وقد جاء تعدد هذه الروافد نتيجة زيادة المفردات الشعبية بشكل كبير فى القرن السادس عشر وكان الهدف منها الحفاظ على وحدة اللغة. وذلك هو على الأرجح السبب الذى دفع "ستيليو فاراندجيز" إلى أن يصوغ بشكل جميل حلاً من شانه أن يحقق التوازن بين "الجذور والتحديث". إن اللغة العربية مثلها مثل أى لغة مكتوبة ومثل اللغة الفرنسية لا يمكنها أن تتجرد من هذه العملية المستمرة من التركيب اللغوى حيث إنه يسمح فى الوقت نفسه بإثراء اللغة وبالحفاظ على ديناميكيتها الموحدة وعلى أسسها النوعية التى تبقى على مستواها العالمى وتجعل منها كذلك شريكًا مهما لفرانكفونية عربية يتم تفهمها بشكل صحيح.

فرانكفونية عربية ؟

إنه أيضًا "ستيليو فاراندجيز" الأمين العام للمجلس الأعلى للفرانكفونية الذى أدخل مفهوم الفرانكفونية العربية الذى تبناه منذ عام ١٩٨٣ . إلا أنه يبدو وكأنه مقصور حتى الآن على نطاق ضيق فى فرنسا حيث إنه محدود فى نطاق الترفيه فمفهوم الفرانكفونية العربية موجود بشكل جيد فى مجال الموسيقى والإيقاعات الشعبية على شاطئ البحر المتوسط. وتجد العادات الغذائية مكانها أيضًا فى هذا السياق من خلال بعض الأكلات المغربية مثل " الطاجن" و "الكسكسى" والتى أصبحت خلال الأعوام الأخيرة أطباقًا شعبية فى فرنسا، حيث تتميز بها الآن فهى فى الواقع أكلات أكثر سهولة فى الهضم من الأبجدية العربية . وعلى الرغم من جميع التحفظات فإن مشروع الفرانكفونية العربية قد يتعرض من هذا المنظور إلى الإصابة بعقم أحادى البعد خاصة إذا ظل وجود اللغة العربية داخل فرنسا وكأنه غير شرعى فيتم استبعادها من التعليم وتظل محرومة من التبادلية حتى النسبية مع حضارة كبيرة مكتوبة تعيش على طول الساحل الجنوبى للبحر المتوسط. إن الفرانكفونية العربية متعددة الأبعاد لن يمكنها التواجد بشكل أحادى مكتفية بوجود اللغة الفرنسية المكتسحة والغازية فى بلاد

المغرب العربى ولبنان دون أن يتم القيام بشىء فى المقابل لخلق وجود حقيقى لتدريس اللغة العربية فى فرنسا .

فى الجنوب ، تمثل بلاد المغرب العربى فى الواقع جزءًا أساسيا فى الهيكل الفرانكفونى. حتى الجزائر التى لم تكن حتى الآن عضواً فى أية مؤسسة رسمية فرانكفونية دولية قد فرضت وضعها من الآن فصاعداً باعتبارها البلد الفرانكفونى الثانى بعد فرنسا وقبل كندا . وبصفة عامة تبلغ نسبة الناطقين بالفرنسية الفعليين أو العارضين حوالى ٥٠٪ من مجمل عدد السكان البالغ ٧٠ مليون عربى بربرى فى بلاد المغرب العربى. فضلاً عن ذلك فإن نسبة الالتحاق بالتعليم والتى تبلغ من ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة فى المتوسط تسمح ليس فقط بدراسة اللغة العربية أيا كان المستوى التعليمى ولكنها تسمح أيضًا بدراسة اللغة الفرنسية. إن هذه اللغة التى مازالت إجبارية على الرغم من السياسات (الخاطئة) للتعريب تصاحب شباب بلاد المغرب العربى منذ المدرسة الابتدائية حتى الجامعة حيث تحتكر فيها أيضًا التعليم الفنى والعلمى . إن هذه الازدواجية تسمح فى بعض الأحيان بالحصول على عناصر جيدة ووسطية قادرة على الانتقال من لغة لأخرى ومن ثقافة مكتوبة لأخرى. إلا أن ذلك يفرز أيضًا و أولاً صفوة فرانكفونية (أحادية) معزولة عن المحيط الذى تعيش فيه ويفرز ثانيا تشتتًا فى مجال التعليم المدرسى يؤدى بدوره إلى " أمية مزدوجة اللغة"، ولقد قمنا بدراسة الآثار التربوية والاقتصادية والاجتماعية لذلك عامى ١٩٧٤ و ١٩٩٢ .(١)

إلا أن التعليم الرسمى للغة العربية "فى فرنسا" لا يمثل سوى ١ , ٠ ٪ حيث يدخل فى نطاق "اللغات الأخرى" التى تمثل نسبة(٢ , ٠ ٪) بينما تحتل اللغة الإنجليزية على سبيل المثال نسبة ٨٩,٦٪ واللغة الألمانية ٩,٤٪ واللغة الإسبانية ٨,٠٪. ولقد تم حساب هذه النسبة على أساس مجمل ٥,٥٠٣,٤٠٠ طالب يدرسون لغة أجنبية أولى فى المدارس الإعدادية والثانوية عام ٢٠٠٠ (٢). ليس من العجيب إذن أن يكون عدد الوظائف الشاغرة لمسابقة التعيين لعام ٢٠٠٠ أيضًا معبرًا عن هذا التفاوت. ذلك لأن

(١) انظر " التعريب واللغة الفرنسية فى بلاد المغرب العربى" باريس ، "بوف" ، ١٩٩٢ .
(٢) انظر المرجع السابق .

شهادة التبريز تقدم ١٤٦ وظيفة لمدرسي اللغة الإنجليزية و ٧٥ للغة الإسبانية و ٥٣ للألمانية و ١٦ للإيطالية وعشرة للغة العربية، أما بالنسبة لشهادة كفاءة التعليم الثانوى CAPES فهى تطرح ١٠٥٠ وظيفة للغة الإنجليزية و ٦٥٠ للإسبانية و ١٧٦ للألمانية وخمسين للإيطالية و ١٢ للعربية مما يمثل فى حد ذاته جهداً وتقدماً مقارنة بالسنوات السابقة. أما على المستوى الفعلى فإن اللغة العربية مستمرة فى فقد مكانتها . إن عدد الطلاب الذى كان يبلغ ١٢٠٠٠ طالبًا عام ١٩٨٥ أصبح ٦٥٤٩ طالبًا عام ٢٠٠٠ وذلك على جميع المستويات التعليمية [1] إن اللغة العربية مثار كراهية مديرى المدارس لأنها تسبب صعوبات فى إدخالها أو ربما فى استمراريتها خوفًا من " تعريب الضواحى" أو من " التعليم الكسكسى" كما جاء فى العديد من التقارير أو الدراسات التى لم يكن لها أى صدى. إن ذلك يتعلق بالتعليم الثانوى خاصة حيث يتم اقتراح اللغة العربية نظريا كلغة أجنبية حية. أما بالنسبة للمدرسة الابتدائية فلا يمكن الاعتماد عليها على الرغم من الأيديولوجية الوزارية الجديدة التى تسعى لتعميم التنوع اللغوى فى السنتين الثانية والثالثة الابتدائيتين . إن ذلك يتعلق على الأرجح بإشكالية غير ثابتة مثل التجارب السابقة التى لم تستطع من أكثر من ربع قرن أن تأتى بنتيجة إلا بالنسبة للغة الإنجليزية ولم تستفد منها اللغات الأوروبية الأخرى إلا بدرجة محدودة ولم تأت بأية ثمار على مستوى حوض البحر المتوسط.

انفتاح على البحر المتوسط ؟

من هنا يأتى الحديث عن الانفتاح " التقليدى" لفرنسا على ثقافات البحر المتوسط إلا أنه توجد خطوة لا يمكن الإقدام عليها بشكل موضوعى، على الأقل فيما يتعلق بالتبادلات اللغوية حتى ولو بشكل نسبى . هكذا وأمام فشل مدرسة الجمهورية قامت اللغة العربية بالاحتماء بالمؤسسات الموازية مثل الـ"إيلكو" ELCO أو المساجد، مما يهدد أحيانًا بخلق مشاكل أكثر صعوبة فى حلها. إن الـ"إيلكو" ELCO تدريس لغات

(١) انظر المرجع السابق .

وثقافات المنشأ) هو برنامج عربى يتم خارج حدود البلاد العربية وتقوم بتمويله ماديا وتربويا حكومات بلاد المغرب وقد وظفت أكثر من ٥٠٠ معلم مدفوعى الأجر من قبل ميزانيات دول بلاد المغرب العربى. ويتم تنفيذ هذا البرنامج من خلال المدارس الابتدائية الحكومية خارج أوقات عمل الفصول ويتم توجيهه لحوالى ٤١ ألف تلميذ منهم ٢٧ ألف تلميذ مغربى و ٨٥٠٠ تلميذ جزائرى و ٥٥٠٠ تلميذ تونسى وذلك وفقًا لبعض المصادر الإحصائية التقريبية. ووفقًا لمصادر أخرى فإن هذه الأعداد تزداد قليلاً بحيث يصبح العدد الفعلى بالنسبة لهذه المصادر هو ٨٦٦٨٥ تلميذًا ويشمل هذا العدد المساجد والكتاتيب. هكذا يصبح عدد المغاربة وحدهم ٣٧٤٥٨ عام ٢٠٠٠ بما فى ذلك مرحلة ما قبل الابتدائى التى تضم ٥٦٦ تلميذًا ومرحلة الابتدائى التى تضم ٣١٠٣٠ طالبًا ومرحلة الثانوى التى تشمل ٣٥٥٩ طالبًا والمساجد التى تضم ٢٣٠٣ مريداً .

إلا أن هذا "التعليم الموازى" والذى يعود بفائدة لا يمكن تقديرها بفضل تفانى القائمين عليه يظل على الرغم من ذلك يعانى من معوقات ثلاثة : معوق تربوى ومعوق اجتماعى وثالث مالى . إن الجانب التربوى الذى يكمن فى كون هذا التعليم يتم خارج مواعيد الفصول الدراسية الرسمية يمثل عبئًا إضافيا يثقل كاهل الشباب المتلقى بل ويأخذ شكل ثقافة دُنيا وسرية لا تليق بمواطن ينتمى للجمهورية . أما المشكلة الثانية فهى اجتماعية و تترتب على الأولى حيث تعطى لهذه الفصول طابعًا يجعله وكأنه منبوذ يمنع الدمج الاجتماعى فى الوقت الذى لا يمكن ضمان الإستمرارية التربوية فى حدها الأدنى واللازم لتحقيق فعالية عملية التعلم والتلقى. حيث يستطيع فقط ١٥٪ من هؤلاء الطلبة الذين يعيشون فى كنف المدارس الابتدائية الفرنسية أن يجدوا مكانًا لهم فى المدارس الثانوية الحكومية . وبسبب غياب هياكل الاستقبال الملائمة كما ذكرنا أنفًا يكون من الصعب بالفعل إيجاد مدرسة إعدادية متاحة لتحسين المعارف المكتسبة فى السابق فى مجال اللغة العربية. لا يتعين إذن أن نندهش إذا علمنا أن أكثر من سبعة آلاف تلميذ يتجهون نحو الـ"كنيد" CNED (المركز القومى للتعليم عن بعد). إلا أن دروس اللغة العربية التى يتم تقديمها فى إطار هذا المركز مازالت عتيقة ومقيتة لدرجة أن ما يقرب من نصف الملتحقين بالدراسة يفقدون حماستهم ويتركون هذا البرنامج التعليمى علمًا بأن ثلثى هذه النسبة من الفتيات سواء ممن يرتدين الحجاب أم لا.

وأخيراً، فالمعوق الأخير مالى ، فأولياء أمور هؤلاء التلاميذ مواطنون فرنسيون وهم على جميع الأحوال مواطنون يدفعون ضرائبهم بالكامل، لذلك فهم لا يفهمون السبب الذى يدفعهم إلى التوجه لحكومات أجنبية لتمويل جزء مهم من تعليم أطفالهم المدرسى. فالمغاربة يدفعون بهذا الشكل لبلاد المغرب العربى لكى يتعلموا ... اللغة الفرنسية . إلا أن مواطنيهم (السابقين) يدفعون أيضاً فى فرنسا لكى يتعلموا ... اللغة العربية.

تساؤلات مستقبلية :

وفى نهاية الأمر، فإنه فيما يتعلق بتدريس اللغة العربية فى فرنسا فلا مدرسة الجمهورية ولا الهياكل الموازية تستطيع أن تواجه هذه الرهانات التربوية والثقافية والسياسية و الجغراسية والمستقبلية .

فعلى الصعيد التعليمى يوجد سوء فهم متوارث لابد أولاً من إزالته خاصة فيما يتعلق بالهياكل الموازية. ذلك لأن هذا التعليم للغة العربية والذى يتم خارج حدود البلاد العربية يخضع لاتفاقيات ثنائية بين فرنسا وبلاد المغرب العربى ويرجع إلى السبعينيات- وهذا التعليم يتعين عليه أن يعد الشباب أبناء المهاجرين للعودة للوطن وهى فكرة خاطئة تم تجاوزها منذ زمن طويل. إن إدراج هذه الدروس داخل الفصول العادية للتعليم القومى يصبح إذن ضرورة على الأقل حتى لا نترك لبعض الهياكل التى لا يمكن السيطرة عليها مهمة تحديد مستقبل مواطنين شباب . إن إدراج اللغة العربية داخل النظام التعليمى الكلاسيكى- والذى تأجل مرات عديدة - يبدو حاليًا وأنه دخل فى دائرة اهتمام السلطات الحكومية الفرنسية منذ حوالى خمس سنوات ، ورغم أن ذلك شىء مشجع فإنه مازال بعيداً . لذلك يتعين على التطور الإحصائى أن يواكب ذلك سواء فى المدرسة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية التى لم تستطع أبداً أن تتعدى نسبة الـ١ ,٠٪ للأعداد الفعلية المسجلة بالمدارس .

ومن ناحية أخرى ، فعلى الصعيد الثقافى يتم تدريس اللغة العربية فى فرنسا على أنها لغة أجنبية أولى أو ثانية داخل المدارس الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية وهى موجهة فقط وحصريا لأطفال المهجر الذين ينتمون لأصول مغاربية أو عربية . أما شباب

الفرنسيين ذوو الأصول الفرنسية فإنهم أقل استعداداً من الشباب المغاربي سواء في فرنسا أو في بلاد المغرب فيما يتعلق بالتعامل الإجباري مع مصطلحات اللغتين العربية والفرنسية. وهم في الوقت نفسه غير مؤهلين حضاريا أكثر من الشباب المغاربة للاستغناء عن مشاركة متوسطية أكبر وذلك بسبب انتمائهم لثقافة واحدة هي الثقافة الفرنسية .

وفضلاً عن ذلك ، فعلى الصعيد السياسي ستحقق فرنسا مكاسب كبيرة إذا ما قامت بتوسيع نطاق قاعدة معارفها المتعلقة بجنوب البحر المتوسط عن طريق تداخل اللغة المكتوبة والثقافة الحضارية. إذ يمكنها بهذا الشكل أن تكون همزة الوصل بين أوروبا وبلاد المغرب العربي والعالم العربي شريطة أن تعيش دمج هذه المشاركة الثقافية المتداخلة والتبادلية على شاطئيّ المتوسط، ذلك لأن قبول جعل اللغة الفرنسية إجبارية في جميع مستويات التعليم في بلاد المغرب حتى ولو كان ذلك على حساب اصطلاحاتها اللغوية الخاصة من جهة والغياب شبه الكامل من جهة أخرى لتدريس اللغة العربية في فرنسا حتى في صورة لغة أجنبية من أدنى الفئات يجعل من الصعب تجاوز هذه المسافة . هكذا يمكن لبلاد المغرب من جهة أخرى أن تحاول الابتعاد عن اللغة الفرنسية لصالح اللغة الإنجليزية على غرار ما حدث في أوروبا و... في فرنسا ذاتها . إن هذه الفرضية إذا تأكدت ستؤدي إلى تغيير جذري في موازين القوى الثقافية والجغراسية في البحر المتوسط. وسيكون ذلك ليس فقط في صالح التأثير الإنجليزي الأمريكي على شاطئيّ المتوسط لكنه سيكون أيضًا على حساب وضع فرنسا نفسها داخل أوروبا وفي قلب العالم .

هل من الضروري في ظل هذه الظروف أن نتساءل بطريقة مستقبلية عن النداءات الحزينة لـ "ستليو فاراندجيز" في المطالبة بتحقيق فرانكفونية عربية تعددية؟ ألا تتعرض هذه النداءات لأن تظل هكذا بلا صدى إذا لم تتحقق التبادلية ولو بشكل نسبي؟ لقد سبق وكتب بهذا الصدد قائلاً: " توجد أنواع من التعتيم الذي يتم دفع ثمنه غاليًا " وكان ذلك في الثاني عشر من مايو عام ١٩٩٨ بخصوص مسألة تدريس اللغة العربية في فرنسا . هل من اللازم أيضًا أن نذكر بتحذيرات المرحوم " جاك بيرك" منذ أكثر من خمس عشرة سنة التي جاءت في إطار تقرير مهم مقدم لـ "جان بيير شوفانماه" الذي

كـان وزير التـعليم آنذاك؟ وعلى الرغم من ذلك اسـتطاع هذا الوزير المجـدد أن يقـدر التوجهات التى تضمنها التقرير وقام بإرساء قواعد لتنفيذ ذلك، فإنه بعد رحيله تم دفن هذه التوجهات قبل صاحبها ولم تحظ بالتطبيق المنشود.(١)

إلا أن " عالميتنا الخاصة – كما كتب جاك بيرك عن فرنسا فى تقريره- تبدأ فى منطقة البحر المتوسط الإسلامية والتى تتجسد على أرضنا فى العمال والمثقفين والطلاب الذين يؤيدهم خطاب ابن رشد الذى ألقاه على هضبة القديسة جونوفياف. إنها تتجسد أيضًا فى طريقتنا فى ترجمة وجود هؤلاء داخلنا سواء على مستوى العادات المدرسية أو على مستويات أخرى . وبهذه الطريقة نبنى عالميتنا داخل العالم الإسلامى المتوسطى وهى تعتمد فى جزء منها على مستقبلنا" – هكذا أنهى " بيرك" كلامه، إنه قد وضع هذا التأمل فى إطار بُعد أكثر اتساعًا من خلال "بحر متوسط لاتينى عربى" كان يطمح إليه. وكان من المفترض أن تكون تلك الفكرة وريثة النموذج الأندلسى متداخل الثقافات الذى قام منذ القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر بتغذية النهضة الأوروبية فى القرن السادس عشر والتى تعتبر راعية الحضارة العالمية الحالية. إلا أنه بعيدًا عن قضية تدريس اللغة العربية فى فرنسا والتى تمثل الجزء الأساسى فى الرهان على غرار ما يمثله تدريس اللغة الفرنسية فى بلاد المغرب – فإن جاك بيرك قد نادى كما سبق وأن فعل فى الثانى من يونيو عام ١٩٨١ فى " كوليج دى فرانس" بالعودة إلى " أندلس متجددة نحمل بداخلنا بقاياها المتراكمة وأملها المتجدد" .

(١) انظر " الهجرة فى مدرسة الجمهورية" ، باريس ، التوثيق الفرنسى، ١٩٨٥ .

بعض المراجع

-QUELQUES REFERENCES Sur les mémes thèmes, du même auteur (A.Moatassime) : للكاتب نفسه "أحمد معتصم":

-Arabisation et langue française au Maghreb, التعريب واللغة الفرنسية فى بلاد المغرب Paris, PUF 1992.

- Francophonie/Monde Arabe: Un dialogue est-il possible ?,الفرنكفونية والعالم العربى : هل من حوار ممكن؟ Paris, l'Harmattan, septembre 2001.

- La langue des pieds et l'enseignement de l'arabe en France, لغة المهاجرين وتدريس اللغة العربية فى فرنسا Afrique Education no. 52/53 décembre 1998. janvier 1999 et Libération (Maroc), 12 novembre 1998; repris par Maroc hebdo International, no. 346, 14 au 20 novembre 1998 et par le "Courrier International", no. 421, 26 novembre - 2 décembre 1998.

- La langue arabe en France: un "sans papier" exclu de l'enseignement, اللغة العربية فى فرنسا ووجود غير شرعى واستبعاد من التعليم Arabies no. 146/fevrier 1999.

Ouvrages particuliers: أعمال خاصة

– Jacques Berque, L'immigration à l'Ecole de la République,الهجرة فى مدرسة الجمهورية Paris, Documentation Française, 1985.

- Jacques Berque, Andalousies/Leçon de clôture au collège de France, أندلسيات ودرس الختام فى كوليج دى فرانس Paris Sindbad, 1981.

- Stèlio Farandjis, Philosophie de la Francophonie, فلسفة الفرانكفونية Paris, l'Harmattan, 1999.

Documentation officielle: توثيق رسمى

– Notes statistiques des services culturels maghrébins à Paris.إحصائيات المراكز الثقافية المغاربية فى باريس

–Repères et refèrences statistiques, مرجعيات إحصائية Paris, Ministère de l'Education nationale, Edition 2000.

- Etat de la Francophonie dans le monde 1999-2000,حال الفرانكفونية فى العالم (١٩٩٩–٢٠٠٠)Paris, Haut Conseil de la Francophonie, Documentation Française, 2001.

- Bulletin Officiel de l'Education nationale الجريدة الرسمية لوزارة التعليم العام Paris, 1er février 2001, réglementant les épreuves d'arabe au Baccalauréat français.

- Langues et identitès, لغات وهويات Haut Conseil de la Francophonie, coll. Les Cahiers de la Francophonie, n°2,1994

Articles de presse: مقالات صحفية

–Le Monde, 28 février 2000-22 décembre 2001-29 mars 2001-11 avril 2001-2 juin 2001.

- (Du Maroc) Al-Bayane, 28 octobre 1999; Libération, 12 novembre 1998-21 février 2001-16 mars 2001; Maghreb Culturel du 25 et 26 février 2001.

اللغة العربية العامية [(١)] فى فرنسا

بقلم : دومينيك كوبيه

Dominique CAUBET

أستاذ اللغة العربية المغاربية– إينالكوINALCO

تعترف الفرانكفونية اليوم بالتنوع اللغوى فى البلاد الناطقة بالفرنسية أيا كان حالها (أى سواء كانت لغة قومية أو لغة رسمية أو غير ذلك)، وهى تقر كذلك أنه من الطبيعى أن توضع اللغات المستخدمة على أرض الوطن فى الاعتبار على أساس أنها تشكل جزءًا من تراث الجمهورية. واللغة العربية العامية واحدة من هذه اللغات وتحتل المكانة نفسها التى تحتلها اللغات الخمس الأخرى التى لم يتم الاعتراف بوجود إقليم لها وفقًا لتقرير "كيركيجلينى"[(٢)] Cerquiglini وهى لغة البربر واللغة اليدية واللغة الرومانية واللغة الأرمينية الغربية) والتى تعيش فى كنف اللغات الإقليمية .

وسوف أقدم بعض المؤشرات عن حيوية اللغة العربية العامية فى فرنسا والمتعلقة بمشاركتها فى تحقيق الثقافة التعددية لهذا البلد وسوف أتوقف كذلك عند المكانة المتواضعة التى تحتلها هذه اللغة داخل المؤسسات وخاصة داخل النظام التعليمى.

(١) إننا نعنى بكلمة " العربية العامية " تلك اللغة الأم المكتسبة داخل الأسرة وهو أيضًا الاسم الذى أطلقه تقرير " كيركجلينى" على لغة فرنسا وهو الاصطلاح نفسه المستخدم فى وزارة التعليم . وسوف نستخدم أيضًا اصطلاح " العربية المغاربية" وذلك للتمييز بينها وبين العربية الفصحى التى لا تعتبر لغة أم لأى شخص فى البلاد العربية ولا يتم تعلمها إلا فى المدارس.

(٢) تقرير تم تقديمه فى نهاية أبريل ١٩٩٩ إلى وزارتى الثقافة والتعليم بمناسبة توقيع فرنسا فى السابع من مايو ١٩٩٩ على الميثاق الأوروبى للغات الإقليمية وللغات الأقليات داخل مجلس الاتحاد الأوروبى.

من يتحدث العربية العامية فى فرنسا ؟

من المهم بمكان أن تكون لدينا رؤية تعددية للعربية العامية فى فرنسا، فهذه اللغة لا تقتصر فى الواقع على فئة المهاجرين القادمين من بلاد المغرب العربى بل أصبحت اليوم مستخدمة من قبل مواطنين فرنسيين ينتمون لطوائف دينية مختلفة شهدت هجرات متعددة بدأت منذ مائة عام : مهاجرين ومرحلين مسيحيين ويهوداً ومسلمين...إلخ.

تاريخيا، تعود علاقة فرنسا بالجزائر إلى عام ١٨٣٠ تاريخ بداية الغزو، وفى عام ١٨٧٠ وبصدور مرسوم " كريميو " Crémieux أصبح من حق يهود الجزائر الحصول على الجنسية الفرنسية. ومنذ تلك الحقبة أصبح هؤلاء مواطنين فرنسيين كاملى الأهلية يتحدثون بلغة أم جديدة هى العربية الجزائرية.

حيوية العربية العامية فى فرنسا :

فيما يتعلق بالحيوية فإنه لا توجد أرقام رسمية تشير إليها لأنه لم يكن هناك ذكر للغات الأم فى التعدادات التى حدثت فى فرنسا حتى عام ١٩٩٩ لكننا نستطيع أن نقدم تقديرات خاصة بهذا الشأن.

إن أرقام تعداد عام ١٩٩٤ (انظر الجدول رقم ١) بينت أن هناك ١٣٩٣١٦٥ من السكان من أصول ترجع لبلاد المغرب العربى وقد احتفظوا بجنسيتهم الأصلية (يضاف إليهم المواطنون الفرنسيون) :

مغاربة	جزائريون	تونسيون	بلاد المغرب
٥٧٢٦٥٢	٦١٤٢٠٧	٢٠٦٣٣٦	١٣٩٣١٦٥

الجدول رقم ١ : عدد السكان من أصول ترجع لبلاد المغرب فى فرنسا يناير ١٩٩٤، (يوروستات ١٩٩٧)

إلا أن ذلك لا يحدد لنا ما هى لغتهم الأم : هل هى العربية المغاربية أم اللغة البربرية؛ يتعين إذن انتظار نشر أرقام التعداد لعام ١٩٩٩ .

يعطى سالم شاكر (انظر شاكر ١٩٩٧) تقديراً لعدد الناطقين باللغة البربرية من أصول جزائرية (وهم يمثلون ٤٠٪ من مجموع السكان من أصل جزائرى الذى يقدر عددهم بحوالى ٢ مليون، ثلثاهما يتمتعون بالجنسية الفرنسية منذ عام ١٩٩٦). ويمكننا أن نستخلص من هذا أن الناطقين بالعربية يبلغ عددهم نحو ١٢٠٠٠٠٠ ، فيما يتعلق بالمغرب نجد أن ٥٠٪ من المهاجرين قد يكونو برابرة (أى حوالى ٣٠٠٠٠٠ وفقًا لإحصاء يوروستات، الجدول رقم ١). يضاف إلى ذلك عدد التونسيين (٢٠٠٠٠٠) بحيث يصبح إجمالى العدد ١,٧٠٠,٠٠٠ . ويضاف إليهم المواطنون الفرنسيون. ويبدو رقم ٢ مليون رقماً معقولاً (فى مقابل مليون ناطق بالبربرية وفقًا لشاكر ١٩٩٧)

ومن ناحية أخرى ، نعلم أنه يوجد ١٤٠٠٠٠ يهوديا قد تركوا الجزائر عام ١٩٦٢ (من إجمالى مليون شخص تم ترحيلهم) أن عدداً كبيراً جداً منهم كان لايزال يتحدث العربية الجزائرية.

ماذا تبقى من كل هذا لدى الأجيال الشابة ؟

على الجانب الآخر، تم القيام بدراسة شائقة عن حيوية العربية المغاربية لدى الشباب من ١٨ إلى ٢٠ سنة وذلك بفضل الاختبار الاختيارى للعربية " العامية" فى الثانوية العامة والفنية (١) خلال السنوات الخمس التى قام خلالها الإينالكو INALCO بتنظيم هذا الاختبار التحريرى (انظر ما يلى) . وكانت الأرقام كما يلى فى ١٩٩٨ و ١٩٩٩ .

١٩٩٨	إجمالى المسجلين بالثانوية	إجمالى المسجلين فى اللغة العربية المغاربية
الثانوية العامة	٣٥٤٦٥٢	٤١٨١ (١,١٧٪)
الثانوية الفنية	١٧٨٧٤٣	٤١٨٨ (٢,٣٤٪)
الإجمالى	٥٣٣٣٩٥	٨٣٦٩ (١,٥٦٪)

١٩٩٩	إجمالى المسجلين بالثانوية	إجمالى المسجلين فى اللغة العربية المغاربية
الثانوية العامة	٣٤٤٢٤٣	٤٦٦٣ (١,٣٥٪)
الثانوية الفنية	١٨٥٣٦٨	٥١٧٤ (٢,٧٩٪)
الإجمالى	٥٢٩٦١١	٩٨٨٦ (١,٨٦٪)

جدول رقم ٢ شهادة الثانوية : المتقدمين لاختبار اللغة العربية العامية "د.كوبيه"

(١) بالنسبة للثانوية المهنية يمكن اجتياز اختبار اختيارى شفهى للغة العربية العامية حتى يومنا هذا (لا أعرف عدد المتقدمين).

ومن الملاحظ أن المتقدمين لشهادة الثانوية الفنية يبلغ عددهم ضعف نسبة المتقدمين للثانوية العامة. فضلاً عن ذلك، شباب كثيرون لا يتقدمون لاجتياز اختبار الشهادة الثانوية (٦٣٠٠٠٠ مرشحًا يشملون الثانوية المهنية) على اعتبار أن عدد شباب الجيل يتم تقديره بحوالى ٨٠٠٠٠٠ . إذا ما طبقنا نسبة ٢٪ على المتحدثين بالعربية العامية سنحصل على رقم ٤٠٠٠٠ ناطق بالعربية لكل فئة عمرية وذلك عدد لا يستهان به . وبالتأكيد لابد أن يتم التحقق من كل ذلك من قبل أرقام التعداد.

أما فيما يتعلق بالحيوية فإن نسبة النجاح فى الشهادة الثانوية (ما يعنى الحصول على درجة بين ١١ و ٢٠ على ٢٠) كانت ٧٢٪ عام ١٩٩٩ مما يظهر أن التمكن من اللغة (خاصة فيما يتعلق باختبار تحريرى غير معد سلفًا، انظر ما يلى) مازال جيدًا جدًا .

أليست اللغة العامية لغة التعامل اليومى فقط ؟

التقليل الذاتى من شأن اللغة

بالتأكيد وبالنظر لهذه الأرقام يمكننا أن نعتقد أن اللغة العربية العامية متداولة داخل الأسر فى فرنسا لكننا لا يجب أن ننسى وضعها المتدنى سواء فى المجتمعات الأصلية الموجودة فى بلاد المنشأ أو فى فرنسا، فهى دائمًا ما تعتبر لهجة عامية وليست لغة مكتملة. إننا نعلم أن تداول اللغة داخل الأسرة لا يتم بصورة جيدة إذا كانت اللغة المهيمنة (وهى اللغة الفرنسية فى هذه الحالة) تتمتع بوضع أقوى وأفضل فى نظر اللغة المهيمن عليها. وإذا كانت هذه اللغة تشهد فوق كل ذلك نوعًا من التقليل الذاتى الشديد لقيمتها وهو شىء خفى فى أعماق النفوس فإننا نتعرض هنا للتعامل مع قضية ازدواجية لغوية ذات طابع "طرحى" (١). وفى هذه الحالة ليس من النادر أن تشاهد أطفالا يرفضون الحديث مع آبائهم باللغة المتداولة داخل المنزل .

(١) انظر " فارم" Vermes ١٩٩٧، وهى تقابل بين " الازدواجية اللغوية الإضافية" التى تتحكم فى الجهاز اللغوى للطفل الذى أثبت جدارة فى استخدام لغة أولى تجد قيمتها وسط المحيطين به وداخل المجتمع والتى أضافت شيئًا إلى الريبرتوار الخاص به لغة ثانية تجد أيضًا قيمتها فى المجتمع ، بـ "الازدواجية اللغوية الطرحية" وهى تتجسد فى حالة الأطفال الذين يتحدثون لغة أولى مزدراة اجتماعيا ومدرسيا ثم يتعرضون لاكتساب لغة ثانية تجد وحدها قيمتها الكبيرة فى المجتمع.

بل إننا نشاهد حالات لا يتمكن فيها الشباب من أن يعتبروا أنفسهم مزدوجى اللغة (انظر "مليانى ٢٠٠٠") على الرغم من أنهم متمكنون من اللغة العربية العامية ومن اللغة الفرنسية. فبالنسبة لهم لا تعد لغة المنزل لغة لأنه لم يتم تلقيها فى المدرسة! إن هذا الوضع من المفترض أن يؤدى إلى طرح قضية مهمة وبوضوح ألا وهى التدريس الرسمى للغة العربية العامية فى فرنسا (انظر أدناه) .

تنوع أدبى :

يجب أن نذكر بأن اللغة العربية العامية تتمتع - مثلها مثل جميع اللغات - بتنوع أدبى متطور (مختلف تمامًا عن العربية الفصحى) بتركيبتها القديمة ومفرداتها الفنية، فقد انتقلت بفضل التراث الشفهى إلا أنها مستخدمة أيضًا بشكل واسع فى الإبداع المعاصر .

إن ما نجهله كذلك هو أن اللغة مشتركة بين كل بلاد المغرب حتى إنها أصبحت لغة خاصة ببلاد المغرب العربى . وقد تحدث عنها " ديفيد كوهين" قائلاً :

" أعتقد أنها تجربة متكررة تلك التى تجعل من يحاولون اكتشاف عمق بعض اللهجات يقفون أمام لهجات تتمتع بثراء لغوى ومرونة كبيرة بل ودقة أسلوبية لا تقل عن تلك التى نجدها فى اللغات الأدبية التى تميل عادة للادعاء بأنها أكثر تطورًا. إننا بهذا نتجاهل حقائق مهمة فيما يتعلق بمعرفة الحضارة الإنسانية إلا أن التفسير الدارج لمفهوم "الديجلوسى" diglossie(*) قد ساعد على تجاهل هذا الواقع الذى يبدو لى أساسيا : ألا وهو امتلاك الجماعات المختلفة من الناطقين بالعربية سواء كانوا مسلمين أو يهودًا أو مسيحيين أدبًا مهمًا من شعر ونثر وتأريخات... إلخ تم تأليفها بلغة أدبية

(*) إن كلمة "ديجلوسى" diglossie فى علم اللغويات مقصود بها جماعة من الناس أو الأفراد يتحدثون بلغتين لا تتمتعان بالمستوى الاجتماعى الثقافى نفسه ، كأن يكون لإحداهما مثلاً وضع تتفوق به على الأخرى و فى حالتنا تجسد اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية طرفى النزاع حيث تتميز اللغة الفصحى على العامية بأنها لغة مكتوبة ، لغة أدبية ولغة ثقافية.

خاصة بهم لكنها تغطى مساحات واسعة من الفهم وتقدم ملامح القدم نفسها والشكليات الموجودة فى أى لغة أدبية أخرى فى العالم . إن الديجلوسى الشعبية تجد ترجمتها الحقيقية فى هذه اللغة".(١)

وربما يمكننا عن طريق هذه اللغة الأدبية العامية أن نعيد للعربية المغاربية قيمتها فى فرنسا وذلك ببساطة عن طريق التعريف بالأعمال العظيمة التى تمت كتابتها بهذه اللغة خاصة فى مجالى المسرح والشعر .

النجاح الجماهيرى :

على الرغم من كافة المعوقات يبدو أن العربية العامية لا تتمتع فقط بتداول مستمر ومتزايد بل أصبحت مستخدمة بشكل متزايد فى الإبداع الفنى فى فرنسا. إن ظهورها على الصعيد الثقافى فى المجتمع المدنى يعد شكلاً من أشكال إعادة القيمة لها بصورة لا يستهان بها.

فى الواقع يمكن الإحساس بالفخر اليوم نظراً للاهتمام الإعلامى الذى تحظى به هذه اللغة فى فرنسا بسبب نجاحها الجماهيرى. ربما يتبادر لأذهاننا أولاً نجاحها فى مجال الموسيقى لكنه نجاح تحقق كذلك فى المجال الكوميدى والمجال السينمائى.

إن فنانين أمثال " خالد" و "مامى" و " فضيل" و "رشيد طه " و "زبدة" و"أوركسترا باربيس القومى" و " أمازيغ كاتب " (ابن كاتب ياسين) أصبحوا اليوم جزءًا لا يتجزأ من العالم الموسيقى الفرنسى . ولقد حصلوا على جوائز عديدة منها جوائز الموسيقى لعامى ٢٠٠٠ و ٢٠٠١ وأعطوا صورة إيجابية لشباب يجد صعوبة فى تأكيد هويته.

وفى مجال التمثيل لا يمكننا أن نغفل أسماءً صعدت بسرعة الصاروخ منذ عام ١٩٩٥ مثل " جمال دبوس" و " جاد المالح" و " مهند فلاج" و " إريك" و " رمزى" فضلاً عن الجيل السابق أمثال " إسماعيل " و " ميشيل بوجنة".

(١) انظر " كوهين ١٩٩٤" ، إننى أنا من قمت بوضع سطر تحت هذه الجملة .

وفى مجال السينما يمكننا أن نذكر بعض النجاحات الحديثة المرتبطة بشكل قريب أو بعيد بهؤلاء الشباب مثل أفلام : " الكراهية" و " راى " و " تاكسى" و " جون الشابة" ونرى فى بعض الأفلام تعبيراً عن الطائفة اليهودية القادمة من شمال أفريقيا كأفلام " ألكسندر أركادى" أو " الحقيقة إذا كذبت" الجزأين الأول والثانى.

وأمام هذا التواجد يمكننا أن نأمل فى أن يعترف النظام التعليمى الفرنسى بهذه اللغة إلا أن هذا النجاح لم يجد طريقه بعد .

مكانة اللغة العربية العامية داخل النظام التعليمى الفرنسى :

إن لفرنسا تاريخ طويل فى تدريس اللغة العربية سواء الفصحى أو العامية ويرجع هذا التاريخ إلى القرن السادس عشر الميلادى عند تأسيس" مدرسة المدرسين الملكيين" . وقد تم إدخال اللغة العربية على التعليم الثانوى عام ١٧٠٠ لدى " اليسوعيين" فى إطار المؤسسة التى أصبحت بعد ذلك " مدرسة لويس الأكبر الثانوية" (انظر "دومورتييه"Dumortier) وفى عام ١٧٩٥ أسس بونابرت مدرسة مختصة بتعليم اللغات الشرقية تم تدريس اللغة العربية فيها فى بادئ الأمر مع تواجد للغة العامية (الشرقية فى البداية ثم المغاربية بعد غزو الجزائر).

وعلى الصعيد الجامعى كانت أول وظيفة أستاذ كرسى فى مدرسة اللغات الشرقية هى تلك التى شغلها " أنطوان إسحق سيلفستر دى ساسى (١٧٩٥-١٨٣٨)" -Antoine Isaac Silvestre de Sacy والذى كان يدرس العربية الفصحى و "العربية الدارجة" معاً، كما جاء فى المرسوم الذى قضى بإنشاء هذه المؤسسة (المادة رقم ٢, انظر "لابروس" Labrousse صـ٦٠). وبعد ذلك تم تعيين "دوم رافائيل دى موناسيش"Dom Raphaël de Monachis أستاذاً مساعداً للعربية الدارجة وذلك للغة العربية المصرية (وقد تتلمذ شامبليون على يديه عام ١٨٠٧) فى الفترة من ١٨٠٣ إلى ١٨١٦ . وفى عام ١٨١٩ تم تخصيص كرسى أستاذية للعربية "الدارجة" وقد ظل هذا الاسم مستخدماً حتى عام ١٩١٦ .

أما الوضع الحالى ويشمل كرسى أستاذية لكل من العربية المغاربية والعربية الشرقية فيرجع إلى بداية القرن العشرين (وقد تم تخصيصهما على التوالى عام ١٩١٦ و ١٩٠٩ ، انظر " كولين ١٩٤٨).

ويوفر الإينالكو INALCO اليوم نظامًا متكاملاً فى تدريس اللغة-العربية المغاربية يسمح بالحصول على دبلوم جامعى فى اللغات والحضارات الشرقية DULCO (مدته ثلاث سنوات وهو يعادل دبلوم الدراسات الجامعية العامة DEUG) وعلى ليسانس وماجستير (تم تأسيسهما عامى ١٩٩٣ و ١٩٩٦) فضلاً عن دراسات المرحلة الثالثة الجامعية وهى مرحلة الدكتوراه. إن تاريخ الإينالكو قد ساعد على توفير نظام تعليمى مزدوج فى مجال اللغة العربية الفصحى والعامية. فى الواقع، إذا كانت جامعات أخرى توفر تدريبات على مبادئ اللغة العربية العامية (نادرًا ما تكون مغاربية) إلا أنها لم ترس قواعد تعليم خاص بها .

إن التعليم الثانوى يمثل نقطة الضعف بالنسبة للعربية العامية لأنه لا يتم تدريسها من خلاله ، فاللغة العربية الفصحى هى فى الواقع التى يتم تدريسها بالثانوى.

إن شهادة التبريز ترجع لعام ١٩٠٦ بينما يعود استحداث شهادة كفاءة التعليم الثانوى CAPES إلى عام ١٩٧٦. ومنذ السبعينيات تم فى الواقع رصد تطور كبير فى تدريس اللغة العربية الفصحى التى كانت مقصورة فيما مضى على صفوة قليلة فى أفضل المدارس الثانوية فى فرنسا (٣٧٤ طالبًا فى فرنسا كلها عام ١٩٧٤ داخل ثلاثين منشأة تعليمية). ثم تطور تدريس اللغة العربية الفصحى مع بدء سياسة لم شمل الأسرة وقدوم أسر بأعداد كبيرة من بلاد المغرب العربى. إن هذه الهجرة التى كان يتم النظر اليها على أنها وقتية على اعتبار أن العودة للوطن كان شيئًا واردًا قد صاحبها" تسجيل التلاميذ فى اللغة العربية الفصحى مما سمح بوجود تعليم جديد هو الـ"إيلكو" ELCO (تدريس لغات وثقافات المنشأ قام به معلمون قادمون من بلاد المغرب) داخل المدارس الابتدائية والإعدادية . وكان عدد التلاميذ فى المدرسة الثانوية والمسجلين فى اللغات الحية سواء الأولى أو الثانية أو الثالثة قد زاد بشكل مذهل (ليست لدينا أرقام خاصة بكل لغة إلا منذ عام ١٩٨٢) :

٨٣–٨٢	٨٤–٨٣	٨٥–٨٤	٨٦–٨٥	٨٧–٨٦	٨٨–٨٧	٨٩–٨٨	٩٠–٨٩
٨٠٠٠	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠	١٣٠٠٠	١٤٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠
٩١–٩٠	٩٢–٩١	٩٣–٩٢	٩٤–٩٣	٩٥–٩٤	٩٦–٩٥	٩٧–٩٦	٩٨–٩٧
١٣٠٠٠	١٠٥٠٠	٧٩٢٩	٧٥٠٠	٦٥٥٧	٦٥٠٠	؟	٥٧٠٠
٩٩–٩٨	٢٠٠٠–٩٩		٢٠٠١–٢٠٠٠				
٥٦٤٣	٥٩٩٣		٥٩٩٨				

جدول رقم ٣ : الطلاب الذين اختاروا اللغة العربية الفصحى كلغة حية أولى أو ثانية أو ثالثة (فى المدارس الاعدادية والثانوية) . هذا الجدول قام " دومورينيه" بوضعه حتى عام ١٩٩٤ ثم استكمله "ميداد" المركز القومى للتوثيق التربوى (CNDP – "د كوبيه" .

إن هذا الارتفاع المباشر – مع وجود زيادة غير عادية عام ٨٦/٨٧ ثم عام ٩٠/٩١ أعقبه انخفاض كبير منذ عام ١٩٩٤ بنسبة تتراوح بين ٥٠٪ إلى ٦٠٪ فى الأعداد الفعلية حتى استقرت الأعداد اليوم حول رقم ٦٠٠٠ . ويجب أن نقول إنه خلال هذه الفترة غابت فكرة العودة للوطن تمامًا وأصبح الأطفال الذين نشئوا فى ظل سياسة لم شمل الأسرة مواطنين فرنسيين كاملى الأهلية. وحتى إذا استطعنا أن نقدر حاجة بعضهم لتعلم اللغة العربية الفصحى فإنه يوجد توجه عام أعطى لهؤلاء الشباب هوية خاصة وألزمهم بتعلم اللغة العربية الفصحى إلا أنه أصبح موقوفًا وغير معمول به اليوم بل و تم تخطى الحاجة إليه .

اتجاه جديد : اللغة العربية فى شموليتها :

إن سياسة "التفتيش" العام على اللغة العربية قد تغيرت خلال الأعوام الأخيرة من التدريس الذى يحابى اللغة الفصحى لتختار موقفًا أكثر التباسًا باهتمامها باللغة العربية فقط دون إضافة أية صفة إليها . إن ذلك يراد به الاهتمام بتدريس اللغة العربية "بشموليتها" بما فى ذلك اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية (لقد تم ادخال اختبار اللغة العربية العامية على شهادة التبريز عام ٢٠٠٠) . ولايزال هناك غموض يكتنف ما يتم تدريسه بالفعل .

فى أثناء نقاش دار فى معهد العالم العربى فى الثالث من مايو عام ٢٠٠١ أوضح " برونو ألف " (Bruno half المفتش العام حتى عام ٢٠٠٠) مع ذلك أن ما يتم تدريسه هو اللغة العربية الفصحى وأن اللغة العربية العامية لا يتم استخدامها سوى كشىء مكمل ومعاون . لذا ، فاللغة العربية العامية لا تخضع لنظام تدريس خاص ومحدد فى المرحلة الثانوية .

على المستوى الرسمى يتم تدريس العربية العامية فى المرحلة الابتدائية فى إطار التدريب على تعلم اللغات الأجنبية والذى نودى به عام ١٩٩٥ بفضل " فرانسوا بايرو" François Bayrouالذى كان وزيراً للتعليم آنذاك . وكانت اللغات الست المقترحة هى الإنجليزية والألمانية والإسبانية والبرتغالية والعربية، فيما يتعلق باللغة العربية كانت العربية المغاربية هى التى قد تم اختيارها من قبل التفتيش العام على اللغة العربية وقد تم انتداب ثلاثة معلمين من الثانوى لهذا الهدف إثنان منهما فى مدينة مونبلييه (انظر "سيكار١٩٩٧ و ٢٠٠٠) والثالث فى ضاحية "مونت لاجولى"(انظر كوبيه ١٩٩٩) وفى ظل هذه التجربة كان الأطفال الموجودين بالفصل جميعًا يتابعون هذا التعليم على عكس ما يحدث فى إطار الـ"ايلكو" (ELCOتدريس لغات وثقافات المنشأ) المخصص فقط للأطفال ذوى الأصول العربية. وبلاد المنشأ هى التى تعين المدرسين وتدفع لهم أجورهم (انظر "نيرونوف ١٩٩٦). ولم يكن من الممكن أن تجد هذه الدروس مكانًا لها إذا كانت اللغة العربية فى منافسة مع اللغة الإنجليزية .

نأمل فى أن يسمح الإصلاح الجديد لتعليم اللغات فى المدارس الابتدائية والذى وضع وزير التعليم جاك لانج تصوراً له بمتابعة وتطور تدريس اللغة العربية العامية.

إلغاء الاختبار الاختيارى للغة العربية العامية فى شهادة اتمام الدراسة الثانوية فى فرنسا :

وانطلاقًا من مبدأ تطبيق اللغة العربية "بشموليتها" (انظر ما ذكرناه أعلاه فيما يتعلق بالمرحلة الثانوية) حتى النهاية وصل الأمر إلى إلغاء الاختبار الاختيارى للغة

العربية العامية الذى كان قائمًا فيما سبق ، فقد كان يسمح لمن يتحدثون العربية العامية أو البامباراس فى أفريقيا أو اللغة السواحيلى فى الكاميرون أو لغة البربر أو أية لغة أم أخرى سواء كان يتم تدريسها فى المرحلة الثانوية أم لا أن يحصلوا على درجات إضافية فى شهادة إتمام الدراسة الثانوية. وأصبح هذا القرار بمثابة عقاب على امتلاك قدرة لغوية بما أنه لا يتم اكتسابها داخل النظام التعليمى.

كان هذا الاختبار الشفوى يتم فى الاصل فى صورة محادثة إلا أنه أمام تدفق عدد المتقدمين (خاصة بالنسبة للغة العامية) ونقص عدد الممتحنين تحول هذا الاختبار إلى اختبار تحريرى بدءًا من الموسم الدراسى ١٩٩٥ (انظر الجريدة الرسمية للتعليم العالى الصادرة بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٩٤) وتم تطبيق ذلك على جميع اللغات التى لا يتم تدريسها بالمدرسة . وقد عهد لتنفيذ هذه المهمة إلى الـ"إينالكو" بموجب اتفاقية خاصة.

و أصبحت قائمة اللغات المعنية مقصورة منذ ذلك الحين على ٣٢ لغة تبدأ كالتالى : اللغة الألبانية واللغة الأمهرية واللغة العربية العامية ولغة البامباراس واللغة البربرية....(للاطلاع على القائمة بالكامل انظر الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٩٤) .

إن هذا الاختبار الجديد التحريرى للغة العربية العامية قد شهد نجاحًا متزايدًا إذا ما اعتمدنا فى حكمنا على عدد المتقدمين الذين اجتازوا هذا الاختبار على الرغم من عدم وجود أى تعليم يسمح لهم بالإعداد للاختبار ، إلا أنه بالاعتماد على حروف مزدوجة (عربية ولاتينية) تم توجيه الاتهام لهذا الاختبار بأنه يعمل على خلق انقسام يهدد وحدة اللغة العربية ! إن هذا الاتهام يغفل الواقع اللغوى لفرنسا وهو أن عدد كبير من الشباب يتحدث العربية المغربية والتونسية والجزائرية التى انتقلت إليهم عن طريق أسرهم فى الوقت الذى يجهلون فيه اللغة العربية الفصحى وحروفها وسوف نلاحظ فى الجدول التالى نسبة المتقدمين الذين اختاروا الحروف اللاتينية . بالإضافة إلى ذلك ، يجب أن نذكر بأن العربية العامية ليست لها حروف خاصة بها وأنها على مدى التاريخ تتم كتابتها باستخدام حروف لغة المتعلمين (حروف عربية أو لاتينية أو عبرانية) . إن علماء اللغويات واللهجات يستخدمون فى كتابتها التدوين الصوتى أو الصوتى الكلامى .

السنة / اللغة	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩
اللغة العامية لبلاد العرب	٥٢٢٥ (٦٥,١٪)	٦٩٧٦ (٧٤,٩٪)	٧٥١٧ (٧٤.٩٪)	٨٢٥٣ (٧٧,٧٪)	٩٢٩٦ (٧٥,٤٧٪)
العربية الجزائرية	٢٠٩٧ (٤٠٪)	٢٣٧٤ (٣٤٪)	٢٥٧٠ (٣٤,٢٪)	٢٦٣٨ (٣٢٪)	٢٨٤٨ (٣٠,٦٪)
العربية المغربية	١٩٨٣ (٣٨٪)	٣١٥٧ (٤٥,٢٥٪)	٣٣٨٠ (٤٥٪)	٣٨٦٦ (٤٦,٨٪)	٤٢٣١ (٤٥,٦٪)
العربية التونسية	١٠٤٥ (٢٠٪)	١٤٤٨ (٢٠,٧٥٪)	١٥٦٧ (٢٠,٨٪)	١٧٤٩ (٢١,٢٪)	٢١٢٧ (٢٢,٨٪)
الحروف العربية	٢٠٥٨ (٤٠,١٪)	٢٤٦٥ (٣٥,٣٪)	٢٥٢٧ (٣٣,٦٪)	٢٥١٠ (٣٠,٤٪)	٢١٧١ (٢٥,٥٪)
الحروف اللاتينية	٣٠٧١ (٥٩,٩٪)	٤٥١١ (٦٤,٧٪)	٤٩٩٠ (٦٦,٤٪)	٥٧٤٣ (٦٩,٦٪)	٦٣٤٨ (٧٤,٥٪)
إجمالى ٢٩ لغة	٧٩٥٨	٩٣١٢	١٠٠٣٥	١٠٦٢٤	١٢٣١٧
اللغة البربرية	١٤٤٨ (١٨,٢٪)	١١٤٣ (١٢,٣٪)	١٢٧٧ (١٢,٧٪)	١٠٨٣ (١٠,٢٪)	١٧٥٠ (١٤,٢٪)
العربية الشرقية	١٥٥ (٢٪)	١٧٢ (١,٨٪)	٢١٦ (٢,١٪)	٢٣٠ (٢,١٪)	٢٢٥ (١,٨٪)
٢٧ لغة أخرى	١١٧٣ (١٤,٧٪)	١٠٣٠ (١١٪)	١٠٢٥ (١٠,٢٪)	١٠٥٨ (٩,٩٪)	١٠٤٦ (٨,٤٩٪)

الجدول رقم ٤ : عدد أوراق الإجابة التى تم تصحيحها- "د.كوبيه".

فى الواقع بالنظر إلى الـ ١٥٠٠ تلميذ الذين يتابعون دروس اللغة العربية الفصحى فى السنة النهائية فإن رقم ٩٢٩٦ ورقة إجابة للغة العربية يعتبر رقماً مذهلاً. إن هذا الرقم يمكن أن يدفع بالقائمين على التفتيش على اللغة العربية إلى توقع وجود متقدمين قادرين على تعلم اللغة العربية الفصحى فى المرحلة الثانوية حيث تنخفض الأعداد فى هذه المرحلة . (انظر الجدول رقم ٣) .

ومن هذا المنظور فإن التغير قد حدث تدريجيا بإلغاء العربية العامية من قائمة اللغات الاختيارية الممكنة فى إطار هذا الاختبار وكانت الحجة فى ذلك هو أن هذه اللغة قد تم تدريسها ! إلا أننا رأينا أن الوضع ليس كذلك على الإطلاق وأنه على أفضل الأحوال يستثمر بعض المعلمين معرفة طلابهم باللغة العامية لتسهيل تعليم العربية الفصحى : والفارق كبير...

إن اختبار اللغة العربية العامية قد حل محله إذن اختبار اللغة العربية (دون إضافة أية صفة) ، وهكذا دخلت اللغة العربية فى نطاق اختبارات اللغات التى يتم تدريسها : فيعتمد الشفهى على ثمانية نصوص من المفترض نظريا أنه قد تم الإعداد لها فى الفصول فى الوقت الذى تكون فيه الغالبية العظمى من المرشحين لم تتعلم أبداً العربية الفصحى فى مدارسها الثانوية. فضلاً عن ذلك ، فقد تم اشتراط (الجريدة الرسمية لوزارة التعليم بتاريخ ١ فبراير ٢٠٠١) استخدام الحروف العربية فى كتابة هذه النصوص فى حين أن الأرقام الخاصة باختبار العربية العامية (١٩٩٥ - ١٩٩٩) تشير إلى أن المتقدمين غير قادرين على قراءتها (انظر الجدول رقم ٤)

لقد تم قلب الأوضاع ، فقد تقرر ضرورة أن يكون المتقدمون قادرين على قراءة الحروف العربية دون أن يكونوا قد تعلموها . إن هذا القرار يتطلب أيضًا أن تكون العربية الفصحى والعربية العامية لغة واحدة وذلك على عكس كل التقاليد التربوية الفرنسية السابقة وهم يعتمدون فى ذلك على ما يتم فى بعض البلاد العربية . إن هذا القرار يخالف أيضًا توقيع فرنسا فى ٧ مايو ١٩٩٩ على الميثاق الأوروبى الخاص باللغات الإقليمية ولغات الأقليات والذى يجعل من اللغة العربية العامية احدى اللغات الموجودة فى فرنسا بجانب لغة البربر ولغات ثلاثة أخرى ليست لها أراض أو بلاد بعينها . (انظر تقرير كيركيجلينى) .

فضلاً عن ذلك فمن اللغة إلى الهوية نقوم بهذه الطريقة بإرغام الشباب الفرنسى ذى الأصل المغاربى والذى يرغب فقط فى اجتياز اختبار يقيم قدراته المكتسبة داخل الأسرة –على تقبل هوية عربية وحيدة وأسطورية تماماً .

بذلك يمكننا أن نفهم انجذاب بعض الشباب الناطق بالعربية إلى دراسة اللغة العربية الفصحى فى الوقت الذى لا يمكن أن نقول بانه من الضرورى أن نحكم على اختيارهم بتعلمها أنهم يريدون " إعادة الكرامة إلى اللغة العربية". وهل لا ترقى العربية العامية والثقافة المنقولة عن طريق الأسرة فى فرنسا إلى هذه المهمة؟"

REFERENCES

- CAUBET Dominique: (1997) - "L'épreuve d'arabe dialectal au Baccalauréat: passage à l'écrit – اختبار اللغة العربية العامية فى شهادة اتمام الدراسة الثانوية الإنتقال إلى التحريرى– Bilan comparatif des sessions 1996 et 1995", In Enseignement des langues d'origine et immigration nord-africaine en Europe: Langue maternelle ou langue d'Etat?, sous la direction de Mohamed Tilmatine, document pédagogique Erasmus, INALCO/CEDREA-CRB, pp. 163-172, 1997.
- (1998) - "Alternance des codes au Maghreb: pourquoi le français est-il arabisé?", تناوب القواعد اللغوية فى بلاد المغرب: لماذا يتم تعريب اللغة الفرنسية؟ In Plurilinguismes n?14, Alternance des Langues et Apprentissage en contextes plurilingues, CERPL, Université René Descartes, Paris, pp. 121-142, 1998.
- - "Arabe maghrébin: passage à l'écrit et institutions", العربية المغاربية: التحول إلى التحريرى ومؤسسات In Faits de Langue: n. 13? "Parole orale / Parole écrite: Formes et Théories", pp. 235-244, 1999.
- "L'épreuve facultative d'"arabe dialectal" au baccalauréat الاختبار الاختيارى للعربية العامية فى شهادة إتمام الدراسة الثانوية١٩٩٥: passage à l'écrit" + dèbat, in L'Arabisant 34, pp. 53-67.
- "L'arabe maghrébin existe-t-il?" هل اللغة العربية المغاربية لها وجود؟ in 2000 ans d'Algérie n?3, Carnets Séguier, pp. 173-194.
- "Maghrebine Arabic in France", اللغة العربية المغاربية فى فرنسا in Extra,G. & D.Gorter (eds.), The other languages of Europe: Demographic, sociolinguistic, and educational perspectives, Clevedon, Multilingual Matters, pp. 261-277.

- CHAKER Salem: (1997) - "La langue berbère en France, situation actuelle et perspectives de développement",اللغة البربرية فى فرنسا الوضع الحالى وآفاق التنميةIn Enseignement des langues d'origine et immigration nord-africaine en Europe: Langue maternelle ou langue d'Etat ?, sous la direction de Mohamed Tilmatine, document pédagogique Erasmus,INALCO/CEDREA-CRB, pp. 15-30.
- COHEN David: (1994) "Préface", التقديمin Actes des premieres journées internationales de dialectologie de Paris, Dominique Caubet et Martine Vanhove eds., INALCO.
- COLIN Georges S. (1948) - "L'arabe vulgaire à l'Ecole Nationale des Langues orientales Vivantes",اللغة العربية الدارجة فى المدرسة القومية للغات الشرقية الحية, in Cent-Cinquante de l'Ecole des Langues Orientales, Paris, imprimerie Nationale, pp. 95-112.
- DUMORTIER Brigitte: "l'arabe dans l'enseignement secondaire français: éléments pour une approche géographique",اللغة العربية فى التعليم الثانوى الفرنسى: عناصر لتناول جغرافى للقضيةin L'école et les discontinuités territoriales, Ifrési, L.G.H, Lille 1.
- LABROUSSE Pierre éd.: (1995) Deux siècles d'histoire de l'Ecole de Langues Orientales, قرنان فى تاريخ مدرسة اللغات الشرقية Edition Hervas.
- MELLIANI Fabienne: (1999a) Immigrés ici Immigrés là-bas.مهاجرون هنا ومهاجرون هناك : السلوك اللغوى والإجراءات المتعلقة بالهوية: وضع شباب أبناء المهاجرين المغاربة فى ضواحى مدينة روانComportements langagiers et processus identitaires: les cas des jeunes issus de l'immigration maghrébine en banlieue rouennaise, unpublished Thèse de doctorat, Université de Rouen.
- (1999 b) - "Le métissage langagier comme lieu d'affirmation identitaire", التهجين اللغوى وسيلة لتأكيد الهويةin LIDIL n? 19, numéro coordonné par J.Billiez, pp. 59-77.
- (2000)- La langue du quartier, Appropriation de l'espace et identités urbaines chez les jeunes issus de l'immigration maghrébine en banlieue rouennaise,لغة

الحي والانتساب إلى المكان وهويات عمرانية لدى شباب المهاجرين المغاربة في اضواحي مدينة روانL'Harmattan.

- NEYRENEUF Michel: (1997) - "Négociation franco-marocaine pour l'enseignement de langues et cultures d'origine (ELCO)"المفاوضات الفرنسية– المغربية من أجل تدريس لغات وثقافات المنشأ, in Enseignement des langues d'origine et immigration nordafricaine en Europe: Langue maternelle ou langue d'Etat?, sous la direction de Mohamed Tilmatine, document pédagogique Erasmus, INALCO/CEDREA-CRB, pp. 65-68.
- (2000)"L'enseignement des langues et cultures d'origine"تدريس لغات وثقافات المنشأ (ELCO)" + dèbat, in L'Arabisant 34, pp. 11-17.
- SICARD, Frédérique. (1997) Enseignement de l'arabe en classeتدريس اللغة العربية في السنة الرابعة الابتدائية de CM Ecole de Salamanque - La Paillade/ Montpellier - Janvier 1996/Juin 1997 + 1997-1998 - Compte-rendu d'expérience (non publié).
- (2000) "L'enseignement de l'arabe marocain à l'école élémentaire",تدريس اللغة العربية المغربية في المدرسة الابتدائيةCommunication aux journées d'études de l'AFDA, mai 2000.
- VERMES, Geneviève (1997) "Bilinguismes: la situation française ",الازدواجية اللغوية : وضع اللغة الفرنسيةin CEFI brèves, 3ème trimestre Académie de Créteil, 96-97.
- Rapports au Premier ministre, Lionel Jospinتقارير لرئيس الوزراء ليونيل جوسبانRapport 'Poignant': Langues et cultures règionales, La Documentation française, 1er Juillet 1998; Rapport 'Carcassonne': Etude sur la compatibilité entre la Charte européenne des langues régionales ou minoritaires et la Constitution, La Documentation française, 8 Septembre 1998.
- Rapport aux ministres de l'Education nationale et de la Cultureتقرير لوزيري التعليم والثقافةrapport 'Cerquiglini': Les langues de la France, Avril 1999.

تدريس اللغة العربية فى فرنسا

بقلم : برونو لوفالوا

Bruno Levallois

مفتش عام بوزارة التعليم

يرجع تدريس اللغة العربية فى فرنسا إلى تاريخ قديم وبراق يندرج فى إطار الرؤية الإنسانية للجامعة. لقد شهد تدريس اللغة العربية فى فرنسا دفعة جديدة فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وقد تطور وضع هذا التعليم فى المرحلة الثانوية عقب التوسع الاستعمارى وتبعه فى انحساره (لقد أسس لويس ماسينيون شهادة التبريز عام ١٩٠٥). منذ عام ١٩٧٤- تاريخ بدء عمل "برونو ألف" بالتفتيش العام بوزارة التعليم- شهد تدريس اللغة العربية فى المرحلة الثانوية تغييراً شاملاً :-

- تغيير كمى : تغير عدد الطلاب من ٣٧٣ طالبًا موزعين على عدد قليل من المنشآت التعليمية إلى ٦٨١٤ طالبًا اليوم (غير الأعداد الوفيرة فى الـ CNED) موزعين على ٢٢٩ مدرسة إعدادية وثانوية يقوم بالتدريس لهم فيها ١٧٣ معلمًا حاصلين فى معظمهم على شهادة التبريز أو على شهادة كفاءة التعليم الثانوى CAPES(انظر فيما يلى الملحق فى نهاية الفصل).
- تغيير كيفى : بعد أن كان المعلمون يتلقون تدريبًا فى مدرسة استشراق بارزة رغم عدم مواكبتها للعصر وبعد الأسلوب التربوى التقليدى والبالى ، أصبحت الآن توجد هيئة تدريس تواكب التقدم الذى حدث فى طرق تدريس اللغات التى تواكب بدورها تطورات النظام التعليمى عن طريق تطبيق أسلوب تربوى مبدع (بما فى ذلك استخدام التقنيات الحديثة).

لقد صاحب هذا التغيير وعضده تغيير آخر حدث أيضًا فى الجامعة وفى قطاعات البحث العلمى. ومع ذلك، لا يزال هذا التقدم هشًا للغاية فى المرحلة الثانوية حيث توجد عقبات عديدة تعوق التطور الطبيعى المنتظر من هذا التعليم خاصة فى ظل التحديات والرهانات والاحتياجات التى تواجهها البلاد.

إن تدريس اللغة العربية عامل هام للاندماج داخل المدرسة وداخل المجتمع. سيجد الأطفال أبناء المهاجرين أماكن أكثر داخل المؤسسات المدرسية إذا ما قامت بتوفير علم له علاقة بهويتهم الأصلية وقائم على حضارة عظيمة تتعرض من جهة أخرى لمحاولات عديدة لتقليص أهميتها وتشويهها وتحويل اتجاهاتها، فتقوم هذه المؤسسات التعليمية بتوجيه خطاب جديد عن هذه الحضارة، خطاب واع ومستنير يلبى المتطلبات الفكرية المشتركة. إن الكفاءة الفطرية التى يتمتع بها هؤلاء الطلاب تمثل مؤهلاً جماعيا عالى القيمة وسيمثل إغفال دوره فى التطور ضياعًا لقيمته ولدوره فى التنمية. ويتوازى مع هذا المطلب الذى طالما أهملته هذه المؤسسات نفسها والذى يستلزم اهتمامًا كبيرًا مطلب آخر يعبر عنه الطلاب والأسر التى لا علاقة لها بالهجرة. إن درس اللغة العربية أصبح إذن المكان المفضل لاكتشاف الآخر ولتجاوز القوالب الموضوعة. علاوة على أن تدريس اللغة العربية يتطابق فى هذه النقطة أيضًا مع المهمة الإنسانية للمدرسة.

إن الاحتياجات الاقتصادية بل والمهنية بشكل عام واضحة وبديهية. ودعونا فقط نذكر بأن اللغة العربية هى لغة ٢٢ دولة تشكل مجموعة جغرافية إستراتيجية منسجمة تتمتع بديناميكية كبيرة وتضم حوالى ٢٣٠ مليون نسمة. ووفقًا للمعهد القومى للتطور الديموجرافى (INED) فإن عدد سكان مجموعة البلاد العربية هذه سوف يفوق عام ٢٠٠٥ عدد سكان المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مجتمعة وأن هذا العدد سوف يصل عام ٢٠٣٠ إلى نصف مليار نسمة. إن تطوير تعليم اللغة العربية فى القطاعات المتخصصة شىء عاجل (لقد تم فتح قسم الآداب العربية فى مسابقة مدرسى الثانوى داخل المدارس الثانوية المهنية عام ١٩٩٩) وكذلك فى القطاعات التكنولوجية (بما فيها إجازة التعليم الفنى العالى BTS) حيث إن تدريس اللغة العربية ليس له وجود فيها ومن الممكن أن يحدث ذلك إذا ما تم إعطاء قيمة للكفاءة فى مجال اللغة العامية سواء كانت نشطة أو كامنة لدى الطلاب ذوى الأصول العربية.

إن تعليم اللغة العربية فى إطار برنامج الـ"إيلكو" ELCO (تدريس لغات وثقافات المنشأ) الذى يتم تطبيقه وفقًا لاتفاقيات موقعه مع بلاد المغرب الثلاثة والذى يمس حاليًا حوالى ٥٠ ألف تلميذ ينتمى معظمهم للمرحلة الأولى - يستدعى أن نعيره انتباهنا بشدة، إذ يتعين ألا يدخل هذا النظام فى منافسة مع التعليم الذى نوفره وحين يمثل خيارًا تكميليا عندئذ تقع على عاتقنا مهمة دمجه بشكل جيد داخل المدرسة. (انظر حول هذه القضايا تقرير "بيرك" بعنوان " الهجرة فى مدرسة الجمهورية، إصدار التوثيق الفرنسى، ١٩٨٥).

إن هذا التعليم يمثل رهانًا مميزًا لسياسة التعاون الثقافى مع البلاد العربية خاصة من خلال الشبكة القوية للمنشآت الفرنسية فى تلك البلاد. إن أخذ اللغة فى الاعتبار فى ظل هذا الإطار يكيف سياسة تطوير الفرانكفونية بشكل كبير . لها الأقسام الفرنسية- المغربية والفرنسية- التونسية وإنشاء أولى الأقسام العربية- الفرنسية فى فرنسا فى أكاديميات باريس وجرونوبل تحظى باهتمام كبير من جانب سلطات البلاد الشريكة .

وأخيرًا فهناك رهانات علمية . لقد استعادت فرنسا دورها الرائد فى العديد من مجالات الدراسات العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى مع وجود تقدم واضح وملحوظ خاصة فى علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم اللغويات. توجد العديد من الأقسام العربية النشطة فى الجامعات الفرنسية الأساسية فضلاً عن أن المراكز الفرنسية للدراسات العربية للبحوث فى العواصم العربية الكبرى تتمتع بإشعاع وتألق هائل. إن هذا الوضع الجيد يغبطنا عليه شركاؤنا الأوروبيون ويؤكد لنا ثقة واحترام شركائنا العرب .

إن تدريس اللغة العربية فى المرحلة الثانوية يعيش منذ عام ١٩٧٥ تطورًا سريعًا وقد احتل موقعًا فى مجال تطوير طرق التدريس . وسوف نذكر فيما يلى نقطتين أساسيتين :

- يتم تناول نظام الحروف بخاصيته المميزة التى تجعل منه نظامًا قابلاً للتكييف ونظامًا متقدمًا فهو نظام صوتى قائم بشكل أساسى على الحروف الساكنة بما

فيها السكون ذاتة وحركات التشكيل أو الحروف المتحركة فيما يتعلق باللغة العربية الفصحى التى يمكن التكهن بها مسبقًا وبذلك لا يستلزم الأمر تدوينها دون أن يكون هناك مساس بالمعنى . إذن فهذا النظام يجعل اللغة مفهومة حتى إذا لم يتم التوقف عند هذه الأنظمة الخاصة بالحروف وهذا هو المتبع الآن فى الإنتاج الأدبى المعاصر بما فى ذلك الصحافة. توجد علاقة حميمة بين نظام الحروف والنظام اللغوى حيث إنه قائم على قوالب ثابتة تصبح فعالة إذا ما تم استخدامها، فهى تضمن تحقيق تعلم سريع .

– المشكلات الحساسة الخاصة بالتنوع اللغوى داخل لغة تتميز بوضع يعد مثالاً للتعددية اللغوية : فمن جهة نجد لغة التعامل المتداولة فى الكتابة وهى إذن خاصة بالتداول الرسمى و الإدارى والإعلامى والعلمى والفنى والأدبى، ومن ناحية أخرى نجد لغة التعاملات الشفهية المتنوعة وهى مقصورة على التعامل العفوى (انظر خاصة "التعددية اللغوية للغة العربية" لـ"ج.ديشى فى " J.Dichy جريدة الدراسات الشرقية" العدد ٦٦، ١٩٩٤ ، المعهد الفرنسى للدراسات العربية فى دمشق). لطالما تم وصف هذا الوضع بأنه إعاقة وعلامة على عدم القدرة على التطور بشكل طبيعى وبأنه نوع من أنواع التدهور إلا أنه على العكس من ذلك يعتبر علامة للغة عظيمة ولحضارة عريقة، فهذه التعددية تشكل ثراءًا استثنائيا. إن الجالية العلمية المستعربة شبه مجتمعة على اعتبار هذه اللغة كلاً مركبًا يشتمل على تعدديات شفهية ومكتوبة وتلبى احتياجات اجتماعية عديدة سواء علمية أو شعبية لتشهد بذلك تطوراً تاريخيا قديمًا على مساحة جغرافية ممتدة. تملك المجتمعات العربية وعيًا شديداً بانتمائها إلى مجتمع لغوى متجانس رغم تعدده وترتبط هذه المجتمعات بشدة بأصالة لغتها التى تعرضت إبان الفترة الاستعمارية لمحاولات لتفكيكها. ويتم الاتصال والتفاهم بين هذه المجتمعات بشكل فعال وملحوظ. وذلك هو الوضع نفسه داخل الجاليات العربية التى هاجرت إلى أوروبا حيث إنها تحتفظ بعلاقات حميمة مع بلادها الأصلية ومع لغتها الأصلية خاصة فيما يتعلق بالجرائد والإذاعة ، بل إن بعضها يتم بثه من باريس مثل إذاعة الشرق ومثل القنوات الفضائية العديدة، كما توجد اليوم

العديد من المواقع العربية على شبكة المعلومات الدولية . إن وسائل الإعلام هذه تقدم مجتمعة أنواع متنوعة من اللغة العربية الشفهية والمكتوبة تعبر عن مجمل العالم العربى مع وجود تطور واضح نحو استخدام لغة عربية " وسطى" . إن الإدعاء بأن اللغة العربية التى تستخدمها هذه الجاليات وحدة مستقلة شفهية أو عامية تكونت بعيداً عن العالم العربى سيكون خطأ يتنافى مع الحقيقة وسيهدد شباب المهاجرين بالانغلاق داخل جالية متخيلة ووهمية منغلقة على ذاتها .

إن تطورات هذه المجتمعات فى الفترة المعاصرة خاصة فيما يخص الالتحاق المتزايد بالتعليم وسطوة الإعلام وإنشاء عواصم عمرانية كبيرة والهجرة داخل العالم العربى – كل هذه التطورات ساعدت على الإسراع فى إحداث حركة تجانس لغوى. ولنذكر بهذا الصدد " ديفيد كوهين" أحد الوجوه المشرقة فى مجال اللغات السامية فى فرنسا وهو أستاذ فخرى لعلم اللهجات المقارنة بجامعة باريس ٣ : " يعى الجميع التغيرات الكبيرة التى تحدث فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الثانية . ونتيجة ذلك أننا وجدنا أنفسنا فى حالة تغيرات لغوية كبرى . إن التغيرات فى العالم العربى هى أولاً تغيرات داخلية . فتونس العاصمة قد تغير تعداد سكانها من ٤١٠ ألف نسمة عام ١٩٢٦ إلى ١,٦ مليون حاليًا . [000] ونضيف إلى ذلك أهمية السياسة التى يتبعها حاليًا العالم العربى حيث انتشر تعميم التعليم فى جزء كبير من العالم العربى واكتسب الإعلام أهمية كبرى. يبدو لى العالم العربى وكأنه مختبر. ومن منظور معايشة اللغات فإن ذلك لا يطلعنا على الكثير عما يحدث فى لغة الكلام لكن ذلك يطلعنا على الطريقة التى تعيش بها اللغات . إن العواصم العمرانية أماكن تجمعات لغوية سواء كانت هذه اللغة الخاصة شفهية أو مكتوبة أو نصف مكتوبة . ومع وسائل الإعلام الجديدة أصبح من غير الممكن مقابلة اللغة الشفهية باللغة المكتوبة (*). إن هذه الحركة اللغوية السريعة لها فائدة هائلة لعلم اللغويات العام هذا إذا ما استطعنا أن نملك رؤية أكثر وضوحًا،

(*) يوجد خط تحت هذه الجملة فى النص الأصلى .

ذلك لأن ظواهر التطور التى يتم ملاحظتها على هذا العلم ليست فريدة". ("رغبة اللغة"، العدد الخامس، حديث مع " ج أيوب ولنتذكر كذلك لـ"د.كوهين" المقال المرجعى المهم فى الموسوعة العالمية الخاص " باللغة العربية").

إن الفارق الذى نضعه بين العربية العامية والعربية الفصحى- رغم أنه مناسب للتحليل فإنه قاصر رغم كل شىء ولا يعبر بشكل جيد عن هذا الوضع المستمر والشامل. إلا أن هذا الفارق يسمح مع ذلك بالتمييز بين التنوعات الأدبية والإدارية والإعلامية والعلمية خاصة المكتوبة وبين التنوعات الكثيرة الخاصة بلغة الاتصال الشفهى. وإذا كان هذا التعدد اللغوى يتميز بالوضوح فى ظل اللغة العربية إلا أنه لا يتمتع بالتفرد، بل على الأرجح أن ذلك شىء تتسم به كل لغات العالم ولا يمكن فهمه إلا مقترنًا بمفهوم أساسى هو الاستمرارية اللغوية. إن هذا التمييز لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يؤدى إلى اعتبار أن قطبى التعدد هذين يشكلان لغات مميزة ومستقلة. فأينما تستخدم هذه اللغة توجد حقيقة تربط بين عناصرها وتركيباتها بشكل لا يمكن فصله. إن مفهوم اللغة العربية " الوسطى" يسمح بالتعبير عن الظواهر المتحركة الخاصة بالتداخل المتبادل. ولنلحظ أن هذا الوضع القديم جدًا يعتمد على نظام داخلى غاية فى الثبات والاستقرار (كما هو الحال لكل اللغات السامية) وله قدرة كبيرة على التكيف. ويسمح هذا الوضع لمجموع البلاد العربية أن تتواصل فيما بينها بشكل فعال فى إطار ما يسمى باللغة " الموحدة " Standard وذلك يسمح بالتالى بالتعبير عن الحياة بكل أشكالها واستخداماتها اليومية والمحلية .

إن الاختيار الذى قامت به المدارس يقوم على أساس أخذ قطبى هذه اللغة فى الاعتبار دون تفرقة بينهما ، ومع الاهتمام بروابطها الحيوية ودون أن يكون ذلك لصالح إحداهما على حساب الأخرى، إلا أن هذا الخيار صعب رغم فائدته لأنه أكثر توافقًا مع الواقع اللغوى. ولقد ظهر هذا الاختيار بوضوح فى المناهج والتعليمات الرسمية فتم وضع هذا التخصص على رأس طرق تدريس اللغات فى فرنسا. وقد تمت ترجمة ذلك إلى مسابقة للتعيين تجسدت فى " شهادة الكفاءة للتدريس الثانوى " CAPES فى اللغة العربية وهى تشتمل منذ بدايتها على اختبار لغة عربية عامية وفى شهادة التبريز التى بدأت منذ سنة ٢٠٠٠ فى وضع اختبار شفوى. وبشكل مستقل عن هذه الاختبارات

المحددة فإن شهادتى الـ CAPES والتبريز تشتملان منذ بداياتهما على سؤال عام يتعلق بعمل أدبى أو فنى باللهجة العامية (مسرحية أو فيلم سينمائى أو شعر شفهى ...) وعلى / أو على سؤال فى علم اللهجات. إن أقسام الدراسات العربية فى الجامعات الرئيسية توفر ضمن مناهج اللغة العربية تعليماً خاصاً بهذا المجال .

إلا أن هذا الاختيار لا يرضى من ناحية بعض المتعصبين المتمسكين باللغة العربية الفصحى بشكلها التقليدى كما أنه لا يرضى من ناحية أخرى المؤيدين للغة عامية واحدة والذين يحنون إلى الفترة الاستعمارية (إن التعديل الحديث للاختبار الاختيارى للغة العربية فى شهادة إتمام المرحلة الثانوية والذى وضع نهاية لوضع شاذ كان فرصة لإظهار مواقف عديدة بليغة بهذا الشأن). إن اللغة العربية لغة دولية عظيمة يتم تداولها على مستوى العالم ومستقبلها غير محدد فى فرنسا ولا فى أوروبا. إن وزارة التعليم لديها فرصة التعامل مع هذه اللغة ومع الثقافات التى تنقلها بفضل وضع هيكل تعليمى كامل ولامع وثرى، فالوزارة تملك أدوات سياسة تربية فكرية طموحة فى هذا المجال كما فى مجالات أخرى .

ملحق

بعض المعلومات بالأرقام

تعليم ثانوى . مدارس حكومية . فرنسا

٢٠٠٠ - ٢٠٠١

١٧٣ معلمًا قائما بالعمل منهم ١٠٣ أستاذ و ٣٧ مبرزًا . ٢٢٩ مدرسة منها ٩٩ مدرسة إعدادية و ١١٨ مدرسة ثانوية عامة وفنية و ١٢ مدرسة ثانوية مهنية. ٦٨١٤ تلميذًا (ارتفاع بنسبة ٤ ٪ عن العام السابق) منهم ٨٣٧ يدرسون لغة حية أولى و ٣٢٤٠٠لغة حية ثانية و ١٩٦٢ لغة حية ثالثة و ٢١٣٠ فى المدارس الإعدادية و٤٥٢٢ فى المدارس الثانوية العامة والفنية (منهم ٧٦١ فى أقسام ما بعد الثانوية) و١٦٢ فى الثانوية المهنية .

١٢ مكانًا متاحًا للحصول على شهادة التبريز و ١٤ بـ" شهادة الكفاءة للتدريس الثانوى" CAPES و ٦ لشهادة التأهيل للتدريس الثانوى المهنى PLP 2 (بالإضافة إلى المسابقات الداخلية المناظرة).

تدريس اللغة العربية اليوم فى فرنسا

بقلم : كاترين أسلانيداس Catherine Aslanidis

مدرسة لغة عربية بالمرحلة الإعدادية أجرى الحوار معها " مونيك بونتو"

المجلس الأعلى للفرانكفونية HCF

من أين جاء اختياركم لتعلم اللغة العربية ثم لتدريسها ؟

لم أستطع أبدا الإجابة عن هذا السؤال، حيث توجد بالتأكيد دوافع عديدة لكن يمكننى أن ألخصها بالقول بأننى كنت أريد دراسة شيئًا مختلفًا وأصيلاً وبعيداً عن الجو الذى يحيط بى. إلا أننى باتجاهى نحو هذا العالم المجهول الذى كان يتمثل فى العالم العربى أدركت فى النهاية أننى ذهبت للقاء عالم قريب جداً منى. بدءًا ذى بدء لم يكن هناك ما يحتم على أن أختار الاتجاه نحو الدراسات العربية إلا أننى تأثرت بشكل أو بآخر بتجربة شخصية حيث اكتشفت أن جدى- وكان من أصل يونانى- كان قد تعلم اللغة العربية فى آسيا الصغرى فى بدايات القرن العشرين، فظننت حينئذ أننى أستطيع أن أبرهن على تأصل ذلك فى العائلة إلا أن ذلك لم يكن بالضبط الوضع الحقيقى.

على أية حال دائمًا ما تؤثر العاطفة على اختيار الشخص للغة ما حيث يحدث شىء يشبه الوقوع فى الغرام .

كيف يصبح الشخص مدرساً للغة العربية فى فرنسا ؟

يبدأ الشخص فى الالتحاق بنظام تعليمى جامعى خاص بهذا المجال كما يحدث بالنسبة للتخصصات الأخرى الموجودة فى وزارة التعليم ثم يتم الإعداد للحصول على

شهادة كفاءة التعليم الثانوى CAPES ثم على شهادة كفاءة التعليم الفنى CAPET ثم على شهادة التبريز. وعن نفسى، فقد بدأت السنة التمهيدية فى باريس حيث تابعت الدروس التى يقدمها معهد اللغات الشرقية وجاءت الدورات التدريبية فى مجال علم اللغويات لتكمل هذا الإعداد . فقد كانت أول دورة تدريبية لى فى تونس العاصمة ثم تلتها دورة أخرى بعدها بعدة أشهر فى القاهرة. وبعد ذلك ذهبت إلى الكويت قبل أن أعود مرة أخرى لتونس العاصمة . وهذه الدورات كانت مقترحه من قبل الحكومات الفرنسية والتونسية والكويتية.

وهل وجدت اللغة العربية هى نفسها فى تونس كالقاهرة والكويت ؟

نعم ولا. فإنها هى نفسها إذا ما اعتبرنا اللغة العربية لغة واحدة لكن مع بعض الاختلافات وليست نفسها إذا ما أصغينا إلى اللهجات المختلفة المستخدمة فى شوارع تونس العاصمة والدار البيضاء والقاهرة. فى معهد اللغات الشرقية Langues'o تعلمت اللغة العربية الفصحى إلا أن الدورات التدريبية التى تلقيتها فى العالم العربى سمحت لى بالانغماس اللغوى الإضافى وخلال إقامتى الثانية فى مدينة تونس قمت بمتابعة دروس فى اللهجة التونسية فى أحد المعاهد الخاصة وكنت أقوم بذلك بشكل مواز لدراستى للغة العربية الفصحى بالجامعة .

وكيف قمت بعد ذلك بممارسة مهنتك ؟

بعد أن انتهيت من دراساتى تم تعيينى فى مدرسة إعدادية فى منطقة تجمع عمرانى بمدينة ستراسبورج بمنطقة تعليم أولوى ZEP[1] كان ذلك منذ ثمانى سنوات ومازلت أعمل هناك حيث أقوم بتدريس اللغة العربية المسماة بـ"الوسطى" أو "الموحدة"

(١) منطقة تعليم أولىّ .

وهى فى الواقع ليست اللغة الأم لأحد لكنها لغة تعامل داخل المنطقة العربية. إنها اللغة التى تستخدمها وسائل الإعلام وهى الغالبة سواء فى المغرب أو العراق مروراً بمصر . ومع الجهود المبذلة فى مجال إنشاء المدارس أصبحت هذه اللغة مفهومة لدى عدد متزايد من الأشخاص. بالطبع ، يحاول كل مدرس أن يأخذ فى اعتباره عند تدريسه اللغة العامية التى يمكن أن يستخدمها بعض التلاميذ.

أقوم بالتدريس بدءاً من السنة السادسة (١) بواقع ثلاثة ساعات أسبوعيًا لكل فصل وذلك لتلاميذ اختاروا اللغة العربية كلغة أولى. حتى العام الماضى كان يوجد قسم ثلاثى اللغة مخصص للتلاميذ الذين اختاروا دراسة لغتين أجنبيتين بدءاً من السنة الأولى الإعدادية إلا أنه تم إلغاء هذا القسم ولم يعد موجوداً سوى فصل للغة العربية وفقًا للمستوى. ولم تكف الأعداد الفعلية عن الانخفاض. كنت أجد فى البداية فصولاً بها عشرون تلميذاً لكنها اليوم لا تتعدى ثمانية تلاميذ. إن اختيار اللغة العربية كلغة أولى فى فرنسا يعانى من تدهور فى الوقت الذى يتزايد فيه كلغة ثانية أو كلغة اختيارية تتم دراستها بدءاً من السنة الثالثة الإعدادية .

من هؤلاء التلاميذ الذين يختارون تعلم اللغة العربية إذن ؟

كان تلاميذ الفصل ثلاثى اللغة من التلاميذ الذين يمكن أن نطلق عليهم أنهم تلاميذ متفوقون حيث كانت الأقسام ثلاثية اللغة أقسام التفوق والتميز والجدارة . وعلى العكس فالأقسام العربية أحادية اللغة هى فصول التلاميذ الذين يعانون من التعثر فى الدراسة . كما أن الدوافع مختلفة، ففى القسم ثلاثى اللغة كانت الدوافع واضحة حيث كان التلاميذ يرغبون فى أن يصبحوا من المتميزين عن طريق الاستفادة من معارفهم السابقة فى اللغة العربية.

أما تلاميذ القسم أحادى اللغة فقد كان الاستسهال هو معيار اختيارهم ، فهم

(١) السنة الأولى الإعدادية .

يظنون خطأ أن أصلهم المغاربي (حيث إن ١٠٠٪ منهم من بلاد المغرب العربي) سيسهل لهم تعلم هذه اللغة. إن آباءهم يأتون خصيصاً من المغرب إلينا، وبعضهم لغته الأصلية العربية والبعض الآخر لغته هي لغة البربر. وغالبًا ما يسمع التلاميذ آباءهم يتحدثون العربية في المنزل وهم يستخدمونها قليلاً في حوارهم معهم أو أنهم يتحدثون الفرنسية مع أخواتهم وإخوانهم في حين يستخدمون العربية مع أبنائهم. بالنسبة للأطفال الذين ينتمي أولياء أمورهم إلى البربر فالوضع يختلف. إذن، فلدينا في الصف الأول الإعدادي تلاميذ ذوو طبيعة متعددة ومن هنا ، تتولد ضرورة استخدام المعلمين لأسلوب تربوي متعدد المستويات بحيث يأخذ في الاعتبار الاختلافات بين التلاميذ .

هل يوجد سوء فهم من نوع آخر في اختيار اللغة العربية ؟

نعم ، من المألوف أن نجد تلك الفكرة القائلة بأن دراسة اللغة العربية ليست دراسة للغة تعامل (مثل الألمانية أو الإنجليزية) لكنها لغة مقدسة، لغة القرآن الكريم (فجميع التلاميذ متشبعون بالدين الإسلامي).

فعلى المعلم إذن أن يجتهد منذ الدرس الأول لتوضيح الوضع ولشرح أسلوبه التعليمي . أظن أنه في السنة الأولى الإعدادية يكون اختيار اللغة العربية هو اختيار أولياء الأمور حيث يحددون رغبتهم أو عدم رغبتهم في إلحاق التلميذ بالقسم العربي . يمثل ذلك بالنسبة للبعض الرغبة في تعليم أطفالهم أسس ثقافتهم الأصلية بحيث يحتفظوا بعلاقتهم بثقافة المنشأ في حين تمثل الرغبة في عدم الالتحاق بالقسم العربي للبعض الآخر محاولة للاندماج أكثر داخل المجتمع فيختارون لأبنائهم إحدى اللغات الأوروبية.

لكن يحدث ألا يكون الآباء والأبناء على وفاق وقد حدث أن رأيت أطفالاً يعانون من أن الدراسة مفروضة عليهم. وفي معظم الأحوال يشعرون بالدهشة حين يدركون بعد ذلك أن اللغة العربية تسمح لهم بالتحدث في مواضيع كثيرة مثلها في ذلك مثل أي لغة أخرى، فيتحدثون عن كرة القدم كما عن مرض الإيدز ...

لكن كيف يتم النظر داخل المدرسة للفصل العربى المكون أساسًا من أطفال من أصل مغاربى؟ هل لا يوجد خوف من أن يؤدى ذلك لتهميشهم ؟

فى الواقع، يوجد أيضًا بهذا الصدد سوء فهم . فعلى مستوى المدرسة الإعدادية يتم النظر إلى الفصل العربى على أنه موجه لأطفال ذوى أصول عربية. وبما أننا موجودون داخل حَى منغلق جدًا على نفسه فإن أولياء الأمور الذين ينتمون لاقليم ألزاس Alzace الذى توجد به المدرسة قد يكون لهم نظرة سيئة تجاه هذا الفصل فلا يسمحون لأطفالهم بالالتحاق به لأنهم ببساطة لا يفهمون الجدوى من هذه الخطوة. ومع ذلك حدث أن رأيت فى إحدى المرات فتاة من أهالى المنطقة الأصليين التحقت بالفصل العربى لأن لها أصدقاء وصديقات من أصول عربية إلا أن ذلك استثناء .

على العكس، ففى المدرسة الثانوية ينتمى التلاميذ الذين يختارون اللغة العربية لأصول متنوعة لأن فى هذه المرحلة يكون الاختيار الشخصى أقوى من اختيار أولياء الأمور لأن دوافع الشباب مختلفة عن آبائهم حيث يملكون فى هذه السن فضولاً علميًا وفكريًا .

على أية حال، إذا كان خطر التهميش موجودًا فإن المدرس يستطيع بفضل منهجه وأدواته وانفتاحه على التخصصات الأخرى أن يعرف بالتخصص الذى يقوم بتدريسه حتى خارج حدود الفصل، فبعض الزملاء ينظمون رحلات مدرسية .

وماذا عن اختبارات اللغة العربية فى شهادة إتمام المرحلة الثانوية ؟

لقد خضعت هذه الاختبارات للتعديلات. فاليوم، تحظى اللغة العربية بمكوناتها الفصحى والعامية بالتقدير. فأصبحت المعرفة الشفهية باللغة العربية غير كافية وأظن أن ذلك شئ جيد ؛ لأنه لا يخدم اللغة العربية أن نحبسها داخل شكل ثنائى فمن جهة نجد العربية الفصحى ومن جهة أخرى العربية العامية. إنها لغة من المفيد التعرف عليها بشموليتها .

وفى عام ٢٠٠١ ، ما هى توقعات وآمال أو مخاوف مدرسة لغة عربية ؟

إننى أميل إلى التفاؤل. يوجد بالتأكيد تراجع فى الأعداد الفعلية لتلاميذ اللغة الأولى ولكن يوجد عدد متزايد من الشباب يريد أن يستعيد لغة المنشأ وذلك ليس فى السنة الأولى الإعدادية أى كشىء مفروض لكن فى السنة الثالثة الإعدادية أو حتى فى وقت لاحق . كما أنه يوجد عدد سكان كبير من أصل غير عربى يتمنى اكتشاف عالم يبدو له غريبًا وغامضًا وصعب المنال . وإننى لأسعد كثيرًا عندما أرى إقبال هذا الجمهور ذى الأصول المتنوعة.

المركز الدولى للدراسات التربوية : عنصر فاعل فى التعاون فى مجال التعليم مع العالم العربى

بقلم : روجيه فيليون

Roger Philion

المدير المساعد للمركز الدولى للدراسات التربوية

يقع المركز الدولى للدراسات التربوية CIEP على مشارف أبواب باريس مكان المصنع القديم لصناعة الخزف بمنطقة "سيفر" Sèvres وهو يشارك منذ إنشائه عام ١٩٤٦ فى التبادل الدولى فى مجال التعليم .

تقليد الاستقبال :

خلال أكثر من نصف قرن استقبل المركز الدولى للدراسات التربوية – وهو منشأة عامة تتبع وزارة التعليم مسئولة عن النشاط الدولى –عدداً كبيراً من المسئولين التربويين فى العالم العربى ومن المفتشين ورؤساء المنشآت التعليمية ومن الجامعيين ومدرسى اللغة الفرنسية .

إن هذه المنشأة مشهورة على المستوى الدولى وهى تمنح للزوار والمتدربين تقليداً عريقًا فى الاستقبال وتمثل مدخلاً مميزًا إلى النظام التعليمى الفرنسى. لا يمكن حصر الدورات التدريبية التى تم تنظيمها خصيصًا لمسئولين من بلاد المغرب العربى ومن لبنان ومن مصر ومن سوريا وغيرها .

ولنحاول فيما يلى أن نقدم نموذجًا مختصراً :

تمثل اللغة الفرنسية بالتأكيد القاعدة للعديد من الدورات التدريبية التى تتراوح مدتها بين أسبوعين وأربعة أسابيع فى المتوسط وهى موجهة تارة إلى أساتذة وتارة إلى دارسين فى نهاية تعليمهم الجامعى وتارة لبعض الفائزين فى مسابقات وتارة إلى مفتشين للغة الفرنسية تقدموا مع مرور الوقت بأبحاث متطورة فى مجال اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ولغة ثانية .

ومن بين المجالات التى تتركز حولها الدراسات الخاصة نذكر مجال هندسة الإعداد والتقييم والمشروع التربوى واستقلالية الطالب ومجال الأدوات الخاصة بطرق التدريس وأصول ومناهج تدريس اللغة الفرنسية وتحليل النصوص وتدريس اللغة والحضارة .

ويوجد تفاوت فى تدفق أعداد المتدربين من أصول عربية وتختلف بالتأكيد أعدادهم من عام لآخر إلا أن متوسط عددهم يبلغ خمسمائة . ازدادت أعداد المتدربين الجزائريين بشكل ملحوظ خلال الأعوام الأخيرة نتيجة إنغلاق النظام الثقافى الفرنسى فى الجزائر . وفى نفس الوقت لا يمكن تجاهل اهتمام السلطات التونسية بالدورات التى نعقدها .

منذ عدة سنوات ، يستقبل المركز الدولى للدراسات التربوية أيضًا كوادرًا أجنبية تنتمى لنظم تعليمية فى مجالات ليس لها ارتباط بتدريس اللغة الفرنسية .

إن المركز يلبى بذلك الحاجة إلى الإعداد والإعلام فى مجال إدارة التعليم. هكذا يستقبل المركز مسئولين وزاريين كثيرين من أنحاء العالم العربى المختلفة من الذين يرغبون فى الاستعلام عن نظام عمل التعليم الفرنسى. لقد تم تنظيم دورات تدريبية عامى ١٩٩٩ و ٢٠٠١ لمسئولى منشآت تعليمية جزائريين ومصريين على سبيل المثال وكذلك لدارسين ومفتشين تونسيين أتموا جزءًا من إعدادهم داخل المركز.

إدارة المشروعات :

يتدخل المركز الدولى للدراسات التربوية من ناحية أخرى بناءً على طلب من وزارتى الشئون الخارجية والتعليم ومن حكومات أجنبية ومراكز التعاون والعمل الثقافى

التابعة لسفاراتنا وذلك فى إطار مشروعات ممتدة لعدة سنوات أو ببساطة لمشروعات خاصة ومنظمة .

وعلى هذا النحو يدير المركز منذ عامى ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ برنامج تبادل لمعيدين فى اللغة وينظم دورات تدريبية فى مجال علم اللغويات فى الخارج لمدرسى اللغة الفرنسية الحية سواء للمستوى الأول أو للمستوى الثانى. إن اللغة العربية ليست غائبة مع ذلك عن نشاط المركز حتى لو كان المكان الذى تحتله وسط هذين البرنامجين متواضعاً وهو يعكس صورة معدل تدريس اللغة العربية فى بلادنا فى ٢٠٠٠-٢٠٠١و ٢٠٠١-٢٠٠٢ . لقد تم توفير عشرين وظيفة معيد للغة العربية فى المنشآت المدرسية الفرنسية من المستوى الثانى مع وجود مرشحين من الأردن وموريتانيا واليمن للمرة الأولى هذا العام. ويشارك اثنا عشر مدرساً فرنسياً للغة العربية خلال فصل الصيف فى دورة تدريبية لتحسين اللغة والثقافة فى صنعاء بالمركز الفرنسى للدراسات اليمنية تم تنظيمها تحت رعاية التفتيش العام على اللغة العربية التابع لوزارة التعليم بالتعاون مع معهد العالم العربى.

ويوجد مشروع آخر مرتبط بدوره بتدريس اللغة الفرنسية، فبناء على طلب السلطات التونسية ومركز التعاون والعمل الثقافى لسفارة فرنسا فى تونس شكل المركز الدولى للدراسات التربوية عام ٢٠٠١ فريقاً من الخبراء يرأسهم السيد "آلان بواسينو" Alain Boissinot المفتش العام بوزارة التعليم والأستاذ المشارك بجامعة "سرجى بونتواز" من أجل تقييم تدريس اللغة الفرنسية فى النظام التعليمى التونسى . وتم تقديم تقرير للسلطات التونسية فى يونيو ٢٠٠١ .

واستجابة لطلب السلطات الجزائرية وبالتعاون مع المركز الثقافى لسفارة فرنسا نظم المركز الدولى للدراسات التربوية CIEP للمرة الأولى منذ ست سنوات دورة تدريبية فى أوران لحوالى ٢٥٠ معلماً جزائرياً خلال صيف ٢٠٠١ على غرار دورة مكتب دراسات اللغات والثقافات (BELC) التى تجمع عادة فى فرنسا كل صيف عدة مئات من المدرسين القادمين من مختلف جهات العالم. وجدير بالذكر أنه فى عام ٢٠٠١ وفى إطار الدورة الرابعة والثلاثين شكلت مجموعة من الجزائريين بلغ عددهم خمسين

شخصًا المجموعة الأكثر أهمية من بين الجنسيات الخمسين الممثلة والتى تشمل فى مجملها ٣٨٠ متدربًا.

وقد قام المركز الدولى للدراسات التربوية أيضًا بالتنسيق من أجل تنظيم اختبار الـDELF (*)(دبلوم الدراسات فى اللغة الفرنسية) و الـDALF (دبلوم الدراسات المتعمقة فى اللغة الفرنسية) وهما دبلومان متخصصان فى اللغة الفرنسية يتبعان وزارة التعليم ويتقدم لهما فى المتوسط كل سنة حوالى ٣٠٠ ألف شخص فى الخارج فى أكثر من ١٣٠ دولة. وقد شارك فى الوحدات المختلفة للـ DELF و للـ DALF خلال عام ٢٠٠٠ أكثر من ٣٠ مركزًا فى أنحاء العالم العربى بمشاركة٢٤٣٨٠ متقدمًا .

ومن بين مجالات الخبرة التى يتميز بها المركز الدولى للدراسات التربويةCIEP مجالان يثيران اهتمام بعض البلاد العربية: الأول خاص بالرؤية المتعلقة بسير عمل تدريس اللغة الفرنسية كلغة ثانية فى الجزائر ولبنان و المغرب وتونس والثانى خاص بالتعليم الفرانكفونى مزدوج اللغة والموجه بشكل خاص إلى مسئولى التعليم فى المدارس الفرانكفونية فى مصر .

وأخيرًا ، لا يمكننا حصر عدد المهام التى نفذها خبراء المركز الدولى للدراسات التربوية CIEP فى هذه المنطقة من العالم وذلك بفضل دعم وزارة الشئون الخارجية .

ومن بين المشروعات الواعدة التى سوف تحشد الخبرة الفرنسية فى مجال التعليم خلال الشهور القادمة نذكر الطلب الذى تقدمت به السلطات السورية من أجل تعديل المناهج فى التخصصات العلمية وهو مشروع من المفترض أن يساهم فى تنسيقه المركز الدولى للدراسات التربوية.

وكما نرى من خلال هذه الأمثلة العديدة فإن العالم العربى يحتل مكانة مشرفة فى إطار اهتمامات المركز الدولى للدراسات التربوية CIEP ويمثل أحد شركائه المفضلين .

(*) بالفرنسية DELF (Diplôme d'Etudes en Langue Fran çaise), DALF (Diplôme approfondie en langue Française).

الفصل الخامس

الإستراتيجيات اللغوية

اللغة العربية لغة ترجمة ولغة حوار عربى فرانكفونى
دور الـ" إيزيت " ESIT

بقلم : سلمى فرشخ

مترجمة فورية بالمؤتمرات – مترجمة فورية دائمة باليونسكو –

قائمة بالتدريس فى الـ"ايزيت" (١) منذ عام ١٩٧٥

ربما يكون من المناسب أن أبدأ بتأكيد إحدى البديهيات ألا وهى أن اللغة العربية لغة حية، لغة مستخدمة فى الكلام وفى الكتابة فى حوالى عشرين دولة وهى لغة مفهومة ومقروءة داخل بلاد أخرى ثقافتها إسلامية، مما يعطى لها وضع اللغة الإقليمية والدولية .

ونحن نعنى بذلك بالتأكيد اللغة العربية " الأدبية" أو "الكلاسيكية" فى مقابل اللهجات العامية المستخدمة فى أنحاء العالم العربى. ويبدو أن هاتين الصفتين تقصران استخدام اللغة العربية على صفوة مثقفة تعيش داخل حالة من الماضوية Passéisme مع لغة الوحى القرآنى. إلا أن اللغة العربية الأدبية- بما أنه يتعين علينا أن نسميها كذلك- هى اللغة العربية التى نسمعها فى الراديو ونقرؤها فى الجرائد والتى يتعرف عليها الأطفال فى كتبهم المدرسية وهى اللغة نفسها التى يطوعها المفكرون ورجال العلم دائماً لمواكبة تطورات العالم المعاصر فى جميع المجالات ليدخلوا بذلك مستجدات على اللغة بفضل المرونة الكبيرة التى تتمتع بها هذه اللغة السامية، وهى مهمة تضطلع بها باقتدار الأكاديميات العربية فى القاهرة وبغداد ودمشق ومكتب التعريب فى الرباط والتابع لجامعة الدول العربية .

(١) المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين Ecole Supérieure d'Interprètes et de Traducteurs .

هكذا يتجه تدريس اللغة العربية داخل البلاد العربية الفرانكفونية حيث نرى تواجدًا للغة الفرنسية بدءًا من المرحلة الابتدائية – يتجه بطبيعة الحال إلى التعديل والتحيين على مستوى المفردات وتلك ميزة كبيرة. أما المساوئ فتكمن فى الحل الكسول الذى يقضى بتدريس جميع المواد العلمية باللغة الفرنسية وقصر اللغة العربية التى هى اللغة الأم للتلاميذ على دراسة الأدب والعلوم الإنسانية .

وإذا كان صحيحًا أنه لا تتم إجادة اللغة العربية بقواعدها وتركيباتها إلا فى سن الثانية عشرة وذلك بالنسبة للتلاميذ الذين يستخدمون اللغة العامية فى حياتهم اليومية فإن هذه اللغة الأدبية تعتبر أيضًا أداة يمكن تطويعها للشفاهة دون تحذلق أو تكلف ، مما يجعلها تحتل مكانة اللغات الدولية الأخرى نفسها .

هكذا اعتمدت منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات والوكالات المتخصصة التابعة لها اللغة العربية كلغة عمل رسمى منذ بداية السبعينيات وذلك داخل أقسامها الخاصة بالترجمة والترجمة الفورية على قدم المساواة مع اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية أو الأسبانية أو الروسية .

إن المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين (إيزيت) قد تعهدت منذ بداياتها بإعداد المترجمين والمترجمين الفوريين فى اللغة العربية. وغالبية طلاب القسم العربى يأتون من البلاد العربية الفرانكفونية (الجزائر ولبنان والمغرب وتونس) وبفضل مساهمات المراكز الثقافية الفرنسية فى البلاد الأخرى بالمنطقة (مصر والعراق والسودان وسوريا واليمن....) وجميع الطلاب يتمتعون بمعرفة جيدة باللغة الفرنسية بل أن بعضهم يعيشها جنبًا إلى جنب اللغة الأم وبالتالى يتمتعون بانفتاح ملحوظ على الثقافة الفرانكفونية .

وبسرعة شديدة استطاع العمل داخل القسم وكفاءة الخريجين أن يؤديا إلى إلغاء الطابع "الإغرابى" للغة العربية . فنذكر الطلاب الذين يجدون صعوبات أولية فى التحدث بالعربية فى مجال الطب أو الحاسب الآلى أن اللغة العربية كانت اللغة التى نقلت المعارف العلمية طوال قرون عديدة كما نكرر على أسماعهم المبدأ الشهير لـ"دانيكا

سيليسكوفيتش" Danica Seleskovitch مؤسسة الـ"إيزيت": "إن كل ما يتم فهمه وتصوره بشكل جيد يمكن التعبير عنه بوضوح باللغة الأم".

وفى أسواق الترجمة الخاصة أخذت اللغة العربية مكانتها التى تستحقها، فقد تضاعفت أعداد مكاتب الترجمة لتلبى حاجة الشركات والمستثمرين الفرنسيين (عقود، قوائم الشروط، مطويات استعلام، نشرات صيانة، نشرات أدوية، ترجمة أفلام سينمائية ووثائقية، نصوص تشريعية...) باختصار، أصبح من الطبيعى أن يتم التعامل مع التبادلات مباشرة باللغة الفرنسية وباللغة العربية دون المرور باللغة الإنجليزية مع الشعور بالثقة الكاملة فى المترجمين والمترجمين الفوريين.

واليوم ، وفى الوقت الذى تعانى فيه المنظمات الدولية من مصاعب اقتصادية تدفعها إلى تخفيض نفقات الأقسام اللغوية عن طريق الإلغاء المتكرر لترجمة بعض الوثائق وعن طريق تقليل عدد اللغات المستخدمة فى العمل نجد اللغة العربية واللغة الفرنسية (فضلاً عن الإسبانية) يصارعان جنبًا إلى جنب من أجل الحفاظ على التنوع اللغوى. ويبدو أيضًا أنه خلال الملتقيات الدولية الكبرى قد تميل الجماعات الناطقة بالعربية إلى الخضوع بسهولة أكثر للحجج الاقتصادية إذا لم يروا المجموعات الناطقة بالفرنسية تدافع بالإصرار نفسه على تواجد اللغة الفرنسية .

وهنا يكمن أيضًا دور المنشآت التعليمية الخاصة بالترجمة والترجمة الفورية وهو أن تتعلم كيفية الحفاظ على التعددية اللغوية وكيفية تشجيع إثراء التراكيب اللغوية دون إغفال أهمية اللغة الإنجليزية حتى نضمن تحقيق توازن فى التبادلات على جميع المستويات .

أهمية الترجمة فى الحوار العربى الفرانكفونى :
دور الـ" إيزيت " ESIT

بقلم : مونيك لوتييه Monique Luthier

مدرس بالإيزيت[1] وجامعة السوربون"باريس"

المسئول عن القسم العربى

لا يجادل أحد اليوم ضرورة "الحد" من العولمة حيث ترتفع المزيد من الأصوات التى تنادى بوقف الانفتاح الاقتصادى الذى يعتبر مهما بالتأكيد لكنه غير كاف بأى من الأحوال .

فى الواقع ، تنشأ فى ظل العولمة وتكثيف الاتصالات مشاكل من بينها مشكلة الاتصالات بين الشعوب والثقافات وتكمن هذه المشكلة فى الرغبة فى إحداث تبادل على مستوى يتخطى مستوى استهلاك السلع ليحل محله رغبة كل كيان يتمتع بخاصية لغوية وثقافية فى أن يعبر عن نفسه وأن يقيم نوعًا من الحوار الحقيقى بين الثقافات وبين الشعوب.

ولتلبية هذه التطلعات من الضرورى أن نبقى على تنوع وخاصيات اللغات المميزة والخواص الفكرية والثقافية . وذلك يتطلب بالطريقة نفسها "الحد" من عولمة استخدام اللغة الإنجليزية ومضاعفة التبادلات السياسية والاقتصادية والثقافية بشكل مباشر بين اللغات دون اللجوء إلى لغة مرجعية واحدة بهدف توسيع نطاق الحدود الجغرافية اللغوية لمختلف اللغات .

(١) المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين.

إن الفضاء الناطق باللغة العربية يحتل بهذا الصدد مكانة أقل ما يقال عنها أنها مميزة بفارق كبير عن اللغات الأخرى الموجودة فى العالم .

فى الواقع ، ساعد تقدم الفرانكفونية فى العالم العربى من جهة وحيوية اللغة العربية فى فرنسا وفى البلاد التى تكون فيها اللغة الفرنسية اللغة الأم من جهة أخرى (بلجيكا، كندا، .... إلخ...) على إثبات إمكانية وجود حوار يومى حقيقى بين الشعوب والثقافات شريطة الاستماع إلى اللغات الأخرى وتقبل الاختلافات.

وتلعب المدرسة الدولية للمترجمين الفوريين والمترجمين (إيزيت ESIT) دوراً مهما داخل هذا الفضاء الجغرافى اللغوى المميز للفرانكفونية العربية على اعتبار أنها منذ إنشائها عام ١٩٥٧ تضم قسم لغة عربية– فرنسية يعمل بانتظام منذ هذا التاريخ. وفى هذا المجال تحتل المدرسة مكان الصدارة حتى مع ازدياد المنشآت التى توفر إعدادا للمترجمين الفوريين وللمترجمين فى العالم بما فى ذلك العالم العربى.

أهداف الـإيزيت : ESIT

● إعداد متخصصين من الدرجة الأولى أى مترجمين ومترجمين فوريين للمؤتمرات قادرين على التكيف السريع مع كل مجالات المعرفة .

●السماح بإقامة اتصالات مختلفة المستويات والمجالات قائمة على الاتصال بين لغتين قوميتين دون المرور بلغة ثالثة ,

● تحقيق انفتاح على الأنشطة المختلفة للعالم الراهن (تقنيات، أنشطة علمية وقانونية واقتصادية وسياسية ومالية، إلخ...)

● توفير إعداد منهجي يهدف إلى السماح بتناول أى نص أو خطاب من خلال التمكن من استخدام الأدوات التى يملكها المترجم الفورى أو المترجم المحترف.

إن الـ"إيزيت" ليست مدرسة لتعلم اللغات ، فنظامها التعليمى موجه لدارسين على دراية بلغة أو بلغتين أجنبيتين علاوة على تمكنهم المؤكد من لغتهم الأم.

نوعية الإعداد :

إن الأمر يتعلق بإعداد متخصص على أعلى المستويات ويستغرق ثلاث سنوات بالنسبة لقسم الترجمة وينتهى بالحصول على دبلوم الدراسات العليا المتخصصةDESS فى الترجمة الصحفية والاقتصادية والتقنية، وبالنسبة لقسم الترجمة الفورية تستغرق الدراسة سنتين تنتهيان بالحصول على دبلوم الدراسات العليا المتخصصة DESS فى الترجمة الفورية بالمؤتمرات (ثانوية عامة+٥سنوات).

وتشتمل الـ"إيزيت" ESIT كذلك على قسم للبحث موجه أساسًا للأساتذة الباحثين ويسمح بالحصول على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA ثم دكتوراه فى علم الترجمة.

الفرانكفونية العربية فى الـإيزيت : ESIT

إن الـ"إيزيت" ESIT هى الرمز الحى للعلاقات المتميزة الموجودة بين فرنسا والبلاد العربية. هكذا، نجد أنه خلال الثلاث سنوات الأخيرة قام دارسون من تسع بلاد عربية بمتابعة النظام التعليمى للمدرسة ومنهم ١٤ لبنانيا و ١٢ جزائريا و ٩ سوريين و ٦ مغاربة و ٤ مصريين و ٤ سودانيين و ٣ تونسيين وسعوديين وأردنيين. ولا يوجد إلا القليل من المدارس فى العالم العربى التى يمكنها أن تضم مثل هذه البوتقة حيث إنها فى أغلب الأحيان تقوم بإعداد دارسين من البلد نفسه .

إذن فالـ"إيزيت" توفر فرصًا عظيمة للتفاعل اللغوى والثقافى، حيث يجد الدارسون أنفسهم فى حالة اكتشاف مذهل لتنوع الأداة اللغوية داخل مجال اللغة العربية نفسها . وبهذا الشكل يمكننا القول بأن الـ"إيزيت" تمثل مكانًا فريدًا يعبر من خلاله العالم الناطق بالعربية عن نفسه وعن ثرائه اللغوى والثقافى.

إلا أن المدرسة لا تكتفى بإعداد دارسيها لمهنة المترجمين ومترجمى المؤتمرات الفوريين ، بل تقوم بنسج علاقات حميمة مع العديد من البلاد العربية خاصة مصر ولبنان والجزائر والمغرب والعراق . ومن هذا المنطلق تقوم المدرسة بمهمات لتقديم الخبرة والمشورة فى الخارج بناء على طلب الجامعات بل والوزارات والمنشآت العامة.

بالإضافة إلى ذلك ، تنظم المدرسة حلقات دراسية لإعداد أساتذة نظريات خاصة ومناهج تدريس الترجمة فى باريس أو فى أى مكان. كما تستقبل المدرسة متدربين أجانب خاصة أساتذة ومترجمين و مترجمين فوريين يعملون بالفعل بهذا المجال ويودون مقارنة خبرتهم العملية بمنهجيات المدرسة .

وأخيراً، سوف تقوم الـ"إيزيت" بالمبادرة بإعداد برنامج مخصص لإعداد مجموعة من المترجمين والمترجمين الفوريين العراقيين فى سبتمبر ٢٠٠١ ، كما أنها طرف مهم فى مشروع إنشاء قسم للترجمة والترجمة الفورية فى الجامعة الفرنسية بالقاهرة .

لقد مضت المدرسة فى طريق طويل بدفعة من فرنسا والبلاد العربية من أجل النهوض باللغتين والثقافتين ، وهى مستمرة فى العمل الجماعى المتناسق من أجل تحقيق الاحترام المتبادل بحيث تضمن أحداث تبادل متعدد التخصصات أكثر عمقًا وأطول عمراً بين أعضاء المجتمعين .

ومن هذا المنظور، تزداد أهمية الترجمة بشكل يتوازى مع التزايد فى التبادلات التجارية والثقافية والعلمية والتقنية . ومع تزايد الاحتياجات بشكل هائل يكون من الضرورى أن يحل الإعداد المتخصص والمتعقل محل التربية التقليدية غير المتوافقة مع هذا الرهان الجديد . وبهذا الصدد ، تشكل الـ"إيزيت" إحدى محاور هذا التطور وتساهم بشكل لا يستهان به فى الحفاظ على الفرانكفونية العربية بفضل ديناميكيتها وفكرها المتطور.

الفصل السادس

الفضاء الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى

العلاقات الاقتصادية الفرانكفونية العربية [1]

بقلم : تيفانى برونوتيل
Tiphaine BRUNETEL
دارسة بالسنة الثالثة بالـ EICD[2]

لقد قلصنا عدد البلاد التى تنصب عليها الدراسة إلى عشرة دول حتى نتمكن من حصر دائرة الدراسة ، وهذه البلاد العشرة هى :

- الجزائر
- لبنان
- جزر القمر
- موريتانيا
- جيبوتى
- سوريا
- مصر
- تشاد
- المغرب
- تونس

وتشكل أربع دول من الدول السابقة جزءًا من الـ UMA (اتحاد المغرب العربى) وهى : الجزائر وموريتانيا والمغرب وتونس .

إن اندماج بعض البلاد التى لم تكن معتادة التعامل التجارى مع الفضاء الاقتصادى الفرانكفونى EEF وازدياد علاقات البلاد الفرانكفونية بدول تنتمى لفضاءات اقتصادية أخرى

(١) لقد تم صياغة هذا المقال فى إطار دورة تدريبية أقيمت بالمجلس الأعلى للفرانكفونية .
(٢) المدرسة الدولية للتجارة والتنمية .

قد ساعد على انخفاض الحصة الفرانكفونية فى إجمالى التبادلات التجارية لبلاد الفرانكفونية . إذ انخفض متوسط هذه التبادلات من ٢٥,٩٪ عام ١٩٩٦ (٧٣) (بالنسبة لـ٤٦ دولة) إلى ٢٤,١٣ ٪ عام ١٩٩٨ (لـ٥١ دولة).

وتتراوح الأرقام الخاصة بجزر القمر و موريتانيا وتشاد بين ٤٠٪ و ٥٠٪ بينما تتراوح الأرقام الخاصة بالجزائر والمغرب وتونس بين ٣٠٪ و ٤٠٪ . إذن يبدو أن تطور التبادلات بين البلاد الناطقة بالعربية أكثر انتعاشًا من التبادلات مع الفضاء الاقتصادى الفرانكفونى.

وعلى الرغم من كون هذه الدول من الجنوب فهى تعيش أوضاعًا اقتصادية متباينة وترتبط خاصة بعلاقات لا يمكن مقارنتها ببعضها البعض مع العالم الفرانكفونى ومع فرنسا على وجه الخصوص. هل تؤثر اللغة الفرنسية والتاريخ على العلاقات الاقتصادية مع هذه البلاد داخل الفضاء الفرانكفونى؟

الوضع الاقتصادى لهذه البلاد :

تحتل مصر والجزائر والمغرب ٨٠,٥٪ من إجمالى عدد السكان داخل الفضاء العربوفونى (الناطق بالعربية) الذى تم تحديده من قبل وذلك يعادل ١٢٣,٥ مليون نسمة .

إن إجمالى الناتج القومى يحدد الثروات التى ينتجها البلد سنويا . ومن الواجب أن نعرف أن إجمالى الناتج القومى فى فرنسا كان ١٤٦٥,٤ مليار دولار عام ١٩٩٨ فى حين بلغ ٠,٧ مليار دولار فى سيراليون (١) ويبلغ إجمالى الناتج القومى لهذه البلاد العشرة ٢١٢,٥ مليار دولار أى ٣٧,٦٪ من إجمالى الناتج القومى للبلاد العربية (٢) .

متوسط الناتج القومى PNB لكل مواطن فى هذه الدول هو ١٣٠٣ دولار فى حين أن متوسط الناتج القومى للبلاد العربية لكل فرد هو ٢٢٢٠ دولار . أما إجمالى الناتج القومى لكل فرد فى فرنسا هو ٢٤٩٠٠ دولار فى حين يبلغ فى سيراليون ١٤٠ دولار.

(١) سيراليون بها أضعف مؤشر للتنمية البشرية .

(٢) المغرب والمملكة العربية السعودية وتونس والجزائر والعراق وليبيا وسوريا والكويت ومصر وموريتانيا والإمارات العربية المتحدة والبحرين ولبنان والسودان والأردن وقطر وجزر القمر وعمان واليمن والصومال وجيبوتى والضفة الغربية وغزة .

إن مؤشر التنمية البشرية (IDH) مؤشر يتبع برنامج الأمم المتحدة الإنمائى(PNUD) يقدر ثروة أية بلد من البلدان على أساس معايير كمية ٠ (من بينها الناتج القومى لكل فرد) ومعايير كيفية . أما مؤشر التنمية البشرية فى فرنسا فيبلغ ٠,٩١٧ بينما يبلغ فى سيراليون ٠,٢٥٢ .

ويتراوح مستوى التنمية البشرية بين ٠,٥١٠ و ٠,٧٣٥ فى الجزائر وجزر القمر ومصر ولبنان والمغرب وسوريا وتونس. بينما يتراوح مؤشر التنمية البشرية فى جيبوتى وموريتانيا وتشاد بين ٠,٣٦٧ و ٠,٤٥١ .

ويبلغ متوسط مستوى التنمية البشرية فى البلاد العربية ٠,٦٣٥ .

و هذه المؤشرات تظهر التباين الموجود بين هذه البلاد. وتؤثر هذه التباينات فضلاً عن التاريخ الخاص بكل بلد على حجم تبادلاته الاقتصادية .

وزن الاقتصاد الجمعي للبلاد

البلد	إجمالى الناتج القومى	إجمالى الناتج القومى PNB لكل مواطن (بالدولار)	عدد السكان (بالمليون)	مؤشر التنمية البشرية IDH
الجزائر	٤٦,٤	١٥٥٠	٣٠,١	٠,٦٨٣
جزر القمر	٠,٢	٣٧٠	٠,٧	٠,٥١٠
جيبوتى	٠,٦٥(أ)	١٢٦٦ (أ)	٠,٦	٠,٤٤٧
مصر	٧٩,٢	١٢٩٠	٦٦	٠,٦٢٣
لبنان	١٥,٠	٣٥٦٠	٣,٢	٠,٧٣٥
المغرب	٣٤,٤	١٢٤٠	٢٧,٤	٠,٥٨٩
موريتانيا	١	٤١٠	٢,٥	٠,٤٥١
تشاد	١,٧	٢٣٠	٧,٣	٠,٣٦٧
تونس	١٩,٢	٢٠٦٠	٩,٣	٠,٧٠٣
سوريا	١٥,٥	١٠٢٠	٦,٣	٠,٦٦٠

المصدر : التقرير العالمى حول التنمية البشرية ٢٠٠٠ لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، إحصائيات عام ١٩٩٨ .

(أ) : إجمالى الناتج الداخلى PIB .

التبادلات التجارية :

كما سبق ورأينا فإن جزر القمر وموريتانيا وتشاد تقوم بأكثر من نصف تبادلاتها مع بلاد فرانكفونية. ومن بين الأشياء التى تفسر ذلك هو أن هذه البلاد النامية تبيع أساسًا منتجات غير مصنعة (أى مواد أوّلية) وغالبًا ما يتم ذلك مع فرنسا. ويزيد من هذا التعاون العلاقات الحميمة التى تقيمها فرنسا مع هذه الدول. غير أن حجم هذه التبادلات يظل ضعيفًا حيث يبلغ إجماليها ٥٨١ مليون دولار .

ويبدو أن الجزائر والمغرب وتونس تسير على الخطى نفسها على الرغم من أنها استطاعت تطوير صناعة المنتجات المصنعة وتطوير التقنيات الحديثة . ويبلغ متوسط تبادلات هذه البلاد الفرانكفونية حوالى ٢٥,٥ ٪ ، وهى النسبة نفسها فيما يتعلق بالصادرات والواردات. إلا أننا نلحظ أن هذه البلاد تستورد أكثر مما تصدر وهذه هى السمة التقليدية لبلاد الجنوب. منذ عدة سنوات ظهرت بلاد جديدة فى أسيا مثل (البلاد الصناعية الجديدة) NPIغيرت معطيات التجارة العالمية. هكذا، قامت البلاد الفرانكفونية بتوسيع نطاق أسواقها لتمتد لبلاد أخرى ويشهد على ذلك انخفاض التبادلات بين البلاد الفرانكفونية بعضها وبعض بين عامى ١٩٩٦ و ١٩٩٨ . وفى مواجهة العولة لا يمكن أن تكون اللغة هى بالضرورة العامل الاول فى التعاون الاقتصادى .

ووفقًا لـ " كاتيا حداد" الأستاذة بجامعة بيروت فإن العلاقات بين هذه البلاد سببها هو الجوار الذى يجمع بينها وهى تخضع كذلك لطلب السوق أو لأسباب سياسية لكنها لا تخضع أبدًا لعامل اللغة أو لأى شكل من أشكال التضامن الفرانكفونى" (١)

(١) " الفرانكفونية والعالم العربى: حوار الثقافات ، مؤتمر نظمته المنظمة الدولية للفرانكفونية يومى ٣٠-٣١ مايو ٢٠٠٠ .

التبادلات التجارية للبلاد العربية الفرانكفونية لعام ١٩٩٨

البلد	حجم التبادل (بالمليون دولار)			حجم الصادرات (بالمليون دولار)			حجم الواردات (بالمليون دولار)			تطور حجم التبادل (أ)
	الإجمالى	حصة الفرانكفونية	النسبة المئوية	الإجمالى	حصة الفرانكفونية	النسبة المئوية	الإجمالى	حصة الفرانكفونية	النسبة المئوية	
الجزائر	٢٠٩١٨	٦٧٩٦	٣٢,٤٩	١٠٩٩١	٢٦١٠	٢٣,٧٥	٩٩٢٧	٤١٨٦	٤٢,١٧	n.s.
جزر القمر	٥٢	٢٣	٤٤,٢٣	٤	٢	٥٠,٠٠	٤٨	٢١	٤٣,٧٥	–٢١,٦٧
جيبوتى	٦٣٩	٧٥	١١,٧٤	١٢٥	٣	٢,٤٠	٥١٤	٧٢	١٤,٠٠	–٢,٠٦
مصر	٢٦٩٩٩	٣٤٣٧	١٢,٧٣	٤٨٩٩	٤٦٤	٩,٤٧	٢٢١٠٠	٢٩٧٣	١٣,٤٥	–١,٣٧
لبنان	٧٧٧٦	١٦٧٤	٢١,٥٣	٧١٦	١٥٨	٢٢,٠٧	٤٠٦٠	١٥١٦	٢١,٤٧	+ ٥,٤٣
المغرب	١٣٠٦١	٤١١٢	٣١,٤٨	٤٦٣٤	١٦٢٥	٣٥,٠٧	٨٤٢٧	٢٤٨٧	٢٩,٥١	– ٦,٨٢
موريتانيا	١٠٨٠	٤٣٨	٤٠,٥٦	٤٩٩	١٧٣	٣٤,٦٧	٥٨١	٢٦٥	٤٥,٦١	– ٦,٠٦
تشاد	٢٧٧	١٢٠	٤٣,٣٢	١٢٤	١٥	١٢,١	١٥٣	١٠٥	٦٨,٦٣	– ٤,٦٨
تونس	١٤٥٧٥	٥٠٨٥	٤٣,٨٩	٥٧٤٨	٢١١٨	٣٦,٨٥	٨٨٢٧	٢٩٦٧	٣٣,٦١	– ١,٦١
سوريا	٨٥٣٧٧	٢١٧٦٠	٢٥,٥	٢٧٧٤٠	٧١٦٨	٢٥,٨	٥٧٦٣٧	١٤٥٩٢	٢٥,٣	– ٢٦,٧٢

المصدر : دليل إدارة الإحصائيات التجارية لصندوق النقد الدولى (١٩٩٩) .

n.s : أقل من ٥, ٠ نقطة (أ) : التطور بالنقاط منذ عام ١٩٩٦ .

المنتجات والتبادلات :

الجزائر : تمثل الطاقة ومواد التشحيم ٩٦,٣٥٪ من صادرات الجزائر فى حين تستورد بشكل أساسى الأجهزة الصناعية والمنتجات الغذائية. وتظل اللغة الفرنسية هى لغة التعامل فى الوسط الاقتصادى الجزائرى. إن التعاون بين الجزائر والخارج يتم بشكل خاص فى مجالى البترول والغاز .

مصر : تستورد مصر وتصدر المواد البترولية خاصة، إلا أنها تستورد كذلك القمح والذرة .

لبنان : تعد لبنان من أكثر البلاد التى ترتبط بتجارة مع بلاد عربية أخرى خاصة فى مجال المجوهرات والآلات . وتستورد لبنان بشكل خاص الآلات وأجهزة النقل والمواد الغذائية .

المغرب : تعد الملابس الجاهزة والمنتجات الزراعية ومنتجات الفوسفات المصادر الأساسية للتصدير فى المغرب. إلا أن المغرب قد طبقت سياسة تنوع خاصة فيما يتعلق بالمنتجات المصنعة سواء كانت إلكترونية أو متعلقة بالاتصالات أو بالسيارات وقد شملت سياسة التنوع هذه أيضًا المجال الجغرافى بحيث تحد من تبعيتها لفرنسا .

تونس : تستورد تونس وتصدر أساسًا منتجات نسيج أو آلات ميكانيكية وكهربائية وينصب الاستثمار الخارجى بشكل أساسى على قطاعى البترول والغاز .

جيبوتى : لقد تم تسهيل الاستثمارات بعد إنشاء المنطقة الحرة، ولا تسهل اللغات المحلية أو الأجنبية التى تتمتع بتواجد كبير استخدام اللغة الفرنسية .

موريتانيا : يصدر هذا البلد ركاز الحديد ومنتجات الصيد ويستورد الوقود والسكر .

تشاد : تستورد المواد البترولية والآلات وتصدر خيوط القطن والمواشى .

التبادلات التجارية مع فرنسا :

من بين الشركاء الرئيسيين لهذه الدول يوجد بلد واحد ينتمى للفضاء الفرانكفونى : فرنسا . وتعد فرنسا الشريك التجارى الأول للمغرب ولتونس ويبدو ذلك تطورًا منطقيا للروابط التاريخية الخاصة بينهم .

وتظهر الدراسة التى قامت بها غرفة التجارة الفرنسية العربية (CCFA) عام ٢٠٠١ أن حجم التبادلات قد زاد بنسبة ٢٧٪. وقد يفسر ذلك سياسة فرنسا الدفاعية التى تهدف إلى تمييز هذه التبادلات وذلك بفضل الشراكة الأورومتوسطية التى مدحها وزير الخارجية "هيرفيه دى شاريت" عام ١٩٩٦ . وتهدف هذه الشراكة إلى المشاركة فى التنمية وفى إحلال السلام فى هذه البلاد وفى إقامة علاقات إيجابية معها .

وفى عام ٢٠٠٠ ، كانت أربع دول من هذه البلاد العشرة من أوائل المصدرين الخمسين لفرنسا وهذه الدول هى المغرب والجزائر وتونس وسوريا. إن تحليل القوائم الجمركية يظهر أن المغرب وتونس ومصر قد استطاعوا تنويع صادراتهم لفرنسا . وإذا كانت تونس والمغرب قد سبقت البلاد الأخرى فذلك يرجع إلى سياسة الانفتاح على العالم وإلى سياسة التكافل الاجتماعى التى بدأت منذ خمسة عشر عامًا بفضل التنمية الاقتصادية .

غرفة التجارة الفرنسية العربية CCFA

إنها جمعية تتبع قانون ١٩٠١ تم تأسيسها عام ١٩٧٠ وتهدف إلى تنمية العلاقات التجارية والتعاون بين المسئولين عن الاقتصاد الفرنسيين والعرب.

وتضم الغرفة من بين أعضائها شركات فرنسية وممثلين عن الغرف التجارية الأخرى فى البلاد العربية (توجد عشر غرف أخرى تماثلها فى أوروبا)

وتغطى غرفة التجارة الفرنسية العربية اثنين وعشرين بلدًا عربيا أى ما يقرب من ٣٠٠ مليون نسمة وما يقرب من ٥٠٠٠ مليار دولار من الناتج القومى.

الرئيس (فرنسى) : ميشيل حبيب - دولونكل Michel Habib-Deloncle

الأمين العام (تونسى) : بكار طوزانى Baccar Touzani

٩٣ ش لوريستون ، ٧٥١١٦ باريس .

39,rue Lauriston, 75116 Paris

تبادلات فرنسا والبلاد العربية عام ٢٠٠٠

البلد	الواردات		الصادرات		حجم التبادلات		
	بآلاف الفرانكات	٩٩/ ٢٠٠٠ (أ)	بآلاف الفرانكات	٩٩/ ٢٠٠٠ (أ)	بآلاف الفرانكات	٩٩/ ٢٠٠٠ (أ)	النسبة المئوية لإجمالى التبادلات
المغرب	١٦٥١١٨٠٨	١.٨	١٩٥٠١٦١٦	١٨.٩	٣٦٠١٣٤٢٤	١٠,٤	٢٩,٢
الجزائر	١٦٤٨٤٨٣٩	٦.٩	١٨٩١٣١٣٨	١٩,١	٣٥٣٧٧٩٧٧	٣٨,١	٢٨,٧
تونس	١٢٧٧٣٩٦٣	٢١,٩	١٧٠٦٧١١١	١٩	٢٩٨٤١٠٧٤	٢٠.٣	٢٤,١٨
موريتانيا	٧٠٩٢٨٧	٢١.٥	١٠٧٠٣٤٥	٢٣,٤٠	١٧٧٩٦٣٢	٢٩,٢	١,٤٤
الإجمالى لاتحاد المغرب العربى	٤٦٤٧٩٨٩٧	—	٥٦٥٥٢٢١٠	—	١٠٣٠١٢١٠٧	...	٨٣,٥
مصر	٢٠٧٤٩٩٩	٦٦.٦	٧٩٨٨٨٥٠	٥.٦	١٠٠٦٣٨٤٩	١٤.٣	٨,١٦
جيبوتى	٣٠٩٩	٤٤-	٣٤١٨٦٧	١,٩-	٣٤٤٩٦٦	٢,٦-	٠,٢٨
جزر القمر	٣٦٨٤١	٩,٢	٩٩٦٨٢	٧,٤	١٣٦٥٢٣	٣,٤-	٠,١١
لبنان	٢٧٨٢٥١	١٨,٧	٣٧٨٢٣٨٩	٢,٨	٤٠٦٠٦٤٠	٣,٨	٣,٢٩
سوريا	٤٠٩٢١٧٤	٧٠	١٦٥٨٤٣٨	٤٢,٩-	٥٧٥٠٦١٢	٨,١	٤,٦٦
الإجمالى	٦٤٨٥٣٦٤	-	١٣٨٧١٢٢٦	-	٢٠٣٥٦٥٩٠	-	١٦,٥
الإجمالى الكلى	٥٢٩٦٥٢٦١	-	٧٠٤٢٣٤٣٦		١٢٣٣٨٨٦٩٧		٪١٠٠
اتحاد المغرب العربى إجمالى (ب)	٩١,٢٨		٨٠.٣		٠٨٣,٢٨		
أخرى (ب)	٨.٧٢		١٩.٧		١٦,٧٢		

المصادر : الإدارة العامة للجمارك والرسوم غير المباشرة . غرفة التجارة الفرنسية العربية (أرقام تشاد غير متوفرة) .

(أ) التطور بالنسبة المئوية .

(ب) الحصة بالنسبة المئوية من الإجمالى .

المنتجات الثقافية :

هل تمثل المنتجات الثقافية رابطة تبادل مفضلة داخل الفضاء العربى الفرانكفونى ؟

حتى نتمكن من تلخيص مدى المعطيات المتعلقة بهذه التبادلات سوف تتركز هذه الدراسة على ثلاث فئات : الكتب والأفلام والآلات الموسيقية (وتغطى هذه الفئة صناعة الموسيقى : الآلات والأسطوانات) .

بالنسبة لهذه البلاد كلها تعتبر الحصة الفرانكفونية لهذه التبادلات أكبر من حصة التبادلات الشاملة التى لا تمثل سوى الربع . وذلك يؤكد فكرة أن الثقافة واللغة تعدان من أوائل العناصر الخاصة بالحوار داخل الفضاء الفرانكفونى. وتستورد هذه البلاد فى المتوسط أكثر مما تصدر خاصة جزر القمر وجيبوتى وتشاد .

الحصة الفرانكفونية فى تبادلات المنتجات الثقافية لعام ١٩٩٨

البلد	كتب ومطويات وخرائط		أفلام سينمائية		آلات موسيقية		المتوسط	
	الصادر	الوارد	الصادر	الوارد	الصادر	الوارد	الصادر	الوارد
الجزائر	n.c.	n.c.	n.c.	n.c.	n.c.	n.c.	n.c.	n.c.
جزر القمر	٠	٩٤	٠	٠	٠	٨٨,٤٢	٠	٦٠,٨
جيبوتى	٠	٧٤,٥	٠	١٠٠	٠	٠	٠	٥٨,١٠
مصر	٢٥,٠٣	١٦,٤٣	٠	٤٥	٣٥,١	١٣,٢	٢٠,٠٦	٢٤,٩
لبنان	٧٢,٢٧	٥٠,٦	١٠٠	٧,٩٧	١٩,٦	٥,٢٣	٦٤	٦٣,٩
المغرب	٨٩,٧	٦٠,٦	١٠٠	٨٢,٧	٦٥,٩	٥,٠٤	٨٥,٢	٦٥
موريتانيا	٠	٩٠,٤	٠	١٠٠	١٠٠	٥٣,٨	٢٣,٣	٨١,٤
سوريا	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
تشاد	٠	٦٩,٧٥	٠	١٠٠	٠	٧٧,٢٧	٠	٨٢,٣٤
تونس	٧٣,٨	٨٧,١٣	٠٠٠	٨١,٤	٤٣,١٤	٤٥,٢	٣٩	٧١,٢
المتوسط	٢٨,٩٨	٦٠,٣٧	٢٢,٢٢	٥٧,٥	٢٩,٣	٣٧,٢٥	–	–

المصدر : ستاكان stacan، مستخرج من قسم التوثيق .

n.c : (chiffres non communiqués) = أرقام غير متوفرة .

سياسة الشركات :

ولكى تأخذ هذه الدراسة شكلاً ملموسًا على نحو أكبر سنذكر فيما يلى بعض أمثلة الشراكة للشركات الفرانكفونية .

الجزائر : - قامت شركة " توتال فينا" Total Fina بالاستثمار فى مشروعين "ج ب ل - كوندونسا" GPL Condensat ومن ناحية أخرى، تعتبر صناعة الأسلحة سوقًا واسعًا بالنسبة لهذه البلاد فقامت الجزائر وفرنسا بإرساء قواعد تعاون عسكرى وتقوم شركة الفضاء "ماترا" Matra بمضاعفة طلبياتها فى هذه المنطقة .

- فى يونيو ٢٠٠٠ قامت شركة الغاز الفرنسية وشركة "سوناتراش" Sonatrach الوطنية بالتوقيع على اتفاقية تعاون. وفى التاريخ نفسه قامت شركة "سوناتراش" بتوقيع عقد تنقيب واستغلال مع الشركة الكندية للبترول "فيرست كالجارى" First Calgary المحدودة .

سوريا : أسفر لقاء الحكومة السورية مع إدارة (RATP مترو الأنفاق الفرنسى) عن بداية تعاون ممكن من أجل إنشاء مترو دمشق .

المغرب : حصلت مجموعة "فيفندى" Vivendi على ٣٥٪ من رأس مال شركة اتصالات المغرب فى ديسمبر ٢٠٠٠ بما يعادل ٢٣,٣ مليار درهم (أى ٢,٣٣ مليار دولار). ويعتبر ذلك أكبر استثمار خارجى مباشر فى المغرب. وبهذا تنوى المجموعة اختراق السوق المغربية فى قطاعات مختلفة. وقد تكون الخطوة التالية هى تنقية وتوزيع مياه الشرب فى طنجة وتطوان. وفى عام ١٩٨٧ كانت شركة المياه العمومية (الاسم السابق لـ"فيفندى") قد اشترت شركتين للإنشاءات والمقاولات العامة (BTP) هما شركة "سوجا" Sogea و"كومبينون برنارد" Campenon Bernard

وتعتبر المغرب هى طريق "فيفندى" للوصول للمغرب العربى وللعالم العربى. كما أن "فيفندى" تسعى لافتتاح فرع لشركة "يونيفرسال ميوزيك" ولديها مشروعات تعليمية عبر شبكة المعلومات الدولية .

تونس : إن وكلاء سيارات "بيجو" و "رينو" أبرموا عقود شركة مع مستثمرين تونسيين .

ووفقًا لما قالته "كاتيا حداد" : " إن الروابط التاريخية هى التى تحدد- ولو بشكل جزئى- العلاقات التجارية داخل الفرانكفونية" [1] وهذه هى فى الواقع الخلاصة التى ننتهى إليها فيما يتعلق بالفضاء العربى الفرانكفونى. إن أكثر هذه الأمثلة تعبيرًا عن هذا الوضع هو الشراكة بين فرنسا والمغرب .

إن التبادلات الفرانكفونية العربية تمثل ٧,٨٥٪ من حجم التبادلات داخل الفضاء الاقتصادى الفرانكفونى و ٠,٢٪ فقط من حجم التبادلات العالمية .

إذن ، كيف نستطيع اليوم تشجيع وتنمية تبادلات هذه البلاد مع الفضاء الفرانكفونى سواء كانت تشترك فى ماض واحد؟ إن الشراكات بين الشركات والاهتمام بالمجتمع المدنى قد يكونان الوسيلة لتخطى هذه الحدود التاريخية.

(١) "الفرانكفونية والعالم العربى: حوار للثقافات" - مؤتمر نظمته المنظمة الدولية للفرانكفونية يومى ٣٠-٣١- مايو ٢٠٠٠ .

إنشاء دار نشر فى بلد عربى فرانكفونى
نموذج الـ " ميكاد " MECAD

بقلم : ماينا لوشير بويينه
Maïna Lecherbonnier
المسئولة عن دار نشر القرن الأفريقى (MECAD)

إن مفهوم الفرانكفونية العربية يتخطى حدود كونه مجرد حوار للثقافات ، فهو قائم على تحالف الهويات، وينتج عنه ضرورة المساواة فى التبادلات فى مجال الثروات الثقافية بين الجانب الفرنسى والجانب العربى، فلا يمكن لأحد الجانبين أن يكتفى بالبيع والآخر بالشراء.

وفى مجال الكتاب خاصة، يفترض تطور الفرانكفونية العربية وجود إنتاج محلى لأعمال باللغة الفرنسية. ويشهد على هذا التوازن الجديد دار نشر القرن الأفريقى (MECAD)التى قمت بتأسيسها فى مارس ٢٠٠٠ فى جيبوتى.

ولكى نفهم السياق الذى تبلور من خلاله هذا الإنجاز سوف أبدأ بمقدمة تاريخية ولغوية عن المنطقة.

جيبوتى : مختبر الفرانكفونية العربية

نبذة تاريخية :

تقع جيبوتى فى مفترق الطرق بين الحبشة والمنطقة العربية. وقد اكتسبت فى منتصف القرن الماضى أهمية اقتصادية وسياسية عالمية.

فمن جهة، استقرت فرنسا فى المنطقة حيث كانت تبحث عن توطيد روابطها بأثيوبيا . وبتحديد أكثر، قامت فرنسا عام ١٨٦٢ بزرع علمها ثلاثى اللون فى "أوبوك" obock التى تعد اليوم من أقاليم جيبوتى. وتم توقيع معاهدة بين فرنسا وسلاطين "أوبوك" . ومن خلال هذه المستعمرة استطاع الفرنسيون تقويض السلطة الإنجليزية المتزايدة فى أرض الصومال.

وفى الواقع، كان الإنجليز يتحكمون فى التجارة القادمة من الحبشة أو المتجهة إليها وفى استغلال مناجم الذهب فى " هرر " Harrar و "أداليس" Adalis (مدينتان اثيوبيتان) و "زيلا" Zeila (ميناء صومالى). وقد فتح استقرار الفرنسيين فى "أوبوك" Obock قطبًا تجاريا جديدًا فى المنطقة.

ومن ناحية أخرى ، وعقب افتتاح قناة السويس عام ١٨٥٦ أصبحت فرنسا بحاجة إلى مرسى تتزود فيه بالمؤنة على هذا الطريق البحرى الذى يربط أوروبا بالشرق الأقصى . وفى عام ١٨٨٣ ، رفض الإنجليز توقف البواخر الفرنسية فى ميناء عدن (اليمن الجنوبية) . وقد حث هذا الإجراء الفرنسيين على الإسراع بزرع مستعمرات لها فى أفريقيا الشرقية . هكذا ، تم عام ١٨٨٤ تعيين " لاجارد" قائدًا رسميا Lagarde لـ"أوبوك" ، ثم وقع معاهدة مع الـ"عيسى" Issas التى تعتبر واحدة من الطائفتين الأكثر أهمية فى القرن الأفريقى . وبعد ذلك ، وفى عام ١٨٩٢ ، قام بنقل المقر السياسى والاقتصادى لـ"اوبوك" إلى لسان جيبوتى . وقد أدت هذه الخطوة إلى تدمير تجارة الإنجليز والمصريين نهائيا فى ميناء الصومال الكبير "زيلا" . وهذا ما ذكره "أرتور رامبو" Arthur Rimbaud فى تقريره عام ١٨٨٧ .

وتبعًا لذلك ، قامت فرنسا بتقوية روابطها مع أثيوبيا بفضل إنشاء خط سكة حديد يربط بين أديس أبابا وجيبوتى (١٨٨٦ – ١٩١٧) . وقد شهدت جيبوتى تطورًا مهما فى فترة ما بين الحربين .

وفى عام ١٩٤٩ تم إنشاء ميناء حر ومرفأ حر آخر فى جيبوتى وقد ارتبط هذا الأخير بالدولار الأمريكى. وفى عام ١٩٦٧ ، أصبحت جيبوتى "أرضًا فرنسية للـ"عيسى" و الـ"عفار" Afars وفى ٨ يونيو ١٩٧٧ حصلت جيبوتى على استقلالها وأصبحت بعد ذلك جمهورية جيبوتى .

وقد شهدت منذ هذا التاريخ رئيسين للجمهورية : "حسن جيوليد أبتيدون" Hassan Gouled Aptidon و"إسماعيل عمر جيله" Ismël Omar Guelleh الذى لايزال يشغل منصبه حتى الآن .

السكان :

كان عدد السكان فى هذا البلد ٥٠٠٠ نسمة فى نهاية القرن التاسع عشر ، أما اليوم فتشير الإحصاءات إلى أن عددهم يبلغ ٦٠٠ ألف نسمة منهم ٦٠ ألف بدو رحالة . وأهم جاليتين هما الـ"عفار" (أو "دناقيل") والـ "عيسى" (القبيلة الكبرى لشعب الصوماليين).

وقد ظهر الـ"عفار" منذ القرن الثالث وقد استقروا فى أريتريا فى خليج "تاجورة" Tadjourah مروراً باثيوبيا. وقد أطلق الأثيوبيون والبرتغال على هذا البلد اسم "عدال" Adal و أطلق عليه العرب اسم "دنقلة" Dankal ويتسم هذا الشعب بالطبقية وبالتنظيم.

والـ"عيسى" جزء من الشعب الصومالى الذى تشتت على أرض مساحتها ٨٥٠ألف كم٢ تشمل الصومال وكينيا وشمال وشرق اثيوبيا وجنوب جيبوتى. ويتميز هذا الشعب بتلاحمه فى مجال اللغة والثقافة.

وهذه الطوائف مسلمة إلا أن الحياة الإسلامية تتعايش مع ممارسة العادات والتقاليد الوثنية .

اللغة :

اللغة الفرنسية واللغة العربية هما اللغتان الرسميتان وتستخدم لهجات الـ"عفار" والـ"صومالى" فى الأدغال .

أما اللغة الفرنسية فهى لغة التعليم وتتم صياغة وكتابة الأعمال الإدارية بها .

ويبث التليفزيون الوطني برامج باللغة الفرنسية وبلغة الـ"عفار" وباللغة الصومالية وباللغة العربية. وتوجد جريدتان قوميتان شهيرتان، إحداهما باللغة الفرنسية والأخرى باللغة العربية.

التعليم :

إن كل الطلاب الملتحقين بنظام التعليم الحكومي يدرسون باللغة الفرنسية، وتصل النسبة الإجمالية للالتحاق بالتعليم ٣٩٪ . ويصل الرقم الإجمالي لعدد التلاميذ المسجلين بالمدارس ٢٧٦٥٠ في المرحلة الابتدائية و ٧٤٣٧ في المرحلة الأولى الثانوية و٣٥٥٣ في المرحلة الثانية. وتتم دراسة اللغة العربية منذ المرحلة الابتدائية في المدارس الحكومية.

إنشاء دار نشر في سياق فرانكفوني عربي :

عقب انتخاب الرئيس "إسماعيل عمر جيله" قام وزير التعليم بتنظيم المجالس العامة الأولى الخاصة بمجال التعليم في نوفمبر ١٩٩٩ وذلك منذ الاستقلال .

وقد تم حسم قضية لغة التعليم المستخدمة لصالح اللغة الفرنسية كما تمت الموافقة على المناهج الدراسية الفرنسية للأعوام القادمة .

وقد ظهر خلال هذه التظاهرة التي استمرت ستة أيام أن أحد عيوب النظام التعليمي في جيبوتي هو النقص الشديد في الكتب المدرسية داخل المدارس الحكومية. ومن جهة أخرى ، أثيرت قضية فقر المكتبات وارتفاع أسعار الكتب .

وبعد رصد الحالة ، قمت بتأسيس دار نشر القرن الأفريقي (ميكاد MECAD(*)) بهدف سد هذه الثغرات الثقافية. وقد شاركت حكومة جيبوتي بنسبة حوالي ٢٥٪ من

(*) بالفرنسية Maison d'éditions de la Corne de L'Afrique

هذا المشروع فضلاً عن شركة فرنسية للكتب بالإضافة إلى شركاء آخرين من فرنسا ومن جيبوتى. وقد تم توقيع عقود للنشر والمساعدة الفنية وللنشر المشترك مع مجموعات نشر فرنسية. وجوهر الـ"ميكاد" هو الجمع بين القوة السياسية والقوة الاقتصادية ومهارة الناشر .

إن تضافر هذه السبل هو الذى سمح باقتراح وضع برنامج متجانس لشراء الكتب لمجمل المؤسسات المدرسية من جهة ولتوفير كتب للشباب وكتب عامة فى الأدب وكتب مدرسية خارجية بفضل اتحاد المصالح الفرنسية ومصالح جيبوتى، وقد تم تقديم هذا المقترح فى سبتمبر ٢٠٠٠ .

هكذا ، ساهمت الـ"ميكاد" MECAD بالتعاون مع وزارة التعليم فى تحسين أوضاع الكتب المدرسية فى المنشآت التعليمية. ومن خلال الهيكل التجارى للـ"ميكاد" MECAD تم تطوير الحوار التربوى بين الناشرين الفرنسيين وحكومة جيبوتى بهدف تشجيع شراء الكتب المدرسية المفيدة للبلاد .

ومن جهة أخرى، سمحت الـ"ميكاد" بإيجاد تعاون بين التربويين فى جيبوتى والناشرين فى فرنسا بهدف نشر كتب للشباب فى اقرب وقت بحيث تكون قريبة من حياة الأطفال فى جيبوتى ويكون سعرها فى متناول اليد بفضل استخدام رءوس الأموال للناشرين الفرنسيين .

إن الـ"ميكاد" قائمة على توحد وتلاقى المصالح العامة والمصالح الشخصية .

وهدف هذه المؤسسة هو محاربة النقص غير المحتمل فى الكتب داخل بلد عربى فرانكفونى وذلك عن طريق التوفيق بين الأهداف السياسية والاقتصادية لجيبوتى فى مجال الثقافة وبين مقتضيات العاملين بقطاع الكتب فى المجال المالى .

وتمثل الـ"ميكاد" مكانًا يجعل منها عنصراً مختلطًا ذا طابع ثقافى حكومى وخاص . وهكذا تقوم بدورها كـ"شريك مستشار" فيما يخص أى نشاط ثقافى بهدف تقديم اقتراحات لإيجاد حلول مبتكرة ولتلبية احتياجات المعهد التربوى الوطنى فى جيبوتى بشكل خاص .

نقل النموذج إلى بلاد أخرى :

إن إنشاء دار نشر فى سياق عربى فرانكفونى مشروع يعود إلى فتحة ثقافية قد تختلف من مرة لأخرى. إلا أنه توجد ثوابت باقية :

يحدث كثيراً أن تتسم السوق المستهدفة بقوة شرائية متباينة. وبجانب ذلك يتطلب تمويل المشروعات الثقافية حلولاً مشتركة فى معظم الأحيان (هيئات عالمية وخاصة) . إن المشترين الثقافيين يجب أن يأخذوا فى الاعتبار الإرادة السياسية لقادة مهتمين بتنمية الاقتصاد المحلى. أحيانًا ما تكون سوق التصدير الإقليمية ذات معطيات مهمة. لذلك، فالهيكل القانونى يجب أن يكون فرنسيًا عربيا لأن ذلك يسمح بوجود متابعة لعلاقة الناشرين الفرنسيين والمسئولين الحكوميين والقطاع الخاص للبلد المختار. إن شهرة الشركاء تعتبر أحد عوامل النجاح سواء على مستوى المهارة الفنية أو التوزيع أو الصورة .

إن السوق المستهدفة فى سياق عربى فرانكفونى تشهد دائمًا تزايداً مستمراً بسبب التطور الديموجرافى. وتلتزم دار النشر بالمشاركة فى الدفاع عن القراءة العامة. لذلك يكون من المهم من جهة أن يتم إنتاج كتب باللغة الفرنسية لجمهور قراء مختار ومن جهة أخرى تطوير المكتبات العامة لتيسير الوصول إلى الثقافة .

إن الفائدة الموضوعية الأولى من وجهة نظرى تكمن فى تطوير خط نشر يخدم النواحى التربوية والموسوعية والشبابية .

هكذا، يتعين على أية دار نشر عربية فرانكفونية أن توجه إصداراتها إلى الكتب التربوية لأن المساعدة التى تقدمها رءوس أموال الناشرين الفرنسية تستطيع أن تضاعف بشدة من حجم الإنتاج . فضلاً عن ذلك فإن بعض المجموعات يمكن توزيعها فى منطقة مستهدفة بفضل هذا السياق العربى الفرانكفونى.

ومن جهة أخرى، تعتبر كتب الإعداد المهنى أساسية لأنها تساهم فى التقريب بين الطلاب والعالم المهنى . وتعد هذه الأعمال سهلة نسبيا فى طباعتها ؛ لأن بنوك المعلومات الدولية متوافرة لكل مهنة .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن الكتب التى تشتمل على ألعاب للأطفال ضرورية جداً ضمن إصدارات دار النشر؛ لأن الأمر يتعلق بسد احتياجات عاجلة سواء فى الطبعات الفرنسية أو العربية، ويمكن الحصول على دعم دولى لهذه الإصدارات.

وأخيراً ، يتعين إدراج الكتب العامة فى الأدب ضمن الخطة الخاصة بالنشر حتى يتمكن المؤلفون المحليون من نشر أعمالهم. وفى الواقع ، يقع على عاتق دار النشر أن تكون مركز إشعاع واتصال للكتاب. فعلى سبيل المثال ، تطور الأدب العام فى جيبوتى من خلال أنشطة الـ"ميكاد" MECAD منذ أولى سنوات نشاطها.

تشكل الفرانكفونية العربية إحدى مجالات التعاون الواعدة بين المتخصصين الفرنسيين وشركاء الجنوب .

لا يمكن لهذا التعاون أن ينجح ولا أن يتحقق إلا من خلال احترام الهويات والمصالح القومية. إن المخططات الاستعمارية الجديدة يجب أن تتم تنحيتها لصالح علاقات متساوية وعادلة .

البلاد العربية الفرانكفونية
عناصر فاعلة فى السياحة العالمية

بقلم : ألكسندر وولف

Alexandre Wolff

قائم بالأعمال بالمجلس الأعلى للفرانكفونية

فى عام ١٩٩٩ خصص المجلس الأعلى للفرانكفونية عدداً من "كراسات الفرانكفونية" للسياحة. وفضلاً عن وجود مقالين أحدهما مخصص لمصر والآخر للمغرب فإن التحليل الإحصائى للأرقام الخاصة بالسياحة قد أظهر بوضوح الدور الخاص الذى تلعبه بهذا الصدد عدد من البلاد العربية الفرانكفونية .

وقد بينت الأرقام انضمامنا إلى نادى "المليونيرات" قياسًا على أعداد الزائرين وإلى نادى "المليارديرات" إذا ما نظرنا إلى قيمة هذه الرحلات المتجهة إلى تونس ومصر والمغرب وقد لاحظنا كذلك الانهيار المفاجئ والشديد فى عدد الرحلات القادمة من بلاد المغرب والمتجهة إلى العالم أجمع ونحن نشدد هنا على أهمية الدخل الذى تستفيد منه هذه البلاد بسبب السياحة حتى إن بعض هذه البلاد- كلبنان على سبيل المثال- تحصل من السياحة على أكثر من ٥٠٪ من حصيلة التصدير .

إن تحديث المعطيات التى طبقناها على البلاد العشرة التى تتركز حولها دراستنا سوف يظهر لنا بعض خصائص هذا الفضاء لكنه سيبرز كذلك العناصر الخاصة التى ترقى إلى حد أن تستحوذ على اهتمام الفرانكفونية مثل البعد الثقافى لهذه الرحلات سواء كانت من أجل الترفيه فقط أو لها التزامات أخرى أو كانت تتعلق بحركات الهجرة التى تولد العديد من رحلات الذهاب والعودة. ويشجعنا على القيام بملاحظة دقيقة ومفصلة وجود عناصر مكونة للنجاح الاقتصادى مرتبطة بالسياحة فى هذه البلاد .

سياق إقليمى ...

إن العشر دول التى تركزت حولها دراستنا تنتمى لاثنين من التجمعات الجغرافية المميزة: أفريقيا- ماعدا أفريقيا الجنوبية - (الجزائر وجزر القمر وجيبوتى والمغرب وموريتانيا وتشاد وتونس) والتجمع الثانى هو الشرق الأوسط (مصر ولبنان وسوريا). وعدد السكان فى هاتين المنطقتين يبلغ ١٣٪ من عدد السكان فى العالم وتستقبلان حوالى ٢,٥٪ من عدد السائحين فى العالم (٧٨) . يسكن البلاد العربية الفرانكفونية ما يقرب من ٢٠٪ من عدد السكان الكلى وتشكل كذلك الجزء الأكبر من التجمعات الثانوية فى شمال أفريقيا (٧٠٪ من السكان) والشرق الأوسط (٥٢٪ من السكان) .

وإذا كانت هذه الدول العشر مجتمعة لا تمثل سوى ٢٪ من السوق العالمية سواء على مستوى أعداد الوصول (١٦ مليون) أو حصيلة الإيرادات (٩,٤ مليار دولار) فإن هذه الدول العشر تحقق ٤٣,٨٪ من إجمالى أعداد الوصول فى المناطق الموجودة بها وأكثر من ٥٥٪ من حصيلة الإيرادات فيها. ويبلغ حجم هذه الدول ٧٦٪، ١٠ ٪ من حصيلة الإيرادات السياحية للفرانكفونية وتستقبل ٨,٧٪ من زائريها (أرقام عام ١٩٩٨). ونسبيا تمثل السياحة ثقلاً مهما لهذه البلاد العربية الفرانكفونية حيث إنها تستقبل فى المتوسط سائحًا لكل ثمانية من السكان مع وجود نسبة أخرى مذهلة فى تونس حيث تصل النسبة إلى سائح لكل اثنين من السكان .

إن أهمية السياحة فى التصدير تعطى لنا مزيداً من الإيضاحات وتؤكد ثقل هذه الإيرادات بالنسبة للاقتصاديات المغربية والتونسية والمصرية وخاصة السورية واللبنانية. ربما يكون ذلك خياراً إستراتيجيا أو شيئًا مفروضًا بسبب المعطيات الاقتصادية المحلية بل أحيانًا يكون ذلك بسبب " أوهام إحصائية" تتعلق بأرقام كلية ضعيفة فتعطى ثقلا نسبيا لأرقام متواضعة (كما هو الحال فى لبنان) - إلا أنه يتعين مع ذلك أن نتوقف عند هذه الملاحظات الرقمية.

جدول إقليمى للسياحة فى البلاد العربية الفرانكفونية

	وصول السائحين لعام ١٩٩٩ *(بالمليون)	حصة السوق الإقليمية	إيرادات السياحة لعام ١٩٩٩ ** (بالمليار دولار)	حصة السوق الإقليمية	إيرادات التصدير (١٩٩٨)
العالم	٦٥٠,٢٠	S.O.	٤٥٥,١٠٠	S.O.	•
شمال أفريقيا ومنها :	٩,٤٠	S.O.	٣,٤٦٧	S.O.	•
الجزائر	٠,٧٤٩	٧,٩٧٪	٠,٠٢٤	٠,٦٩٪	٠,٢٠٪
المغرب	٣,٨١٧	٤٠,٦١٪	١,٨٨٠	٥٤,٢٣٪	١٧,٥٠٪
تونس	٤,٨٣٢	٥١,٤٠٪	١,٥٦٠	٤٥٪	١٨,٤٠٪
الإجمالى	٩,٣٩٨	٩٩,٩٨٪	٣,٤٦٤	٩٩,٩١٪	—
الشرق الأوسط ومنها :	١٨,١٠	S.O.	٩,٧٢٠	S.O.	—
مصر	٤,٤٨٩	٢٤,٨٠٪	٣,٩٠٣	٤٠,١٥٪	١٩٪
لبنان	٠,٦٧٣	٣,٧٢٪	٠,٦٧٣	٦,٩٢٪	٧٠,٧٠٪
سوريا	١,٣٨٦	٧,٦٦٪	١,٣٦٠	١٣,٩٩٪	٢٤,١٠٪
الإجمالى	٦,٥٤٨	٣٦,١٨٪	٥,٩٣٦	٦١,٠٧٪	S.O.
أفريقيا ومنها :	٩,١٠	S.O.	٣,٧٢٠	S.O.	—
جزر القمر	٠,٠٢٤	٠,٢٦٪	٠,٠١٩	٠,٥١٪	N..D
جيبوتى	٠,٠٢١	٠,٢٣٪	٠,٠٠٤	٠,١١٪	N.D
موريتانيا	٠,٠٢٤	٠,٢٦٪	٠,٠٢٨	٠,٧٥٪	٥,٣٠٪
تشاد	٠,٠٤٧	٠,٥٢٪	٠,٠١٠	٠,٢٧٪	٣٪
الإجمالى	٠,١١٦	١,٢٧٪	٠,٠٦١	١,٦٤٪	—
إجمالى الدول العربية الفرانكفونية	١٦,٠٦	٤٣,٨٩٪	٩,٤٦١	٥٥,٩٦٪	—
الحصة العالمية	٢,٤٧٪	—	٢,٠٨٪	—	—

وفقًا لاتجاهات الأسواق السياحية : نظرة على العالم وأخبار السياحة . المنظمة الدولية للسياحة (OMT) مايو ٢٠٠١

* ١٩٩٨ لجيبوتى ** ١٩٩٨ للجزائر وجيبوتى وتشاد

... تحدده خصائص قومية

سيكون من الأفضل أن نتوقف فى البداية عند منطقة شمال أفريقيا حيث يقترب معيار الفرانكفونية العربية من نسبة المائة بالمائة، ويعتبر السودان وحده خارج هذا التصنيف. وتحتل الجزائر والمغرب وتونس مكانة خاصة حيث تستقبل ما يقرب من

العدد الإجمالى من السائحين الموجودين بالمنطقة وتحصل على معظم الإيرادات التى تستتبعها . إذا كانت تونس تسيطر على السوق الإقليمية فيما يتعلق بعدد وصول السائحين (حيث يتعدى عدد السائحين فى المغرب مليون سائح) فإن المملكة المغربية تحصل على أكبر عائد مالى حتى إذا كانت إيرادات السياحة أقل من المعدل التونسى مقارنة بإجمالى الصادرات. إن كثافة التنقلات المتجهة إلى بلاد المغرب تستحق الدراسة وذلك فى ضوء رحلات الذهاب والعودة التى تقوم بها الجاليات المهاجرة التى تقيم فى شمال البحر المتوسط خاصة فى فرنسا. لقد أظهرت الاستقصاءات وجود ظاهرة عودات متكررة لأرباب الأسر الذين خرجوا للعمل فى الشمال فيعودون للقاء أسرهم التى ظلت فى الوطن . إن وصول غير المقيمين متضمنة فى الإحصاءات الخاصة بأرقام السياحة الدولية فى البلاد. وفى فرنسا على سبيل المثال أظهر إحصاء عام ١٩٩٩ أن السكان من الأجانب المقيمين بصفة دائمة منهم اكثر من ٥٣٠٠٠٠ من رعايا بلاد المغرب العربى (أى حوالى ٢٢,٧٪ من إجمالى عدد الأجانب الذين تم حصرهم)، ويأتى على رأسهم المغاربة (٢٢١٦٨٦) ويليهم الجزائريون (٢٠٨٠٧٦) والتونسيون (١٠٦٢٦٦) ، مما يمثل تجمعًا كامنًا من المسافرين.

فعلى سبيل المثال كم يبلغ عدد المهاجرين من بين عدد المسافرين الذين سافروا إلى المغرب من فرنسا عام ٢٠٠٠ والذين بلغ عددهم ٨٧٧٠٠٠ (أى ٣٣٪) من الإجمالى ؟

إن هذه الملاحظات تساهم فى إظهار وضع غير طبيعى تشهده الجزائر. فالقدرة السياحية للجزائر تساوى قدرة جاراتيها مجتمعتين والوضع نفسه نجده فيما يتعلق بعدد غير المقيمين من أصل جزائرى والذين من المفترض عبورهم للحدود الشمالية. ويمكن فقط للظروف المضطربة للغاية والتى تخيم على الحياة اليومية فى هذا البلد أن تفسر المستوى المتردى الذى تتسم به السياحة المحلية (أقل من ٨٪ من الإجمالى الإقليمى).

فى الشرق الأوسط، نجد أن البلاد العربية الفرانكفونية بها أهم معدلات للسياحة فى المنطقة على مستوى إيرادات السياحة بالنسبة لصادراتها : حيث تصل النسبة إلى

١٩٪ في مصر و ٧٠٪ في لبنان و ٢٤ ٪ في سوريا { وتقترب سوريا فقط بنسبة ٢٣٪}. وتمثل هذه البلاد مجتمعة أكثر من ٦٠٪ من الإيرادات السياحية في المنطقة حيث تسجل فقط ٣٦٪ من أعداد الوصول . إن هذا الرقم لا يؤكد فقط اختيار السياحة كأداة للتنمية الاقتصادية لكنه يثبته/كما تظهر الإيرادات الناتجة عن السياحة حيث تبلغ هذه الإيرادات الضعف على مستوى رحلات الوصول. ولا يفسر ذلك سوى المستوى الجيد الذي يتميز به تنظيم البنيات الأساسية و التدفقات التي تزيد من العائد الذي يتم تحصيله من كل زائر .

إن متابعة البلاد العربية الفرانكفونية في أفريقيا الصحراوية تظهر لنا أربعة بلاد هي جزر القمر وجيبوتي وموريتانيا وتشاد وهي تسجل أرقاماً ضعيفة للغاية سواء على مستوى أعداد الوصول الذي يبلغ حوالي عشرة آلاف زائر سنويا أو على مستوى إنفاقهم داخل البلاد . واستطاعت موريتانيا فقط أن تسجل حوالي ٥٪ من عائدات التصدير حيث سجلت بالكاد ٢٠٠٠٠ شخص وصلوا إليها عام ١٩٩٩ .

الآفاق المتاحة للفرانكفونية :

لقد اختار المسئولون عن هذا العدد من " كراسات الفرانكفونية" تخصيصه للفرانكفونية العربية وذلك موضوع جديد بالتأكيد إلا أن ظواهره واضحة خاصة في مجال التعبيرات الثقافية المختلطة وفي مجال الحميمية اللغوية التي تزدهر اللغة الفرنسية في إطارها.

إن هذه المعطيات الثقافية تؤثر أحيانًا على المؤشرات التي تعطيها لنا دراسة التدفق الاقتصادي (انظر مقال تيفان بونوتيل Tiphaine Bunetel) خاصة عندما يتوافق مع تحركات الأشخاص كما هو الحال بالنسبة للسياحة .

ولنذكر أن حيوية قطاع السياحة والذي يعتبر مورداً أساسيا لبعض البلاد يعتمد أساسًا على ثرواتها الطبيعية وعلى قدرات البلد على إظهار قيمة هذه الثروات وعلى استقبال السائحين ولكن أيضًا على بعض الخصائص الإقليمية المميزة والتي اعترفت

بقيمتها دول الفرانكفونية. فكيف لا يؤخذ فى الاعتبار إشكالية الهجرة التى تحتل مساحة كبيرة داخل الإطار العربى الفرانكفونى والتى تتداخل بشكل خاص مع دوائر عديدة تم تحديدها منذ زمن على أنها مجالات لها الأولوية بالنسبة للفرانكفونية .

وعلى سبيل المثال نذكر مبدأ التضامن والتعاون المشترك ومبدأ احترام اللغات والثقافات وتطويرها داخل الفضاء الفرانكفونى، وكذلك مبدأ الفرانكفونية باعتباره مركزًا موجهًا نحو حوار الثقافات والسلام داخل بلاد يرتبط فيها الواقع اللغوى والاجتماعى بالفرانكفونية كما لو كان ذلك ارتباطًا مؤكدًا.

اختبارات اللغة الفرنسية فى مجال الأعمال والمهن التابعة لغرفة التجارة والصناعة بباريس فى البلاد العربية

غرفة التجارة والصناعة بباريس
إدارة العلاقات الدولية والتعليم

فيما يلى عرض سريع لنشاطات غرفة التجارة والصناعة بباريس CCIP فى مجال تعليم اللغة الفرنسية الخاصة بالأعمال والمهن داخل البلاد العربية .

الجزائر :

لم يتم الإعداد لأية دورة اختبارات فى هذا البلد مؤخراً إلا أن الغرفة الفرنسية للتجارة والصناعة بالجزائر (CFCIA) قد لجأت إلينا مؤخراً ، حيث أرادت هذه الهيئة تطوير تدريس اللغة الفرنسية الخاصة بمجال الأعمال فى الجزائر والبدء فى اختبارات غرفة التجارة والصناعة بباريس. وبناءً على طلب هذه الهيئة قام أحد خبرائنا بالذهاب إلى الجزائر العاصمة فى مهمة خاصة مؤخراً بهدف إعادة أساتذة جزائريين فى مجال اللغة الفرنسية حيث قامت الغرفة الفرنسية للتجارة والصناعة بالجزائر منذ الواحد والعشرين من فبراير ٢٠٠١ بتقديم محاضرات فى اللغة الفرنسية الخاصة بمجال الأعمال وذلك فى المركز الثقافى الفرنسى . وقد جاء هذا الحدث الجديد تلبية لحاجة بدأت تظهر حاليًا فى أوساط الأعمال الجزائرية .

البحرين :

فى ديسمبر ١٩٩٩ وبناءً على طلب من "فرانك روميرو" Franck Romeroالملحق الفرنسى للتعاون بالمكتب الثقافى لسفارة فرنسا قام أحد خبراء غرفة التجارة والصناعة بباريس بمهمة تهدف إلى تدعيم تدريس اللغة الفرنسية المتخصصة فى البحرين. وكان الهدف الأساسى هو خلق دراسة باللغة الفرنسية داخل النظام الجامعى بالتعاون مع المسئولين والأساتذة المهتمين باللغات داخل جامعة البحرين . وكانت هذه المهمة تتركز من جهة حول تقييم الاحتياجات فى هذا المجال وتحديد الإستراتيجية المطلوبة ومن جهة أخرى حول إعداد أساتذة فى اللغة الفرنسية عن طريق تعريفهم بتدريس اللغة الفرنسية الخاصة بمجال الأعمال .

وفى ٢٥ يناير ٢٠٠٠ تم توقيع اتفاقية فى باريس بين غرفة التجارة والصناعة بباريس وجامعة البحرين بهدف إنشاء شبكة لمراكز الإعداد لاختبارات غرفة الصناعة والتجارة بباريس – من خلال الجامعة – داخل دول مجلس التعاون الخليجى. ومن المتوقع أن تؤتى مساهمات غرفة التجارة والصناعة بباريس ثمارها فى هذه المنطقة فى المستقبل .

الإمارات العربية المتحدة :

إن " الأليانس فرانسيز " Alliance Françaiseفى أبو ظبى عضو فى غرفة التجارة والصناعة بباريس منذ عدة سنوات وهى حالياً غير نشطة ، إلا أن " الأليانس فرانسيز" فى دبى قد قامت مؤخراً بتوقيع اتفاقية تعاون مع غرفة التجارة والصناعة بباريس بهدف فتح مركز للامتحانات هناك .

مصر :

منذ عدة عقود تقوم المكاتب الثقافية لفرنسا بنشاط كبير فى مصر لتطوير اختبارات اللغة الفرنسية الخاصة بمجال الأعمال والتابعة لغرفة التجارة والصناعة

بباريس . فى البداية كان معظم المتقدمين طلاباً من العديد من المدارس الكاثوليكية الخاصة والمنتشرة فى البلد لكن منذ عدة سنوات أدى إصلاح التعليم إلى تقليص أعداد المتقدمين للحصول على شهادة ممارسة اللغة الفرنسية التجارية والاقتصادية .

ومنذ فترة وجيزة بدأ مرشحون فى التقدم من مؤسسات تعليمية عليا وخاصة القسم الفرانكفونى لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة حيث يتقدم الطلاب بالتسجيل لهذه الدراسة للحصول على الدبلوم العالى فى اللغة الفرنسية ومن المتوقع أن يتحسن الوضع تدريجيا .

ومن المتوقع القيام بالخطوة نفسها فيما يتعلق بالأقسام الفرانكفونية الأخرى مثل IDAI (معهد القانون الخاص بالأعمال الدولية) والـ FFJ(القسم الفرانكفونى للصحافة) من أجل تطوير مساهمات غرفة التجارة والصناعة بباريس .

لقد ذهبت "جيلان ماراتييه ديكليتى" Guilhéne Maratier Declétyمديرة العلاقات الدولية إلى القاهرة يومى ٢١ و ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٠ وقامت خلال هذه الزيارة بتوقيع اتفاقية تعاون بين غرفة التجارة والصناعة بباريس وكلية الآداب بجامعة حلوان وتنوى كلية السياحة والفنادق بالجامعة نفسها أن تقوم قريباً بفتح المجال لاختبارات اللغة الفرنسية الخاصة بمجال السياحة والفنادق التابعة لغرفة التجارة والصناعة بباريس. ومن المفترض أن يعرف هذا الاتفاق الجامعات المصرية الأخرى بأهمية اللغة الفرنسية الخاصة بمجال الأعمال والمهن .

المغرب :

إن المعاهد الفرنسية بالدار البيضاء وفاس هى الوحيدة النشطة .

وتعد المعاهد الفرنسية فى طنجة وتطوان والمراكز الثقافية فى قنيطرة ومحمدية جزءاً من شبكتنا ، إلا أنه لم يتقدم أية مرشحين منذ زمن وفى خطتنا أن ندفع نشاطنا هناك قدماً .

لبنان :

ليست لدينا حتى الآن مراكز امتحانات عاملة فى هذا البلد إلا أن البعثة الثقافية الفرنسية فى لبنان تنوى فى المستقبل القريب أن تقوم بإعداد مرشحين لاختبارات اللغة الفرنسية القانونية ولغة السكرتارية. وسوف يتم الإعداد لهذا تدريجيا فى مراكز بيروت ونبطية وطرابلس وبعدها صفد ثم تير [١] .

سوريا :

إن المركز الثقافى الفرنسى فى دمشق مركز اختبارات نشط .

تونس :

المعهد الفرنسى فى تونس العاصمة نشط بدوره .

(١) وللتذكير نقول بأن غرفة التجارة والصناعة بباريس تشرف فى بيروت على مدرسة كبرى للتجارة تتم الدراسة فيها باللغة الفرنسية .

الفصل السابع

دور وسائل الإعلام

الصحافة العربية الفرانكفونية
والصحافة الفرانكفونية

بقلم : جيل كرايمر Gilles KRAEMER

صحفى حاصل على الدكتوراه فى علوم الإعلام

والمسئول الدولى عن مركز إعداد وتدريب الصحفيين - باريس

وصف الكاتب صلاح ستيتيه (١) فى يوم من الأيام الصحافة العربية الفرانكفونية بأنها "الطفل المعجزة"، وهذه الصحافة تستمر وتتطور اليوم فى بلاد المغرب العربى وفى مصر وفى لبنان . منذ حصول البلاد العربية على استقلالها بعد معاناة كبيرة وعلى الرغم من محاولات استعادة الهوية القومية وعلى الرغم من سياسات التعريب ووجود أيديولوجيات تدافع عن القومية العربية والإسلامية فإنه توجد عام ٢٠٠١ حوالى خمسين جريدة يومية وأسبوعية عامة محلية باللغة الفرنسية فى هذه البلاد العربية الخمسة، وذلك غير عشرات المجلات المتخصصة سواء كانت نسائية أو اقتصادية أو مهنية . وفى كل عام تظهر أسماء جديدة .

بالتأكيد ، تعتبر أقدم الجرائد العربية الفرانكفونية هى الجريدة المصرية اليومية "لوبروجريه إيجيبسيان (١٨٩٣) "Le Progrès Egyptien تليها دوريات لبنانية مثل "لاريفى دى ليبان (١٩٢٨) " La Revue du Liban و "لوريان- لوجور (١٩٧١) " L'Orient-LeJour الذى نتج عن اندماج مجلتين يرجع تاريخهما إلى ١٩٢٤ و١٩٣٤ .

(١) صلاح ستيتيه كان ضيف اليوم الثانى للصحافة العربية الفرانكفونية اللذين نظمهما الاتحاد الدولى للصحفيين والصحافة الناطقة بالفرنسية (UIJPLF) فى بيروت فى ١٥ مارس ١٩٩٨ وقد قدم مداخلة بعنوان : "العربية والفرنسية: حوار حتمى" أعاد من خلالها صياغة هذه العبارة المأخوذة عن تاريخ فرنسا والتى تشير إلى ابن الدوق "بيرى" الذى مات مقتولاً .

وقد نشأت فى السر تيارات استقلالية مثل "لورونفو/لاكسيان/ "Le Renouveau L'Actionلعام ١٩٣٣ و "المجاهد" Moujahid عام ١٩٥٩ وقد تولدت هذه التيارات عن الإصدارات التى استمرت خلال الفترة الاستعمارية ومنها كذلك "صحافة تونس" (١٩٣٦). وقد نشأت العديد من الحركات السرية الاستقلالية بعد تصريحات الاستقلال مباشرة ("لوبينيون" L'opinion عام ١٩٦٢ و"ليبيراسيون" Libération عام ١٩٦٤ فى المغرب) وكانت الحركات الأكثر عدداً تلك التى ظهرت إبان نهاية العالم ثنائى القطب، فظهرت فى المغرب جرائد أسبوعية مثل "لوروبورتير (١٩٨٨) " Le Reporter و "لافيريتيه (٢٠٠٠) " La Vérité و "دومان (٢٠٠٠) " Demain وجرائد يومية جزائرية مثل "لانوفال ريبوبليك (١٩٩٨) "La Nouveile République و"لوموند اجوردويه" Le Monde Aujourd'hui و"لوسياكل" Le Siècle و "لايكسبريسيون(نوفمبر ٢٠٠٠)" L'expression وقد ساعدت هذه الصحافة على الحفاظ على ديناميكية السنوات الأولى فى التسعينيات.

وقد شهد هذا العقد صدور صحافة جديدة خاصة بفضل تحرير الأنظمة السياسية فى المغرب والجزائر وبفضل نهاية الحرب الاهلية فى لبنان وقد ظهرت هذه الصحافة فى وقت استطاعت فيه هذه الدول " التى تشترك فى اللغة الفرنسية" ان تحقق طموحات دولية من خلال مشروع جغراسى حقيقى فى مواجهة العولمة. حيث تسعى الفرانكفونية إلى الاضطلاع بدور لحماية التعددية الثقافية للمجتمعات من دون جميع المنظمات الدولية الاخرى. وقد تمت المطالبة بهذا البعد السياسى رسميا منذ انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية الفرانكوفون فى مراكش فى ديسمبر ١٩٩٦ .

فما هو الموقف الذى تبنته منذ ذلك الحين الجرائد العربية الفرانفكونية إزاء هذا التوجه الجديد ؟ و ما هى القنوات الطبيعية له ؟ إن استقصاء منهجى تم القيام به مع رؤساء التحرير أو مديرى الاثنتين وثلاثين جريدة يومية أو أسبوعية ذات الثقافة العامة فى بلاد المغرب ولبنان ومصر يسمح لنا بتقديم عناصر إجابة عن هذا السؤال وهى عناصر جاءت مخالفة للأفكار المكتسبة بهذا الشأن [١].

(١) إن هذه الدراسة كانت موضوع لرسالة دكتوراه بعنوان : "الجغرافيا السياسية للصحافة الفرانكفونية فى البحر المتوسط" (أبريل ٢٠٠١) وهى تستند على تحليلات للمضمون وعلى استقصاء يشتمل على ٦٤ سؤالاً تم توجيههم إلى رؤساء تحرير أو مديرى تحرير جرائد ومجلات يومية أو أسبوعية خاصة فى بلاد المغرب العربى ومصر ولبنان (بالإضافة إلى "قال داوست" التى تم استبعادها من هذا المقال). وقد تم فقط سؤال خمسة مسئولين عن جرائد يومية خاصة فى الجزائر ولكن خارج الجزائر حيث تعذر الذهاب إلى هناك لدواع أمنية.

إن أغلب هذه الجرائد لا تدرج الفرانكفونية على صفحتها الرئيسية- أو تقوم بذلك بصورة ثانوية - حيث أجاب ١٦ منهم بأنهم يستبعدونها مقابل ٩ يدرجونها. وهذا الوضع الملاحظ يثير الدهشة خاصة أننا كنا نتخيل أن تعيين بطرس بطرس غالي وهو من كبار الشخصيات "العربية الفرانكفونية" على رأس المنظمة الدولية للفرانكفونية (OIF) سوف يثير حماسة رؤساء التحرير في بلاد المغرب والمشرق.

وفيما وراء المعاني الأربعة المعتادة التي يتضمنها مفهوم الفرانكفونية (المفهوم اللغوي والمفهوم الجغرافي والمفهوم الفكري والمفهوم المؤسسي) فإن العديد من القائمين على الصحافة العربية الفرانكفونية مازالوا متأثرين بالبعد الصراعي للقضية. ويرفض الجزائريون في الغالب هذا المفهوم لما يحمله من معاني استمرار الإمبراطورية الفرنسية في فترة ما بعد الاستعمار حيث يرون في هذه الفرانكفونية استمراراً له في الوقت الذي يرى فيه العديد من المغاربة مركز إشعاع يحقق الهيمنة الثقافية والاقتصادية لفرنسا.

إلا أن اللوم يقع أكثر على عدم وضوح المؤسسات الفرانكفونية وإلى ضعف الإمكانات التي تم توفيرها للدفاع عن اللغة الفرنسية على الأرض بشكل عام وفي مواجهة التطور الأحادي للغة الإنجليزية على مستوى كل دولة على حدة بشكل خاص. ويوجد العديد من المغاربة والتونسيين الذين يرون أنه يوجد عدم ترابط في خطاب فرنسا عن الفرانكفونية في الوقت الذي تقوم فيه بسحب القائمين على التعاون داخل الأنظمة التعليمية المحلية مع الإبقاء على إجراءات ثقيلة لمنح تأشيرات الدخول إلى أراضيها.

إذا كانت الغالبية العظمى من الذين أجابوا على استقصائنا يطالبون بمشاركة شخصية أو مشاركة بحكم منصبهم داخل شبكة الفرانكفونية خاصة في الاتحاد الدولي للصحفيين وللصحافة الناطقة بالفرنسية (٢٤ مجيباً من إجمالي٣٢)[١] فإنه

(١) يضم الاتحاد الدولي للصحفيين وللصحافة الناطقة بالفرنسية (UIJPLF) في نوفمبر ٢٠٠٠ ، ٨٤٣ عضواً ينتمون لـ ١٩ دولة عربية منهم ٤١٢ في الجزائر و ١٩ في مصر و ٦٣ في لبنان و ٢٢٨ في المغرب و ٣٢ في تونس.

من الملاحظ أن هذه المشاركة لا تؤدى بالضرورة إلى وجود تضامن فعال يتخطى مجرد المشاركة فى بعض الندوات أو المؤتمرات الدولية . حيث يوجد بشكل ملحوظ غياب للتعاون الفرانكفونى بين بلدان الجنوب وأكشاك بيع الجرائد المغربية إذ لا توجد أية جريدة جزائرية هناك- والعكس صحيح، فى حين أنه من المستحيل أن نجد فى تونس العاصمة جريدة مغربية أو جزائرية أو تجد فى مصر جريدة لبنانية مثل "لوريون أجوردويه" أو أن نجد "الأهرام إبدو" المصرية فى بيروت .

صحيح أن الصحافة العربية الفرانكفونية لها وضعية غريبة ترجع إلى هيكلها نفسه حيث أن هذه الصحافة صحافة قومية إلا أن لغتها غير قومية ومن هنا يتعين عليها أن تظل قريبة من القراء الشغوفين بالأخبار المحلية والقادرين على متابعة الأحداث الراهنة العالمية من خلال الإذاعات الدولية أو القنوات الفضائية العديدة، إلا أن هذه الصحافة يجب فى الوقت نفسه أن تقدم للقراء انفتاحاً مميزاً على العالم بفضل تمتعها بالتعبير بلغة أخرى غير اللغة القومية.

إن الأحداث الدولية يتم التعامل معها من خلال "ارتباطها بالجزائر "- على حد تعبير مدير الجريدة اليومية الجزائرية " ليبرتيه " Liberté أو مع أى من البلاد المعنية.

و تواضع المكان الذى تحتله المعلومة الدولية يجعل معظم الجرائد والمجلات العربية الفرانكفونية مشابهة للصحافة اليومية أو الأسبوعية الإقليمية فى فرنسا. هكذا نجد أن الصحف والمجلات تفرد مساحة صغيرة للأخبار البعيدة عن الأخبار القومية أو المحلية ومن هنا سيكون من المفيد أن نرى المكان الذى تفرده لتغطية الأحداث السياسية الجغرافية مثل قمة رؤساء الدول والحكومات التى تشترك فى التعامل باللغة الفرنسية والتى عقدت فى هانوى فى الفترة من ١٤ إلى ١٦ نوفمبر ١٩٩٧ .

ومن المدهش أن الدوريات التى تحدثت قليلاً عن هذا الحدث ذكرته فى الصفحات المخصصة للأخبار العالمية، أما تلك التى أفردت له مساحة أكبر فقد وضعته أيضاً فى عامود مميز. كيف لا نلحظ الانشغال بمبدأ الجوار الذى يكتسب معنى رمزيا أكثر منه جغرافيا عندما نرى جريدة " لوبروجريه إيجيبسيان"المصرية تنشر عشية عقد قمة هانوى حواراً مع بطرس بطرس غالى بالإضافة إلى مقال للتعريف بالقمة فى صفحة

عنوانها "رؤية مصرية" (١٣ نوفمبر ١٩٩٧)؟ بعض الجرائد أو المجلات الأسبوعية خصصت صفحة خاصة بالفرانكفونية مثل "الأهرام إبدو" و "لوبروجريه ديمانش" و"ماروك إبدو" من أجل تصنيف الأخبار بينما نجد جريدة "لورونوفوه" اليومية والتابعة للحزب الجمهورى التونسى تخصص تباعًا صفحة باسم "العالم" وأخرى باسم "الوطن" عندما يتعلق الأمر بتصريحات رئيس الوزراء التونسى الذى يمثل الدولة فى قمة هانوى (١٦ نوفمبر ١٩٩٧).

إن تغطية قمة هانوى قد احتلت أهمية فى الصحافة الفرانكفونية فى المشرق وفى تونس . إلا أن الجرائد المغربية التى انشغلت بالانتخابات التشريعية لم تنشر سوى صدى معتدلاً وعاما بل وسطحيا عن هذا الحدث فى حين قامت الجرائد اليومية الجزائرية بتجاهله أو نقده. وعلى الرغم من تعيين دبلوماسى دولى مثل بطرس بطرس غالى على رأس الفرانكفونية وقد حق ذلك ضمانًا لوجود وساطة عالمية يمكن للصحافة العربية الفرانكفونية أن تستفيد منها فإن العديد من الصحف قد تجاهلت هذه المعلومة الهامة . (مثل جريدة "لاتريبون" الجزائرية أو "ليبيراسيون" المغربية).

وفيما عدا التعاطف الذى أظهرته الصحافة المشرقية (والتونسية بقدر ضئيل) فإنه بالنسبة لبطرس غالى هذا الرجل العربى الفرانكفونى لا يوجد حتى الآن شعور حقيقى بالتضامن وبالانتماء المشترك للمشروع الفرانكفونى. إن رئيس تحرير "ماروك إبدو إنترناشيونال" السيد خليل هاشمى إدريس يعبر عن غموض هذا الوضع قائلاً : " إن الفرانكفونية تعبير عن رؤية مشتركة للعالم من خلال اللغة الفرنسية القائمة على قيم غالية (الديمقراطية وحقوق الإنسان ودولة القانون). إلا أن أية محاولة لتشكيل هذا داخل إطار عملى يضعف هذه الرؤية فهى رؤية تعظم الحرية ولكنها لا يمكن جعلها أداة لتحقيقها فى ظل صراع عالمى. إن ذلك يعنى أن الفرانكفونية هى كل يدركه كل فرد ويدرك أنه يتقاسمه مع الآخرين. باختصار إننا مازلنا غارقين فى وضع افتراضى!"

فضلاً عن ذلك، إن ما يظل مشتركًا بين المتشككين فى الفرانكفونية والمتحمسين لها هو التمسك باللغة الفرنسية. حتى رؤساء التحرير الجزائريين يُذكّرون دائمًا بالمقولة التى كتبها " كاتب ياسين" : " إن اللغة الفرنسية ضريبة الحرب"، ولذلك أسبابه. ويؤكد

أربعة عشر رئيس تحرير أن اللغة الفرنسية تسمح فى الواقع بتناول موضوعات لا تسمح بها اللغات القومية وقد كانت الأسباب المذكورة ذات طابع فنى أو ثقافى، حيث توجد سهولة أكبر فى الحديث عن الاكتشافات العلمية باللغة الفرنسية عنها باللغة العربية الفقيرة فى الاصطلاحات والمفاهيم المعاصرة- أو ربما يكون السبب وجود تابوهات دينية أو سياسية أى محظورات. إن التذكير الدائم بالقيم العربية الإسلامية يؤثر بشدة على الصحافة العربية ويمنعها غالبًا من تناول موضوعات مثل العلمانية أو تحليل التيار الإسلامى أو مستقبل الملكية فى المغرب أو الجنس... وغيرها.

ويوجد أيضًا العديد من رؤساء التحرير الذين يرون أن اللغة الفرنسية تسمح بتناول الموضوعات بشكل مختلف (٢٦ أجابوا بذلك ومنهم خمسة بشكل متوار). ووفقًا لما قاله البعض فإن السمات المميزة للغة الفرنسية تتجسد فى الاستعارة والدقة والوسطية والحيادية والفعالية والحرية والحداثة. ويطالب معظم رؤساء التحرير بأن تضطلع الصحافة العربية الفرانكفونية بدور اجتماعى مميز على المستوى القومى أكثر من منافستها المباشرة ألا وهى الصحافة القومية الناطقة بالعربية التى لا تلعب هذا الدور أو تضطلع به بشكل مختلف .

BIBLIOGRAPHIE

- CHEVALDONNE François (sous la dir.), Lunes industrielles, les médias dans le monde arabe, أقمار صناعية ووسائل الإعلام فى العالم العربى Aix-en-Provence: Edisud, 1988.

- ELIAS Hanna Elias. La presse arabe. الصحافة العربية Paris: Maisonneuve et Larose, collection Orient-Orientations, 1993.

- FREUND Wolfgang Slim (et al.) L'information au Maghreb, الإعلام فى بلاد المغرب Tunis: Cerès production, 1992.

- GARON Lise, Le Silence tunisien et les alliances dangereuses au Maghreb, Montréal: الصمت التونسى والتحالفات الخطيرة فى بلاد المغرب L'Harmattan, 1998.

- KRAEMER Gilles. Trois siècles de presse francophone dans le monde (hors de France, de Suisse, de Belgique et du Québec).ثلاثة قرون من الصحافة الفرانكفونية فى العالم خارج فرنسا وسويسرا وبلجيكا والكيبيك Paris: L'Harmattan, 1995.

- MOUFFOK Ghania, Etre journaliste en Algérie, أن تكون صحفيا فى الجزائر Paris: RSF, 1996.

ما الغاية من المجلة الشهرية
" عربيات " Arabies ؟

بقلم : مارك يارد

Marc Yared

المستشار الإدارى لمجلة " عربيات " محاضر

التف فريق صغير حول " ياسر هوارى " ذلك الرجل المحنك فى الصحافة العربية والذى رأس تحرير " الأسبوع العربى " فى بيروت و " كل العرب " بباريس خلال السبعينيات وخلال النصف الأول من الثمانينيات، وكان ذلك الفريق مكونًا أساسًا من لبنانيين وفرنسيين واستطاع أن يصدر فى الأول من أكتوبر عام ١٩٨٦ على ضفاف نهر السين العدد صفر من مجلة " عربيات " Arabies وكان الاسم الثانوى لهذه المجلة واضحًا : المجلة الشهرية للعالم العربى وللفرانكفونية ... وقد ظهر العدد الأول منها فى الثانى من يناير ١٩٨٧ .

وبدا هذا المشروع وكأنه مغامرة حيث تشهد الفرانكفونية - التى لا تعنى سوى حوالى أربعين بلدًا معظمهم فى أفريقيا - تراجعًا شديدًا . فالقراء الناطقين بالفرنسية والمهتمين بالعالم العربى عددهم ليس كبيرًا خارج بلاد المغرب العربى ولبنان وبعض الأماكن الخاصة فى العالم .

لماذا تم اختيار باريس مقرا لمجلة " عربيات " Arabies؟ لقد كانت باريس مسرحًا لاعتداءات دامية تمت نسبتها لشخص لبنانى غامض هو " إبراهيم عبد الله " ومن هنا فإن مدينة النور تعرضت للإصابة بحالة نفسية ضد العرب ... أما عن الفرنسيين من أصل عربى فيبدو أنهم أكثر انشغالاً بوضعهم عن التفكير فى مصير بلادهم الأصلية .

إن ازدهار " عربيات : المجلة الشهرية للعالم العربي وللفرانكفونية " في النصف الثاني من الثمانينيات يبدو وكأنه تحد جريء ، خاصة وأن هذه المجلة الشهرية تميل – من خلال أبوابها الثلاث " اقدر واملك واعرف " – إلى تناول الأوجه المختلفة للسياسة والاقتصاد والثقافة في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية وبلاد المغرب .

مثلها مثل أي مؤسسة صحفية تنصاع " عربيات " إلى واجبها الأساسي ألا وهو توفير المعلومة والإعلام . إلا أن هذه المؤسسة لا تكتفي بإعلام المواطنين العرب بالتطورات الكبرى التي تحدث في بلادهم أو تلك التي تحدث في البلاد العربية الأخرى . إن المجلة لا تكتفي فقط بكشف بعض " الأسرار " لعدد صغير من المتخصصين الغربيين أصحاب الطراز الرفيع . وتستعرض المقالة الافتتاحية حديثًا واسعًا ومشروعًا كبيراً في العدد الأول الذي كان يحمل عنوان : " من أجل حوار واضح وصريح " وظل هذا العنوان شعار وقانون " عربيات " Arabies وقد صرح " ياسر هواري " بقوله : " لقد مضى زمن طويل حتى نقيم جسراً متينًا من المعرفة المتبادلة بين الشرق والغرب " وأوضح مدير " عربيات" قائلاً : " جسراً يساعد على توضيح الرؤية للواقع ويسمح بتخطي التصورات المقولبة التي نعاني مما تمثله من سوء نية " .

وفضلاً عن هذا السبب المهم فإنه من الضروري أن نقول أن مهمة المجلة الدائمة والتي تؤكد عليها مراراً هو أن تكون همزة وصل وتأكيد لقيم يعتبرها ياسر هواري وفريقه قيمًا عمومية وخالدة تضيء الطريق الذي بدأته " عربيات " منذ البداية ومنها : حرية الوجود وحرية الفكر وحرية التحرك سواء بالنسبة للمرأة أو للرجل ، ويتعين الحفاظ على هذه القيم من كل أشكال التعصب والإرهاب كما ينبغي الإبقاء على المساواة أمام مساوئ التفرقة العنصرية ومحاولات الهيمنة والإبقاء على الإخاء الذي يؤدي إلى السلام والعدالة والتضامن مع المعدمين .

اختيارات تحريرية :

كيف أمكن ترجمة هذه المبادئ والاهتمامات والدوافع المختلفة داخل أعمدة " عربيات " Arabies على مدى الثلاثة عقود الماضية مع الأخذ في الاعتبار تحقيق

توازن فى الميزانيات خاصة وأن تلك ضرورة رغم ضآلة شأنها ؟ ولعدم قدرتنا على الخوض هنا فى دراسة حصرية وكاملة فإننا سوف نقدم بعض الإيضاحات من خلال أمثله ملموسة تسمح بتجسيد الفلسفة الخاصة بـ " عربيات" وأسلوب عملها .

و كاتب المقالة الافتتاحية هو " ياسر هوارى " وهذه المقالة هى المكان المميز الذى تظهر من خلاله الخيارات " التحريرية " والآراء الليبرالية للمجلة والتى تعلن من خلالها تأييدها لحقوق الإنسان وشروط تحقيق التوافق .

إن النزاع الفلسطينى الإسرائيلى يغذى بشكل منتظم التأملات والأفكار حول عدم جدوى إجراءات القمع التى تطبقها الدولة العبرية وحول الطرق التى قد تمنح جميع الأطراف العدالة والسلام والأمن . وفى زخم هذه الأحداث يندد مدير " عربيات " بنفاق الغرب الذى يتوارى أمام الانتهاكات التى يقترفها المحتلون والجيش الإسرائيلى " "Tsahalفى حين لا يكف عن التوبيخ فيما يتعلق "بانتهاك حقوق الإنسان" التى ينساق إليها الزبائن العرب المتمردون .

من بين الموضوعات المتكررة والتى تلهم المقالة الافتتاحية موضوع التقهقر المخيف فى لبنان . لقد استطاع " ياسر هوارى " أن يكشف النظام المتعصب للطوائف والعملاء وهو نظام يصيب بلد أشجار الأرز فى مقتل فى الوقت الذى فقد فيه البلد وظيفته كوسيط ملزم بين الشرق والغرب .

ومن بين الموضوعات المفضلة أيضاً والتى تبعث على الأمل هو قدوم عهد عالم متعدد الأقطاب مطلوب فيه من أوروبا أن تلعب دور المخلص بجانب القوى الناشئة فى الجنوب .

لقد استطاعت شخصيات معروفة بالصراحة وبالنظرة الثاقبة أن تساهم فى تشكيل فكر " عربيات " Arabies على مر السنين . ومن بين الشخصيات البارزة فى هذه المجلة الشهرية يوجد وزيران أحدهما فرنسى والآخر لبنانى وهما "ريمون أيديه" Raymond Eddé (الذى توفى العام الماضى) و " ميشيل جوبير " Michel Jobert لقد كان كل منهما يتميز بالروح الوطنية والإنسانية وبالملاحظة الدقيقة للأحداث الجارية. واستطاع كل منهما أن يترك بصمة قوية على المجلة ، أحدهما من خلال الأحاديث العديدة التى قدمها والآخر من خلال باب ثابت ملىء بالفانتازيا والسخرية والدقة .

وعلى الرغم من وجود باب " المنبر " Tribune a فى الصفحة الأخيرة متاحًا لطرح الآراء المتعددة والمشاريع المتناقضة أحيانا فإن مجلة " عربيات " قد عانت كثيرًا من الاتهام بـ " ممالأة النظام " وبـ " تحاشى الموضوعات التى تثير الغضب ".

صحيح أنه على الرغم من تألق وجرأة بعض الصحفيين مثل الجزائرية " سعيدة بدار " فإن بعض الموضوعات لا تجد مكانًا بسهولة لإدراجها داخل أعمدة المجلة الشهرية مثل موضوع الوضع المعقد للغة القبلية وانحرافات بعض أمراء الخليج والدور الشاق الذى لعبه الضباط الجزائريون فى أثناء مذابح نُسبت إلى إسلاميين. لكن من المؤكد أن مجلة " عربيات " - مثل الكنيسة الكاثوليكية.ووفقًا للفاتيكان الثانى - تفضل دائمًا أن تتحدث عن مبادئ وأن تنتقد سلوكيات أكثر من أن تدين بشكل مباشر الأنظمة أو أن تشير بإصبع الاتهام إلى الأفراد .

التعريف بالأشياء والمساعدة على تقديرها :

بدلاً من إصدار الأحكام والإدانة السؤال هو: إلى أية درجة وبأية طريقة تجتهد "عربيات" فى مهمتها الإعلامية...أى فى أن تعكس ما يحدث من تطورات فى العالم العربى من شهر لآخر ؟ مثلها مثل المجلات الشهرية الأخرى لم تكتف " عربيات " بمتابعة تحولات الأحداث الجارية بل اهتمت خاصة بالتأكيد على الأوقات الصعبة وعلى تسليط الضوء على صناع القرار وعلى استقراء مختلف الاتجاهات القائمة . إلا أنه يوجد استثناءان لهذه القاعدة حيث تأتى الصفحة الاقتصادية فى المقدمة لتناقش موضوع الاقتصاديات العربية ومديرى الأعمال والأرقام والأوراق وجدول الأعمال والتى تشكل المقالات الأساسية . وتتم من خلال هذه المقالات دراسة قطاعات مهمة عن قرب (مثل الكاربوهايدرات والبنوك وغيرها) وكذلك عالم الشركات، وتتم ملاحظة الأحداث ومتابعة الوقائع ومراقبة تحركات رجال الأعمال ورؤساء مجالس الإدارات؛ ذلك لأن هذا النوع من المعلومات قد تزايد عليه الطلب وظلت "عربيات" تحتكر وحدها هذا المجال حتى نهاية عام ٢٠٠٠ (تاريخ إعادة ظهور المجلة الشهرية " اقتصاد " المرتبطة بشدة ببلاد المغرب العربى وأفريقيا السوداء) .

ويعد مركز الاهتمام الثانى الذى تتميز به " عربيات " هو منطقة الخليج ، وللمجلة شبكة مراسلين وإعلاميين من الدرجة الأولى فى هذه المنطقة حيث جعلت منها مجال استكشافاتها الأول . فمنطقة الخليج لها إستراتيجية خاصة وتمتلك قدرات استثمارية هائلة وقوة شرائية كبيرة جداً إلا أنها مازالت مجهولة بالنسبة للفرنسيين بل وللعرب والأفارقة الناطقين بالفرنسية أيضاً .

ومن بين الخبطات الصحفية التى لا تنسى لـ " عربيات " والمتعلقة بشبه الجزيرة العربية هو الإعلان قبل غزو الكويت عن نية العراق القيام بمغامرات مثيرة للقلاقل وتوقع حدوث نزاع بين شمال وجنوب اليمن (وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٩٤) ...

إن الهدف هو التعريف بالعالم العربى لكن مع المساعدة على تفهم طبيعته وذلك بفضل تحليلات دقيقة قام بالبحث عنها والتوصل إليها باحثون وأكاديميون ومتخصصون آخرون . ولم تنس " عربيات " أن تلجأ لهؤلاء المتخصصين ، بل قامت على مدى سنوات بتنظيم دوائر مستديرة تنصب على قضايا ساخنة مثل الطاقة والنزاع العربى الإسرائيلى والأصولية . وحتى يومنا هذا يرأس مدير " عربيات " نادى الصحافة العربية الذى أصبح طريقًا يتحتم لأى زائر مهم مهتم بالعالم العربى اجتيازه عند مروره بباريس .

عرض الوقائع ، التصريح بالحقيقة دون مجاملة، شرح وتحليل الأحداث ، تفادى ما يثير وما يؤدى للازدراء والرفض والكراهية، نزع وتبسيط وإزالة أية سوء تفاهم . خلال خمسة عشر عاما اجتهدت "عربيات" فى ذلك وحققت نتائج طيبة . هكذا وفى أثناء الجدل الكبير الدائر حول ارتداء الحجاب عام ١٩٨٧ لم تتردد "عربيات" فى أن تنشر على الغلاف صورة الأم " دينس " وهى تضع على شعرها خمارها الذى تشتهر به ... وكانت تلك طريقة لإدخال بعض المرح على المناقشات التى تزداد حدة ولإعادة ظاهرة الحجاب لحجمها الحقيقى حيث إنها لا تخص سوى أقلية صغيرة جداً فى فرنسا . وبعد ذلك بفترة طويلة كانت شخصية "إيزنوجود" الشهيرة فى الرسوم المتحركة موضوعًا لغلاف "عربيات" وذلك من أجل إظهار صورة العرب فى فرنسا وفقًا لتحقيق صحفى دار حول هذا الشأن وكان عنوان هذا الغلاف : "هل العرب أغبياء وأشرار؟".

لم تكف " عربيات " عن إظهار كذب الكليشهات التى تبخس قيمة الآخر وتقلل من شأنه مع الاهتمام " باحترام الآخر وباحترام التعددية " كما شهد بذلك الأمين العام للجامعة العربية السيد عصمت عبد المجيد فى رسالة وجهها إلى المجلة بمناسبة ظهور عددها المائة . إن هذه الحملة التى تشجع العالم العربى مستمرة فى " عربيات " التى تجتهد لتكون مثالاً يحتذى به فى هذا المجال . إنها بالتأكيد مجلة " ذات نفوذ " على حد تعبير الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بطرس غالى، فعرضها سخى وتصميمها أنيق حتى ولو ظلت المقالات ذات جودة متفاوتة .

تهجين فكرى وتضافر مالى :

إن القيمة الأولى لمجلة " عربيات " هى مع ذلك كونها ظلت وفية للمهمة التى حددتها لنفسها منذ وضع أول تصور لها ألا هى تشجيع وتوسيع نطاق الحوار والتبادل والالتقاء بين العالم العربى وفرنسا وأوروبا والجنوب الفرانكفونى . لا يوجد عدد من أعداد " عربيات " لا يعلن على الغلاف عن دراسة حول الاستثمارات الإسبانية فى بلاد المغرب العربى أو حديث مع وزير العلاقات الدولية فى الكيبيك أو ملف مخصص للعلاقات بين السنغال والعالم العربى .

هذه التغطية التى تشمل كل الاتجاهات قد ساهم فيها " ستليو فاراندجيز " الأمين العام للمجلس الأعلى للفرانكفونية الصديق الدائم للمجلة والذى يشارك فيها منذ عام ١٩٨٧ بكتاباته ونصائحه وتشجيعه الدائم . إن انهيار العالم مزدوج القطب وانهيار الستار الحديدى وميلاد الثورة المعلوماتية هى عوامل ساعدت على تحقيق هذا الهدف.

إن الفضاء الفرانكفونى الذى خصصت له " عربيات " فى أكتوبر ٢٠٠١ عدداً خاصاً بمناسبة قمة بيروت هو الآن مسرح لنهضة غير عادية . يستطيع هذا الفضاء بل ويتعين عليه أن يقدم خياراً خطيرا لتوحيد قريتنا الكونية ، ويستطيع أيضا فى المستقبل أن يسمح بوجود تعاون مستمر بين التكنولوجيا الأوروبية والدولارات العربية الناتجة عن البترول والأسواق الأفريقية . ولنستعر الصيغة التى يفضلها " ستليو فاراندجيز " والتى تقول : "أليس التهجين الفكرى والتضافر المالى عصب الألفية الثالثة التى تبدأ "؟

" ميدى ١ " (MED، 1) وأكبر نسبة استماع مغاربية

بقلم : باتريس مارتان

Patrice MARTIN

مساعد رئيس تحرير فى "ميدى١" منسق التحرير

منذ عشرين عامًا تقوم إذاعة البحر المتوسط الدولية (MEDI 1) فى طنجة ببث إذاعى باللغتين العربية والفرنسية لمستمعين يقدر عددهم بحوالى ٢٣ مليون شخص يصل عددهم فى الصيف إلى ٢٥ مليون. إن هذه الإذاعة المغربية الفرنسية متواضعة لكنها فريدة من نوعها ونموذجية وهى تسعى لتحقيق التكامل بين اللغتين ولخدمة الشعار الذى اتخذته وهو : "لنسمع بعضنا البعض لنتوصل لتفاهم أفضل".

تتتابع كلمتا " أهلاً بكم" و "بونجور" على إذاعة "ميدى١ " (MEDI 1) لأن هذا المشروع كان نتاجًا لإرادة مغربية وفرنسية عام ١٩٨٠، وقد وضع تصوره الرجل الذى أسسها وهو رئيسها الحالى أيضًا "بيير كازالتا" Pierre Casalta؛ وهو مشروع مختلط مزدوج اللغة ثمرة تسامح واستماع متبادل. إن الجانبين المغربى والفرنسى يمتلك كل منهما على التوالى ٥١٪ و ٤٩٪ من رأس مال هذه المؤسسة التجارية الخاصة. ويشارك فى مجلس الإدارة شركاء مغاربة وفرنسيون وبنوك وشركات كبرى.

و"ميدى١" إذاعة عامة للإعلام الدولى والخدمة والترفيه مزدوجة اللغة ، مقرها طنجة لكن يمكن الاستماع إليها على مدى أربع وعشرين ساعة فى العالم بأسره. ويتم بثها أساسًا من مركز إرسال فى "نادور" على الموجات الطويلة (١٧١ كيلو هيرتز، ١٧٥٤م) وعلى الموجات القصيرة (٩٥٧٥ كيلو هيرتز) مما يسمح باستقبالها فى مجمل غرب حوض البحر المتوسط وكذلك فى غرب أفريقيا أيضًا. وجهاز إرسال الموجات الطويلة قوته ٢٠٠٠ كيلو وات ومداه ٣٠٠٠كم.

وقوة جهاز إرسال الموجات القصيرة تبلغ ٢٥٠ كيلو وات ومداه حوالى ٤٠٠٠ كم فى المتوسط . وفى المغرب، يمكن بالطبع الاستماع لـ"ميدى١" على الموجة المترددة. وفى أوروبا ، يمكن إلتقاطها على القناة ٦٧ من باقة الإذاعات التابعة للفضائية " Canai ويمكن استقبالها فى أى مكان عن طريق القمر الصناعى لمن يمتلك جهاز استقبال "ورلدسبيس" .worldspace ولا ننسى أيضًا أنه يمكن الاستماع إليها من خلال موقع الإنترنت www.medi 1.com

وقد تم تطويع هذه التكنولوجيا لخدمة الإعلام والبرمجة الموسيقية .

وتنقسم المكتبة الموسيقية إلى فرعين أحدهما شرقى والآخر غربى وهى تشتمل على أكثر من خمسة عشر ألف قرص مدمج سى دى (CD) وتأخذ هذه المكتبة فى الاعتبار الخصائص الشعورية والثقافية لمستمعيها بحيث تقوم ببرمجة إذاعة الموسيقى باستخدام ١٥٠ قطعة موسيقية فى اليوم فى المتوسط شاملة أربعة سجلات: الموسيقى العربية والموسيقى الفرنسية والموسيقى اللاتينية (الإسبانية والإيطالية) والموسيقى الانجلو ساكسون. ويتم تقديم الموسيقى العربية بالتأكيد وفقًا للقواعد الراسخة للموسيقى الشرقية عن طريق شباب الموهوبين المغاربة، فضلاً عن موسيقى الراى والصوفى . وتضم هذه الموسيقى شخصيات عديدة متنوعة تبدأ مع "أم كلثوم" لتصل إلى "زازى" مروراً بـ"مادونا" و "نجاة عتابو" و "لوز كازل" و"سيزاريا إيفورا" و "سعاد ماسى". ونضيف إلى كل هؤلاء " فريد الأطرش" و "م س. سولار" مروراً بالإخوة "بوشناق" و "إيروس رامازوتى" و "خوليو أجلسياس" و"الشاب مامى". بأية لغة تتحدث الموسيقى ؟

ويعمل بهذه الإذاعة منيعون أتوا من مختلف البلاد التى تغطيها الإذاعة وهم يجسدون أوضاعًا لغوية متعددة، فيوجد من بينهم من أبناء المغرب ومن أبناء الجزائر وتونس وحتى السودان ، جميعهم مزدوجو اللغة وجميعهم تقريبًا يستخدمون اللغتين فى البث الإذاعى. والأمر لا يعنى الخلط بين اللغتين لكنه يعنى استخدامهما بشكل تتابعى وفى أوقات مختلفة .

وتضم هيئة التحرير أكثر من أربعين صحفيا يعملون بالقسمين العربى والفرنسى. ويجد الصحفيون تحت تصرفهم شبكة رقمية يديرها الحاسب الآلى، وهؤلاء الصحفيون ينتمون لبلاد وآفاق عديدة ويقومون بتقديم ٣٥ لقاءً للمعلومات ونشرات

الأخبار والأحداث الجارية منها عشرة أخبار تتعدى مدتها الخمس عشرة دقيقة. ويعتمد هؤلاء الصحفيون فى عملهم على برقيات وكالات الأنباء الكبرى بمساعدة زملائهم فى قسم الوثائق ومراسلى "ميدى١" فى بلاد المغرب بل وفى كل العواصم الأوروبية وواشنطون وإسطنبول وتل أبيب وسيول وملبورن .

وبخلاف نشرة الأخبار يقدم قسم الأخبار مجلات أسبوعية حول الأحداث الجارية الخاصة بالبيئة والبحر والصحة والسماء والفضاء والإنترنت والثقافة. كما يقدم مرة أسبوعيًا وجهات نظر بعض الشخصيات حول الأحداث الجارية ومعهم على سبيل المثال "إيلياس صنبر" و "غسان سلامة" و "محمد شرفى" و "مالك شبل" و "سليم غزالى" و"ميشيل روبير" و "رولان كيرول" و "برنار بريجوليكس".

وعلى الصعيد الثقافى والنقدى للفرانكفونية تقدم "ميدى١" كل يوم اثنين منذ أكتوبر ١٩٩٧ برنامج "رؤية اللغة الفرنسية من مكان آخر"، وهو برنامج يستضيف كاتبًا فرانكفونيا لغته الأم مختلفة عن الفرنسية.

وحتى هذا اليوم، أجاب ١٨٠ كاتبًا عن أسئلتنا ووضحوا روابطهم باللغة الفرنسية ولماذا وكيف اختاروا الكتابة بهذه اللغة. وقد تم نشر افضل هذه اللقاءات فى كتاب حديث ظهر فى المغرب لدار نشر "طارق"(١) .

إذًا كان مفهوم الفرانكفونية العربية يعنى التعايش المتبادل المفيد للثقافتين بحيث تسمع كل منهما الأخرى فى حين تعبر كل منهما بلغتها الخاصة بها فإن هذه ممارسة حية تعيشها إذاعة "ميدى١" منذ أكثر من عشرين عامًا. إن اللغة العربية تتميز بـ"ديجلوسى" (أى بازدواجية لغوية) خاصة وبوحدة فى مناطق انتشارها، ومن هنا فهى قادرة على التعايش مع أية لغة أخرى. ولأن الفضاء اللغوى الفرانكفونى تتخلله اللغة العربية ولأن كلتا اللغتين لا تعيشان فى منافسة ولكن فى تكامل فإن الفرانكفونية العربية يمكنها أن تعطى واقعًا حيا وحيويا . ولتظل "ميدى١" من جهتها تغذى هذا الواقع و ... تجعل الآخرين يستمعون .

(١) "رؤية اللغة الفرنسية من مكان آخر ، ١٠٠ لقاء يقدمها "بـمارتان" و "س.دروفيبه"، مقدمة بقلم "جون-مارى كولومبانى" ، دار نشر طارق، ٢٠٠١ .

جريدة " وقائع " والحوار الأورو مغربي

بقلم : طيب زاهر

مدير " وقائع "

إن " وقائع" جريدة أسبوعية تونسية مستقلة مزدوجة اللغة .

لقد تم تأسيس هذه الجريدة عام ١٩٧٩ على يد جماعة من الشباب المثقف. ووفقًا للأهداف التى وضعها هؤلاء الشباب فإن هذه الجريدة يتعين أن تكون جريدة مستقلة وموضوعية وتتميز بالمصداقية. كانت البيئة السياسية فى تلك الحقبة تتسم بعمق بثقافة الحزب الأوحد إلا أنها كانت قد بدأت تشهد بعض بوادر الانفتاح على المستوى الإعلامى وقد تمت ترجمة ذلك إلى منح الموافقة لبعض الجرائد المستقلة. وكانت "وقائع" من بين هذه الجرائد. وقد اخترنا نظامًا مستقلاً يتطابق مع اختياراتنا و قناعتنا. ولم يتم ذلك دون عناء فقد تم أكثر من مرة وقف نشر الجريدة. لقد حافظنا على ذلك مضحين بالكثير ، إلا أننا كنا مصممين على الاحتفاظ باستقلاليتنا وذلك بالتأكيد هو الذى جعل جريدتنا هى الوحيدة التى قاومت وبقيت طوال واحد وعشرين عامًا.

كان هدفنا دائمًا هو أن نظل أوفياء للمفهوم الذى تصورناه بالنسبة للمهنة التى نمارسها : الصحافة المستقلة عن جميع السلطات، الصحافة الموضوعية التى تحترم حق كل فرد فى الاختلاف، صحافة تتميز بالصدق والانفتاح. نحن نفكر فى الواقع فى أن الأعلام يلعب دورًا كبيرًا فى بلد مثل بلدنا أى بلد شاب شهد على مدى ثلاثة عقود نظامًا سياسيا تولد عن النضال من أجل الاستقلال، نظام حمل آمال تلك الحقبة إلا أنه اتبع أسلوبًا فى الحكم كانت له مبرراته لكنه يبدو اليوم غير ملائم على عدة مستويات.

نحن نعتقد أن أحد مهام الصحافة التونسية هو أن تساهم فى الانتقال إلى مجتمع يتمتع فعلياً بالتعددية والديموقراطية. وفى رأى العديد من المراقبين فإن " وقائع" قد اضطلعت بهذا الدور وتستمر فى القيام به . إننا نقوم بالإسهام فى تحرير الإعلام من العوائق التى تقف فى طريقه وذلك من خلال الإعلام الذى ننقله ونروج له والذى لا يخضع لأية رقابة سوى الالتزام بقناعتنا وبالخط الصحفى الذى اخترناه. تنظم "وقائع" مناقشات حول موضوعات شتى بدءاً من السياسة ومروراً بالاقتصاد والأوضاع الاجتماعية والتاريخ المعاصر لتونس وكانت هذه الموضوعات تخضع لتأويل وتفسير أوحد، وقد ساهمت الجريدة فى دفع النقاش والحوار قدماً فى البلاد عن طريق اختيارنا للديمقراطية والتعددية .

إن تصورنا لدور الإعلام يتطلب منا الإيمان ببعض القيم الأساسية بالنسبة لنا ومنها الحرية والتسامح والانفتاح على الحداثة والتقدم . إن هذه القيم بالنسبة لنا أساسية ولا يمكن أن نحيد عنها وعملنا كله يسعى لتأكيدها.

ومن جهة أخرى، فالذين لا يؤمنون بهذه القيم لسبب أو لآخر سواء كان سبباً أيديولوجيا أو ثقافيا أو سياسيا يشعرون بالضيق إزاء هذا التوجه لجريدة "وقائع" التى تناضل من أجل "تونس" تتسم بالانفتاح والتسامح والتقدم .

لماذا تكون « وقائع » مزدوجة اللغة ؟

إن هذا الأمر يتعلق أيضاً باختيار يشتمل على تصور معين خاص بدورنا وبمهمتنا داخل البلاد. فى البداية، كانت "وقائع" Réalités تصدر باللغة الفرنسية إلا أننا أدركنا مع الوقت أن جزءاً كبيراً من القراء التونسيين ناطقين بالعربية وأنهم يمكنهم أن يشكلوا بالنسبة لنا مدخلاً مهما ليس من المنظور الاقتصادى لكن لأن هذه الشريحة من السكان التى لا تتقن سوى لغتها الأم وهى اللغة العربية يمكنها أن تتأثر بالجرائد التى تقرأها والتى لا تسير بالضرورة فى اتجاه قيم الانفتاح والتسامح والحداثة. فهناك بعض أشكال الصحافة العربية التى تحمل قيماً مختلفة وهكذا استطاعت "وقائع" من خلال ازدواجية اللغة أن تتوجه إلى هؤلاء القراء لتحمل لهم معلومة نراها أكثر ملاءمة لنشر مفهومنا وللترويج لمفهومنا العصرى .

ومن ناحية أخرى، الجريدة متخصصة فى شئون المغرب العربى. إن هذا التوجه أساسى لبلادنا وقد تحملنا مسئولية تنفيذه ، لذلك تتوجه "وقائع" إلى جمهور مغربى بما يتطابق مع الخط الصحفى الذى بدأناه. ومن ناحية أخرى، نحن لا نقوم بهذا الانفتاح حصريا فيما يتعلق بالبلاد التى نتشارك معها فى الثقافة والتاريخ لكنه يمتد أيضًا إلى أوروبا التى تجمعنا بها مرجعيات ثقافية وتاريخ وإرث متوسطى، وهو يمتد كذلك بشكل أوسع إلى البلاد الفرانكفونية. وتتجسد هذه الخيارات من خلال مقالاتنا وتحقيقاتنا الصحفية والاهتمام الذى نوليه للفضاء الأوروبى والفرانكفونى وللشراكة اللازمة لتنظيم روابطها بتونس .

وتخصص "وقائع" Réalités أعدادًا خاصة وملاحق اقتصادية شهرية تتناول القضايا الاقتصادية الكبرى. وفى هذا الإطار قمنا بإصدار ملاحق مخصصة للشراكة التونسية مع بلاد أوروبية خاصة فرنسا وايطاليا وألمانيا وننوى أن تمتد إصداراتنا إلى بلاد فرانكفونية أخرى خاصة فى جنوب الصحراء.

وخلال رحلة تطورها قامت "وقائع" بتنويع منتجاتها حيث تنشر عدد شهرى خاص بالمرأة وأخر خاص بأجهزة الإعلام والتى تهم قاعدة من القراء فى تونس لم يتم الاهتمام بها حتى الآن. ولقد قمنا منذ أربع سنوات بتجربة جديدة ألا وهى المنتدى الدولى لـ"وقائع". وكانت فكرة المنتدى هى أن يجتمع فى تونس العاصمة مثقفون ورجال سياسية واقتصاد ورؤساء شركات ينتمون لشاطئى البحر المتوسط وذلك حول موضوع يتعلق بمنطقة المغرب العربى والبحر المتوسط. وكان الهدف من ذلك هو التحاور حول موضوعات الساعة بالطبع وخاصة الموضوعات المهمة لتطور البلاد المعنية .

وكان الموضوع الذى دارت حوله ندوتنا الأولى هو:"أية ليبرالية لبلاد المغرب؟". حيث كان الموضوع المقترح خاص بإشكالية الخيار الليبرالى الذى فرض نفسه على كل بلاد المغرب العربى حتى ولو كان ذلك بدرجات متفاوتة. وقد تم التحاور حول آثار التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى قد تنتج عن هذا الاتجاه الليبرالى. إن الحضور الذين حضروا هذه الندوة قد جعلونا نشعر بالراحة إزاء فكرة جعل هذه الندوة منتدى سنويا. وعلى الرغم من الصعوبات فقد تمسكنا بهذا الرهان

وها هو منتدى "وقائع" Réalitésيشهد عامه الرابع. وكانت الموضوعات المتداولة والمطروحة تباعًا هى : " الشركات المغربية الصغيرة والمتوسطة فى مواجهة العولمة"، " الشراكة الأوروبية المغربية: الحصيلة والآفاق" ، " البحر المتوسط فى العالم".

إن منتدى " وقائع " Réalités قد سمح بلقاء رجال ونساء قدموا من آفاق إيديولوجية وسياسية وثقافية مختلفة، وقد أثرت هذه اللقاءات النقاش وسمحت بتحديد الآفاق المستقبلية التى يتوقف تحقيقها علينا جميعًا. وقد كان المنتدى أيضًا فرصة للمجتمع المدنى لكى يعبر عن ذاته. حتى ذلك الحين كانت قضايا الشراكة والعلاقات بين دول الشمال والجنوب حكرًا على الحكومات وكبار العاملين بالدولة مما كان يقلص بالتبعية من إمكانية مقاربة هذه القضايا وإمكانية تحديد طبيعتها. كان المجتمع المدنى منعزلاً تمامًا عن مناقشتها وإلى أن طالب خلال هذه السنوات الأخيرة بهذا الحق الشرعى وحصل عليه واستطاع أيضًا أن يعدل اتجاهها لتصبح أكثر ملائمة لتوقعات الشعوب وكان ذلك شيئًا غاب عن فكر الحكومات التى تنصاع لمتطلبات من نوع آخر .

إننا نعتقد أن منتديات " وقائع " Réalitésقد شاركت فى ممارسة هذا الحق من خلال المجتمع المدنى حيث قامت بوضع مشكلات الشراكة بين بلاد الشمال وبلاد الجنوب فى سياق أكثر اتساعًا وفى إطار فكر شمولى . كانت الشراكة فى الواقع – من المنظور الفني– مقصورة على الاستثمارات والتبادلات التجارية فى حين أنها يجب أن تشمل أبعادًا أخرى مهمة أكثر اتصالاً بالثقافة والديمقراطية والعلاقات الإنسانية والاجتماعية وحقوق الإنسان. فى أثناء الحوارات التى دارت خلال المنتديات الأربعة التى نظمتها "وقائع" كانت هذه الموضوعات محور النقاشات الدائرة المتناقضة أحيانًا إلا أنها قد أسهمت فى الوصول إلى طريقة تناول مازالت تحتاج إلى مزيد من التعمق والإثراء وهى طريقة تناول استطاعت أن تقدم إسهاما ذا قيمة .

مؤهلات نجاح الفرانكفونية

إن للفرانكفونية دورًا تلعبه فى الحوار بين بلاد المغرب العربى والاتحاد الأوروبى وهى تمتلك المؤهلات التى تؤهلها للاضطلاع به بنجاح .

ومن بين هذه المقومات نجد بالطبع اللغة الفرنسية التى تستخدم فى بلاد المغرب الثلاثة (المغرب والجزائر وتونس) وبدرجة أقل فى موريتانيا كما أنها لغة لها تواجد فى أغلب بلاد شمال البحر المتوسط. وبدون مبالغة يمكننا القول بأن اللغة الفرنسية هى لغة الشراكة الأوروبية المغربية.

وتمتلك الفرانكفونية مؤهلات أخرى، فإن المؤسسات التى تولدت عنها يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً فى هذه الشراكة إذا ما ارتبطت بها أكثر عن طريق الاشتراك فى التظاهرات التى تتم إقامتها فى هذا السياق (لقاءات وندوات وحلقات علمية ومنتديات) وعن طريق القيام بمبادرات منفردة أو بالتعاون مع مؤسسات أخرى لها التوجهات نفسها.

إن الفرانكفونية تربط بالتأكيد بين بلاد تشترك مع بعضها البعض فى استخدام اللغة الفرنسية إلا أنها تشكل أيضًا انتماءً للثقافة نفسها ولقيم مشتركة وهذه القيم من شأنها أن تساهم فى تأسيس شراكة شاملة بين شمال وجنوب البحر المتوسط .

إن الآفاق موجودة إلا أنه يتعين مع ذلك أن تحدد الفرانكفونية لنفسها مشروعًا سياسيا أو هدفًا كبيرًا على حد تعبير أحد كبار السياسيين الفرنسيين .

مجلة " فرنسا والبلاد العربية " (١)

بقلم : لوسيان بيترلان
Lucien BITTERLIN

مدير " فرنسا والبلاد العربية "

" فرنسا والبلاد العربية " France-Pays arabes مجلة ملتزمة تصدر منذ ٣٣ عاماً ":

في عددها الصادر في يونيو ١٩٩٩ أجاب السيد "دومينيك شوفالييه" Dominique Chevallier عن سؤال حول الإستراتيجية العربية الفرانكفونية قائلاً:– " لقد أصبح ذلك تبادلاً بين الفرانكفونية والعربوفونية. [....] إنه شيء ثقافي مرتبط بكل نشاطاتنا السياسية والاقتصادية".

تأسست مجلة "فرنسا والبلاد العربية" الشهرية عام ١٩٦٨ ونشأت عن جمعية التضامن الفرنسي العربي التي تشكلت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بهدف تقديم الدعم للشعوب العربية الشرقية من أجل إقناع الرأى العام هناك بأهمية السياسة العربية للجنرال دي جول ، وقد ارتبطت المجلة بسرعة شديدة بالبرهنة على ضرورة تعلم اللغة العربية وثقافتها .

هكذا ، قام السيد " هنرى لوسيل " Henri Loucel بنشر عدة مقالات عام ١٩٧١ حول التشجيع على تعلم اللغة العربية الفصحى وتم تنظيم مسابقات مع بعض القراء – بل وبمشاركة مستمعي إذاعة مونت كارلو (برنامج "حوار")– حول إسهامات الحضارة

(١) انظر قائمة المراجع .

العربية الإسلامية للغرب. وقد تناول هذا الجانب أيضًا كل من "فانسان مونتيل Vincenr Monteil" و "ناجى عـــوض الدين بامـــات" Nadj Oud Eddine Bammate و "أندريه مـيكال" André Miquel و "رجى بالشـيـر" Régis Blachère و "جـاك بيـرك" Jacques Berque و "مـاكسـيم رودينسـون" Maxime Rodinson وقد سـاهم عدد من المهتمين والمتعلمين للغة العربية فى تغذية هذا الاتجاه وتم إعداد مشروعات أكثر طموحًا بهذا الصدد خاصة بمساعدة "برونو ألف" Bruno Halff المفتش العام للتعليم القومى، ويتم سنويًا منح "جائزة الصداقة الفرنسية العربية" منذ عام ١٩٦٩ لكتاب فرنسيين أو عرب .

إن " الفرانكفونية العربية" التى اتخذت هذا الاسم بعد عدة عقود قد ولدت فى ظل هذه الصحافة الملتزمة التى تشتمل على علامات الصداقة والتضامن الفرنسى العربى فى مناخ صعب مرتبط بالنزاعات العديدة فى الماضى والحاضر والتى مازالت آثارها باقية. ومنذ ذلك الحين وبمساعدة محطات ومراكز قوية بدأت الفرانكفونية العربية تأخذ بعدًا عالميا لازمًا للمستقبل المشترك بين الشعوب العربية والأوروبية وتلك الشراكة الحقيقية بين شمال البحر المتوسط وجنوبه .

عنوان المجلة :

France- Pays Arabes

14, rue Augereau- 75007 Paris

tel: 0145552752

خـاتمـة

بقلم : ستليو فاراندجيز

Stélio Farandjis

الأمين العام للمجلس الأعلى للفرانكفونية

توجد بين الكلمات والأشياء علاقة جدلية . إن التصور الذى يلخص ويصف ويحلل أو يتفوق على الواقع يمكنه بدوره أن يجعل هذا الواقع أكثر وضوحًا ومقروءًا أكثر بل ويجعله أكثر قدرة على تعبئة الناس، وفى رأيى هذه هى حال تصور الفرانكفونية العربية .

لقد ابتدعت هذا الاصطلاح خلال مناقشة مشتعلة مع وزير الثقافة الجزائرى السيد " عبد المجيد مزيان " عام ١٩٨٣ . وقد أصاب هذا الاصطلاح هدفه وانتشر خلال لقاءات متعددة بين مسئولين سياسيين وثقافيين فى لبنان ثم أعاد استخدامه صحفيون أو رجال سياسة فرنسيون منذ ذلك الحين حتى إن الهيئات الدولية التابعة للفرانكفونية أصبحت تتداوله .

إن هذا المفهوم يشير فى الوقت ذاته إلى واقع وإلى مشروع .

ويشتمل الواقع ذاته على ثلاثة حقائق يمكننا أن نرصدها وهى تتعلق بعلاقات الفرانكفونية بجزء كبير من العالم العربى ، فما نريده هو التعبير عن الجوار والقرابة والمزج وهى عناصر لها الأولوية فى علاقة هذين العالمين بعضهما ببعض .

إن الجوار فى أغلبه جغرافى ونحن نعلم – كما سبق وقال "مكيافيللى" – أن " الجغرافيا هى القائد " . والجوار أيضا يكون اقتصاديا فى جانب منه حيث تقوم بلاد عربية كثيرة بتبادلات مع دول فرانكفونية خاصة فرنسا وهى تمثل ربع حجم نشاطها بل والنصف فى بعض الأحيان .

والتدفق السياحي مازال مستمرا في التزايد بين البلاد الفرانكفونية (خاصة فرنسا وسويسرا وبلجيكا) والبلاد العربية المتوسطية . ويتعين علينا أن نضيف على كل هذه المعطيات الجوار الإعلامي . فنحن نعلم أن ثمانية ملايين طبق فضائي جزائري تلتقط البرامج السمعية المرئية الفرنسية . ويتعين علينا أن نعلم أيضا أن إذاعة مثل " ميدى " التي تبث إرسالها من طنجة في المغرب تقوم باستخدام متتابع وحميم للغة العربية واللغة الفرنسية في تقديم برامجها الإخبارية والموسيقية . ولازالت الجرائد التي يتم تحريرها باللغة الفرنسية أو باللغتين العربية والفرنسية تتزايد في بلاد المغرب دون أن ننسى الجرائد والمجلات الفرانكفونية اليومية العربية في مصر ولبنان . وتقدم قناتا ARTE و TV5 اليوم برامج في الشرق الأوسط لتساعد على تحقيق تقارب أكبر بين العالم العربي والفرانكفونية .

ولكن كما قلنا يأتي التجانس ليضاف إلى الجوار . بالتأكيد كانت هناك حروبٌ صليبية إلا أنها لا يجب أن تنسينا الروابط بين موسيقى التروبادور Troubadourالتي تميز " أوكسيتانيا " Occitanie وبين موسيقى العالم العربي الأندلسي . بالتأكيد كانت هناك حملات استعمارية ولكن كان هناك أيضا تراث فرنسي طويل من الاهتمام والولع بالعالم العربي . من الذي لا يتذكر هؤلاء العلماء المتعطشين لعلم المصريات والذين رافقوا بونابرت إلى مصر ؟ من الذي لا يتذكر الحماس والشغف الكبير باللغة العربية داخل " كوليج دى فرانس " Collège de France الذي أسسه فرانسوا الأول داخل معهد اللغات الشرقية Langues O[1]؟ من الذي لا يتذكر قوة الصفوة المثقفة العربية الفرانكفونية في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين في تونس ومصر ولبنان ؟ ومن الذي لا يتذكر التراث القوى للمستعربين والمستشرقين بدءًا من " ماسيون " Mas-sion و "برونو إتيان" Bruno Etienne مروراً بـ " جاك بيرك" Jacques Berque و " ماكسيم رودنسون " Maxime Rodinson و "محمد أركون" Mohamed Arkoun؟ وحتى إذا كانت الحروب الاستعمارية قد صاحبها في بعض الأحيان أشياء بشعة وقاسية إلا أننا يجب أيضا أن نعترف بأن العديد من الجنود المسئولين عن شئون أهل

(١) معهد يحمل اليوم اسم INALCO إينالكو " (المعهد القومي للغات والحضارات الشرقية)

البلاد الأصليين كانوا على دراية كبيرة باللغة العربية لايتمتع بها للأسف العاملين على التعاون الدولى فى الفترة المعاصرة .

إن تواجد العالم العربى فى الفن الفرنسى (سواء فن التصوير أو الموسيقى) والأدب يندرج تحت هذا التوجه . فالمعارض الرائعة التى تنظمها اليوم مؤسسة لا مثيل لها فى العالم هى معهد العالم العربى بباريس تؤكد على الذوق الفرنسى الشغوف بروائع العالم العربى الثقافية .

لنذكر بهذا الصدد الرقم المذهل لعدد زوار المعرض الخاص بسوريا والذى بلغ ٤٠٠ ألف زائراً ! .

إن واقع الفرانكفونية العربية ليس فقط عبارة عن جوار أو تجانس لكنه أيضا مزج . فى الواقع ، استطاعت تيارات الهجرة القوية التى تزايدات منذ عام ١٩٤٥ أن تجلب إلى سويسرا وبلجيكا وكندا وخاصة فرنسا شعوباً ذات أصول مغاربية يقدر عددها بالملايين . كان الأمر فى البداية يتعلق بعاملين مهاجرين ليس من المتوقع أن يقيموا بشكل دائم فى هذه البلاد ، لكنهم بعد ذلك أصبحوا جزءًا من المجتمع بل واستفادوا من إمكانية لم شمل الأسرة واستقدامها . وقامت النساء والأطفال بتغيير أوراق اللعبة حيث إن عدد أطفالهم يفوق عدد الأطفال الذين ينجبهم الأزواج الغربيون، مما جعل هؤلاء الأطفال يضفون على المدارس وعلى الشارع وعلى جيل الشباب بشكل عام وعلى فكره طابعًا جديداً . لقد تولد عن ذلك تكافل خاصة فى المجال الموسيقى فاستطاعت الإيقاعات والألحان ومصادر الإلهام المختلفة أن تخلق مناخًا بل وكيمياء جديدة . منذ ذلك الحين ، أصبح المغنيون يقدمون أغنياتهم باللغة العربية وقد حملهم الجمهور الفرنسى على الأعناق ، فاستطاعوا بعد ذلك أن ينتقلوا من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية كما يفعل الكثيرون من المتحدثين الذين ينتمون للشاطئ الأخر للبحر المتوسط فى تونس ولبنان حيث ينتقلون تباعًا من الفرنسية إلى العربية فى تحاوراتهم اليومية .

إن كتّابًا و مغنيين قد تحولوا إلى ناقلين للفرانكفونية العربية القائمة على التشابك والتداخل و الاقتباس المتبادل . توجد فى اللغة الفرنسية كلمات عربية وتوجد فى اللغة العربية بمختلف لهجاتها كلمات عديدة أصلها فرنسى .

يمكننا حتى أن نؤلف قصيدة جميلة مكونة فقط من الكلمات الفرنسية المأخوذة عن اللغة العربية : لوغاريتم ، فلوكة، كحول ، جبر ، زليج ، نظير ، الكوف ، ناعورة ، الآذان ... وتعد اللغة نقطة مهمة مشتركة بين العالم العربى والعالم الفرانكفونى ، فكلاهما يولى أهمية كبيرة لها . ففى الحالتين لا يوجد تظاهر بأن اللغة مجرد أداة لنقل الكلام مكونة من رموز وكركرة وعبارات اصطلاحية واصطلاحات أمريكية وكلمات مكونة من مقاطع كلمات مركبة . على العكس من ذلك يتم النظر إلى اللغة فى هذين العالمين على أنها مرتبطة " بالروح " وبالتالى " بالمطلق". هناك هى لغة القرآن ، وهنا هى لغة " ديكارت " Descartes و " بور رويال " Port Royal(*)، لغة المنطق والعقل ، لكن فى الحالتين تمثل اللغة أيضا سحر القول الذى يتسم بالشعرية .

وخيوط التحالف تزداد قوة اليوم وبشكل أكثر أهمية حيث يتبلور بين العالم العربى والعالم الفرانكفونى عالم فرانكفونى عربى مزدوج الثقافة أو متداخل الثقافة قائم على الحوار والتهجين . وفى ظل هذا الفكر والتوجه يتعين علينا أن نذكر التعليم مزدوج اللغة الذى لا يتوقف عن النمو والتطور من لبنان إلى موريتانيا ، ويجب أن نذكر أيضا الشركات المشتركة خاصة فى مجال صناعة الثقافة ، ونذكر أخيراً الزواج المختلط الذى يشهد تزايداً مستمراً .

إن كل هذه الحقائق والتطورات تعكس واقعًا واحدًا يمكن لكل منا أن يكتشفه ، لكنها تشترك أيضًا فى مشروع واحد وأمل واحد ونموذج مثالى يعبر عنه العدد المتزايد من المواطنين حتى ممن لا ينتمون للصفوة المثقفة ، وهذا النموذج هو بناء تركيبة توليفية ثرية وحرة تقوم فى الوقت نفسه بالتحرر من النموذج الاستعمارى ومن لغته الواحدة ، تركيبة ستعطى معنى جديداً للإنسانية (*)

(*) Port-Royal هو الدير الشهير للراهبات الذى تنسس عام ١٢٠٤ فى ضواحى باريس والذى قام بإصلاحات جذرية ، وبعد انتقال الدير إلى قلب باريس اشتركت الراهبات فى الجدل الدائر حول الجنسينية . وبعد ذلك تحول المقر القديم فى ضواحى باريس والذى عادت إليه العديد من الراهبات إلى مركز إشعاع فكرى وثقافى . وفى عام ١٦٦٥ ، انتقلت سيطرة الدير إلى اليسوعيين وفى عام ١٧٠٩ تم تسريح الراهبات بناء على تعليمات البابا وتم هدم الدير عام ١٧١٠ . وقد كان له دور كبير فى مجال علم اللغويات والأدب والتعليم ومن أهم تلاميذه " راسين " و"باسكال" . وتحول مكان الدير إلى سجن عام ١٧٩٠ ثم إلى دار للولادة منذ عام ١٨١٤ .

(*) باللغة العربية فى النص الأصلى .

إن ما نحلم به هو خلق عالم متعدد ومتحد فى الوقت نفسه، عالم يتم فيه التبادل فى ظل المساواة والتبادلية ، عالم سيكون غنيا بمذاقات عديدة أدبية وموسيقية وغذائية. إن هذا الحلم وهذا المشروع وهذا الهدف يسلح الفرانكفونية العربية وتمثل كل هذه العناصر حُماة حضارة عمومية قادمة ستكون تعددية وأخوية فى الوقت ذاته. داخل اليونسكو - كما هو الحال داخل كل الهيئات الدولية - يستطيع أنصار الفرانكفونية العربية أن يناهضوا الصحراء الجرداء التى تتسم بها الأحادية الموجودة على كوكب الأرض ويناهضوا غابة الانغلاق على الهوية .

ماذا نفعل لتعضيد هذه الفرانكفونية العربية التى تحمل الأمل والحل فى تحقيق التنمية البشرية لتاريخ تمت عولمته ؟ يتعين مضاعفة التبادلات بين الشباب والتعاون الجامعى والإنتاج المشترك فى مجال السمعيات والبصريات والسينما . يتعين كذلك تشجيع الترجمة والنهوض بها باعتبارها فنا عظيمًا ، ونعنى الترجمة فى الاتجاهين : من العربية إلى الفرنسية ومن الفرنسية إلى العربية . يتعين - فى التعليم وفى وسائل الإعلام أيضًا - أن نتعلم كيف نتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل لأنه كما جاء فى الأثر :

" الإنسان عدو ما يجهل ! " .

(*)BIBIIOGRAHIE

Ouvrages généraux,كتب عامة

Littérature أدب

- **ABA Noureddine, Le Chant perdu au pays retrouvé = The lost song of a rediscovered country, الغناء المفقود فى البلد الموجود trad. du français par Cynthia Hahn, Paris, L'Harmattan, 2000.**
- **ABA Noureddine, Natacha chat chat: conte algérien,ناتاشا ، شات شاتParis, L'Harmattan, 1999.5 (Coll. Jeunesse). ، قصة جزائرية قصيرة**
- **ABA Noureddine, Je hais les trains depuis Auschwitz,أكـــــرهـ القطارات القادمة من أوزويتشParis, L'Harmattan, 1996. (Coll. Poètes des cinq continents).**
- **ABA Noureddine, La Ville séparée par le fleuve: contes,المدينة التى تقطعها الأنهار : قصص قصيرةParis, L'Harmattan, 1994, (Coll. La Légende des mondes).**
- **ABA Noureddine, C'était hier Sabra et Chatila, بالأمس كانت واقعة صبرا وشتيلاParis, L'Harmattan, 1983. (Coll. Ecritures Arabes).**
- **ABOU Selim, Choghig Kasparian, Katia Haddad, Anatomie de la francophonie libanaise تحليل للفرانكفونية اللبنانيةBeyrouth, Editions FMA pour l'AUPELFUREF,1996. (Prospectives francophones).**

(*) لقد اخترنا أن نبقى على المراجع بلغتها الأصلية حرصًا منا على تيسير الوصول إليها لمن يرغب فى الاطلاع عليها بلغتها الأصلية وقمنا بترجمة عناوين الكتب تيسيرًا على القارئ حتى يسهل عليه اختيار المرجع الذى يثير اهتمامه. (المترجمة)

- ADONIS, زمن المدن Le Temps des villes, trad. de l'arabe Jacques Berque, Anne Wade Minkowski, Paris, Mercure de France/ UNESCO, 1990.
- ABODEHMAN Ahmed, La Ceinture, الحــــزام Paris, Gallimard, 2000. (Coll. Haute enfance).
- ALBERT Christiane, dir., Francophonie et identités culturelles, فرانكفونية وهويات ثقافية Paris, Karthala, 1999 (Lettres du Sud.)
- AMMOUN Denise, Histoire du Liban contemporain 1860-1943, تاريخ لبنان المعاصر ١٨٦٠-١٩٤٣ Paris, Fayard, 1997.
- ARKOUN Mohammed, La Pensée arabe,٤ الفكر العربى è éd, Paris, PUF, 1991. (Que sais-je ? ; 915(.
- ARKOUN Mohammed, Le Coran, القرآن الكريم éd. Mohammed Arkoun, trad. de l'arabe Kasimirski, Paris, Flammarion, 1991, 516 p.
- ARKOUN Mohammed, L'Islam, الإســــلام Paris, Grancher, 1989, 140 p. (Ouverture).
- ARKOUN Mohammed, L'Islam, morale et politique,، الإســــــلام الأخلاق والسياسة Paris, Desclée De Brouwer, Unesco 1987, 239 p.
- ARNAUD Jacqueline, La Littérature maghrébine de langue française, ٢، الأدب المغاربى الناطق بالفرنسية Le cas de Kateb Yacine, Paris, Publisud, 1986.
- AUBERT Christine, dir., Francophonie et Identités culturelles, فرانكفونية وهويات ثقافية Paris, Karthala, 1999.
- BALAGNA Josée, L'Imprimerie arabe en occident: 16e, 17e et 19e siècles,فن الطباعة العربية فى الغرب: القرن السادس عشر و السابع عشر والتـاسـع عـشـر Paris, Maisonneuve et Larose, 1984. (Coll. Islam-Occident).

- BALAGNA Josée, Arabe et Humanisme dans la France des Valois, العربية والإنسانية فى فرنسا الملكية إبان عهد الفالوا Paris, Maisonneuve et Larose, 1984.
- BALTA Paul, dir., La Méditerranée inventée: réalités et espoirs de la coopération, البحر المتوسط الجديد: وقائع وآمال التعاون Paris, La Découverte, 1992. (Coll. Cahiers libres).
- BARAKAT Najwat, La Locataire du Pot de Fer, مستأجرة الإناء الحديدى Paris, L'Harmattan, 1997. (Coll. Ecritures).
- BARREAU Jean-Claude, De l'immigration en général et de la nation française en particulier, عن الهجرة بشكل عام وعن الأمة الفرنسية بشكل خاص Paris, Pré-aux-Clercs, 1992.
- BEGAG Azouz, Le Gone de Chaâba, طفل شعبى Paris, Seuil, 1986.
- BEGAG Azouz, Zenzela, زنزيلا Paris, Seuil, 1997.
- BEKRI Tahar, Chant du roi errant, غناء الملك الحيران Paris, L'Harmattan, 1985, 115 p. (Ecritures arabes).
- BEKRI Tahar, Les Chapelets d'attache, عناقيد الارتباط Paris, L'Harmattan, 1994, 106 p. (Poètes des cinq continents(.
- BEKRI Tahar, Inconnues saisons)مواسم مجهولة bilingue français-anglais), Paris, L'Harmattan, 1999.
- BEKRI Tahar, De la littérature tunisienne et maghrébine et autres textes, من الأدب التونسى والمغاربى ونصوص أخرى Paris, L'Harmattan, 1999.
- BEKRI Tahar, Journal de neige et de feu, يوميات الثلج والنار Tunis, L'Or du temps, 1997 (en arabe).
- BEKRI Tahar, Marcher sur l'oubli: entretiens avec Olivier Apert, السير على النسيان: لقاءات مع أوليفيه أبير suivi de Poèmes et textes, Paris, L'Harmattan, 2000.

- BEKRI Tahar, Poèmes à Selma, قصائد لسلمى Paris, L'Harmattan, 1996 (en arabe).
- BEKRI Tahar, Les Songes Impatients, الأحلام العجولة Montréal, L'Hexagone, 1997,65 p).En tous lieux)
- BELHAMDI Abdelghani, SALVETAT Jean-Jacques, Les Plus beaux prénoms du Maghreb, أجمل الأسماء في بلاد المغرب avec l'étymologie des prénoms français correspondants, Paris, Ed. du Dauphin, 2000.
- BEN JELLOUN Tahar, La Nuit sacré, ليلة القدر Paris, Seuil, 1987.
- BEN JELLOUN Tahar, Hospitalité française, racisme et immigration maghrébine, الاستضافة الفرنسية والعنصرية والهجرة من بلاد المغرب Paris, Seuil, 1996.
- BEN JELLOUN Tahar, Le Racisme expliqué à ma fille, العنصرية وتفسيرها لابنتي Paris, Seuil, 1997.
- BEN JELLOUN Tahar, L'Auberge des pauvres, فندق الفقراء Paris, Seuil, 1999.
- BEN JELLOUN Tahar, Labyrinthe des sentiments, متاهه المشاعر Paris, Stock, 1999.
- BENRABAH Mohammed, Langue et pouvoir en Algérie: histoire d'un traumatisme linguistique, اللغة والسلطة في الجزائر: تاريخ معاناة لغوية Paris, Ed. Séguier, 1998.
- BERCHET Jean-Claude, Le Voyage en Orient, رحلة إلى الشرق anthologie des voyageurs français au XIXe siècle, Paris, Laffont, 1983.
- BERQUE Jacques, Mémoires des deux rives, مذكرات من الضفتين Paris, Seuil, 1999,304 p.

- BERQUE Jacques, Une cause jamais perdue: pour une Méditerranée plurielle: écrits politiques (1856-1995),القضية الخالدة: من أجل بحر متوسط تعددي:كتابات سياسية (١٨٥٦-١٩٩٥)Paris, Albin Michel, 1998, 308 p.
- BERQUE Jacques, Les Arabes, العرب ثم الأندلسيات suivi de Andalousies, Arles, Actes Sud, 1997, 238 p. (Coll. Babel; 250, Sindbad).
- BERQUE Jacques, Les Arabes, l'Islam et nous: entretiens avec Jean Sur, نحن والعرب والإسلام: لقاءات مع جون سور Paris, Mille et une nuits, Issy-les-Moulineaux, Arte Editions, 1996, 64 p. (La petite collection; 110).
- BERQUE Jacques, Le Coran: essai de traduction de l'arabe القرآن الكريم : محاولات لترجمته من العربية annoté et suivi d'une étude exégétique, Paris, Albin Michel, 1995, 844 p. (La bibliothèque spirituelle; 1)Index.
- BERQUE Jacques, Relire le Coran, إعادة قراءة القرآن الكريم Paris, Albin Michel, 1993, 136 p.
- BERQUE Jacques, L'Immigration à l'école de la République: rapport au Ministère de l'éducation nationale,الهجرة فى مدرسة الجمهورية : تقرير لوزارة التعليم Paris, CNDP, 1985, 120 p.
- BEY Maïssa, A contre-silence, فى مقابل الصمت Paris, Tournai, (Belgique), Parole d'Aube, 1998.
- BEY Maïssa, Nouvelles d'Algérie, قصص من الجزائر Paris, Grasset, 1998.
- BONN Charles et Fériel Kachoukh, dir. Bibliographie de la littérature maghrébine: 1980-1990,مراجع من الأدب المغاربي (١٩٨٠-

(١٩٩٠Vanves, EDICEF/AUPELF-UREF, 1992.(Coll. Universités francophones. Actualités linguistiques francophones).
- BORDEAUX Henry, Voyageurs d'Orient, رحالة من الشرقParis, Plon, 1926, 2 vol.
- BOURAOUI Nina, Le Jour du séisme, يوم الزلزالParis, Stock, 1999.
- BURGAT François, L'Islamisme au Maghreb: la voix du Sud, التيار الإسلامى فى بلاد المغرب: صوت الجنوبParis, Karthala, 1988.
- CARDINI Franco, Europe et Islam: histoire d'un malentendu, أوروبا والإسلام: تاريخ من سوء التفاهمtrad. de l'italien par Jean-Pierre Bardos, Paris, Seuil, 2000.
- CHAHINE Richard, Orientalistes au Liban, مستشرقون فى لبنانBeyrouth, Chahine, 1989.
- CHEDID Andrée, La Femme en rouge et autres nouvelles,المرأة ذات الرداء الأحمر وقصص أخرىParis, J'ai Lu, 1994.
- CHEDID Andrée, Les Métamorphoses de Batine, تحولات باتينParis, Ed. Père Castor, 1994.
- CHEVALDONNE François (sous la dir.), Lunes industrielles: les médias dans le monde arabe, أقمار صناعية: وسائل الإعلام فى العالم
- CHEVALLIER Dominique, La Société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe,مجتمع جبل لبنان فى زمن الثورة الصناعية فى أوروباParis, Paul Geuthner, 1983.
- Chroniques arabes des croisades, حوليات عربية للحروب الصليبيةed. Francesco Gabrieli, trad. de l'italien par Viviana Pâques, Arles, Sindbad, 1996.
- CLAS André, Mejri Salah, BACCOUCHE Taïeb, La Mémoire des mots, ذاكرة الكلماتActes du colloque de Tunis, 25-26 et 27 sep-

tembre 1997, Tunis, SERVICED / Montréal, AUPELF-UREF, 1998.

- CORM Georges, Le Proche-Orient éclaté (1956-2000), الشــرق الأوسط المتفجر (١٩٥٦-٢٠٠٠) Paris Gallimard, 1999. (Coll. Folio).
- DEJEUX Jean, Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française, معجم الكتاب المغاربة الناطقين بالفرنسية Paris, Karthala, 1984.(Lettres du Sud).
- DEJEUX Jean, La Littérature féminine de langue francaise au Maghreb, الأدب النسوى الناطق بالفرنسية فى بلاد المغرب Paris, Karthala, 1994. (Lettres du Sud).
- DJEBAR Assia, القنابر الساذجة Les Alouettes naïves, Arles, Actes Sud, 2000. (Babel,257).
- DJEBAR Assia, Ces voix qui m'assiègent: en marge de ma francophonie, أصوات تحاصرني: على هامش الفرانكفونية Paris, Albin Michel, 1999.
- DJEBAR Assia, Oran, langue morte, لغة أوران، لغة ميتة Arles, Actes Sud, 1997. (Un endroit où aller).
- DORE-AUDIBERT Andrée, MORZELLE Annie, Vivre en Algérie: des Françaises parlent, الحياة فى الجزائر: فرنسيات يتحدثن Paris, Karthala, 1997.
- Ecriture et oralité, الكتابة والشفاهة Revue de la Faculté des lettres et des sciences humaines Dhar el Mahraz, département de langue et littérature françaises, n° spècial (8), 1992, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Fès.
- EDDE Dominique, Pourquoi il fait si sombre? لماذا هذا الظلام الحالك؟ Paris, Seuil, 1999.

• ELIAS Hanna Elias, La Presse arabe, الصحافة العربية Paris, Maisonneuve et Larose,1993. (Coll. Orient-Orientations).

• Emeutes et mouvements sociaux au Maghreb: perspectives comparées, sous la dir. de Didier LE SAOUT ET Me فتن و تحولات اجتماعية في بلاد المغرب: آفاق مقارنة rguerite ROLLINDE, Paris, Karthala, 1999. (Coll. Hommes et sociétés).

Une Enfance algérienne, طفولة جزائرية textes recueillis par Leïla Sebbar, Paris, Gallimard, 1999.

• Espaces maghrébins: la force du local: hommage ? Jacques Berque, فضاءات مغاربية: قوة المحلية: تكريم لجاك بيرك ed. Cahiers du CEFRESS, Université de Picardie Jules Verne, Atelier Fondements anthropologiques de la norme, dir. Nadir Marouf, Omar Carlier, Paris, L'Harmattan, 1995.

• FAWAZ Ghassan, Sous le Soleil d'Occident, تحت شمس الغرب Paris, Seuil, 1998.

• FENOGLIO Irène, Le Français désigné comme "langue des femmes" en Egypte, Education et sociétés plurilingues/ Educezione e societa

piurilingue, اللغة الفرنسية كلغة نسائية في مصر. التعليم والمجتمعات ذات التعددية اللغوية n? 2, septembre 1997, pp.73-84. Femmes et islamisme, Confluences Méditerranée, n? 27, Paris, L'Harmattan, automne 1998.

• FLAUBERT Gustave, Voyage en Orient 1849-1851, رحلة إلى الشرق (١٨٤٩-١٨٥١) Paris, Librairie de France, 1925.

• FOURNIE Pierre, RICCIOLI Jean-Louls, La France et le Proche-Orient,1916-1946; فرنسا والشرق الأدنى (١٩١٦-١٩٤٦) une chronique photographique de la présence française en Syrle et au Liban,

en Palestine, au Hedjaz et en Cilicie, Tournai, la Renaissance du livre, 1996, 285 p. ill. (Les beaux livres du patrimoine).

- La Francophonie au Liban, الفرانكفونية فى لبنان Actes du Sixième Colloque international francophone du Canton de Payrac et du Pays de Quercy en 1996, sous la dir. de Edmond Jouve, Simone Dreyfus et Walid Arbid, Paris, Association des Ecrivains de langue française (ADELF), 1997.
- Francophonie-Monde arabe: un dialogue des cultures, الفرانكفونية والعالم العربى: حوار الثقافات Paris, 30-31 mai 2000, Colloque organisé par la Ligue des Etats Arabes, l'Organisation Internationale de la Francophonie, l'Institut du Monde Arabe, Paris, Organisation Internationale de la Francophonie, 2001,381 p.
- FREUND Wolfgang Slim (et al.), L'Information au Maghreb, الإعلام فى بلاد المغرب Tunis, Cerès production, 1992.
- GALISSOT René et MOULIN Brigitte, dir. Les Quartiers de la ségrégation: Tiers monde ou Quart monde ? الأحياء والتفرقة العنصرية: عالم ثالث أم عالم رابع؟ Paris, Karthala, 1995.
- GARON Lise, Le Silence tunisien et les alliances dangereuses au Maghreb, الصمت التونسى والتحالفات الخطيرة فى بلاد المغرب Montréal, L'Harmattan, 1998.
- GAUVIN Lise, L'Ecrivain francophone à la croisée des langues, الكاتب الفرانكفونى فى ملتقى طرق اللغات Paris, Karthala, 1998. (Lettres du Sud).
- GEISSER Vincent, Ethnicité républicaine: les élites d'origine maghrébine dans le système politique français, العرقية الجمهورية: الصفوة ذات الأصل المغاربى داخل النظام السياسى الفرنسى Paris, Presses de Sciences Po, 1997.

- GUICHARD Pierre, SENAC Philippe, Les Relations des pays d'Islam avec le monde latin du milieu du Xe au milieu du XIIIe siècle,علاقات البلاد الإسلامية بالعالم اللاتينى من أواسط القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشرCNED/SEDES, 2000, 283 p.
- HAMMOUD Hani, L'Occidentaliste, المستغربBeyrouth, Ed. Dar An Nahar, 1998.
- Islam d'en France, Hommes et Migrations,الإسلام فى فرنسا رجال ومهجراتn? 1220, 1999.
- HELOU Charles, Liban, Remords du monde, لبنان ندم العالمParis, Cariscript, 1988.
- HELOU Charles, Mélanges, خليطBeyrouth, Dar el Machreq, 1970.
- HEYBERGER Bernard, Les Chrétiens du Proche-Orient (XIIe - XVIIe siècles),المسيحيون فى الشرق الأدنى (القرن الثانى عشر- القرن السابع عشر)Ecole française de Rome, 1994.
- JOINVILLE-ENNEZAT Maxime, Islamité et laïcité: pour un contrat d'alliance, الإسلاموية والعلمانية: من أجل اتفاقية تحالفPréf. Jean Remy, Paris, L'Harmattan, 1998. (Coll. Religion et sciences humaines).
- JULLIEN DE POMMEROL Patrice, Dictionnaire arabe tchadien français, المعجم العربى التشادى- الفرنسىParis, Karthala, 1999.
- KADRI Aissa, dir., Parcours d'intellectuels maghrébins,مسيرة مفكرين مغاربيينParis, Karthala, 1999.
- KAMAL-TRENSE Nadia, Tahar Ben Jelloun: l'écrivain des villes, طاهر بن جالون: كاتب المدنParis, L'Harmattan, 1998.
- KATTAN Naim, Adieu Babylone, وداعاً بابلParis, Julliard, 1976, 238 p.

- KATTAN Naïm, Le Réel et le théâtral, الواقـــعي والمســـرحي Paris, Denoël, 1971, 176 p. (Dossier Lettres nouvelles).
- KATTAN Naïm, Le Silence des adieux, صمت الوداع Montréal, Hurtubise HMH, 1999, 180 p. (L'arbre).
- KATTAN Naïm, Idoles et images, تماثيل وصـور Saint-Laurent, Bellarmin, 1997, 171 p. (L'essentiel).
- KATTAN Naïm, A. M. Klein: la réconciliation des races et des religions, م.كلين التوفيق بين الأجناس والأديان Montréal, XYZ, 1994, (Les grandes figures).
- KHALAF Saher, Littérature libanaise de langue française, الأدب اللبناني الناطق بالفرنسية Ottawa, Naaman, 1994.
- KHATIBI Abdelkébri, Figures de l'étranger (dans la littérature française),(وجه الغريب(في الأدب الفرنسي Paris, Denoël, 1987.
- KHATIBI Abdelkébri, par-dessus l'épaule," بازدراء Paris, Aubier, 1988.
- KHOURY P. Sami, Une Histoire du Liban à travers les archives des jésuites (1816-1862), تاريخ لبنان من خلال أرشيفات اليسوعيين (١٨١٦-١٨٦٢) Beyrouth, Dar el Machreq, 1985-1992, 2 vol.
- KHOURY-GHATA, Vénus, La Maison au bord des larmes, منزل على ضفاف الدموع Paris Balland, 1998.
- KHOURY-GHATA, Vénus, La Voix des arbres, صوت الأشجار Paris, le Cherche Midi Editeur, 1999.
- KOBER Marc, dir. FENOGLIO Irène, LANCON Daniel, Entre Nil et sable: écrivains d'Egypte d'expression française, بين النيل والرمال : كتاب مصريون ناطقون بالفرنسية préf. de Robert Solé, Paris, Centre national de documentation pédagogique, 1999.

- KRAEMER Gilles, Trois siècles de presse francophone dans le monde (hors de France, de Suisse, de Belgique et du Québec),ثلاثة قرون من الصحافة الفرانكفونية خارج فرنسا وسويسرا وبلجيكا والكيبيكParis, L'Harmattan, 1995.
- LAMARTINE Alphonse de, Un Voyage en Orient (1832-1833), (١٨٣٢-١٨٣٣) رحلة إلى الشرقParis, Gasselin, 1849.
- Langues et cultures au Maghreb, لغات وثقافات في بلاد المغربdossier paru dans Prologues, revue maghrébine du livre, Casablanca, n? 17, Eté 1999, bilingue francais -arabe.
- Littératures maghrébines, آداب مغاربيةColloque Jacqueline Arnaud, Villetaneuse, 1987, 1.Perspectives générales, avant-propos Charles Bonn, Paris, L'Harmattan, 1990. (Coll. Itinéraires et contacts de cultures, 10).
- Littératures maghrébines, آداب مغاربيةColloque Jacqueline Arnaud, Villetaneuse 1987, 2.Les Auteurs et leurs ceuvres, avant-propos Charles Bonn, Paris, L'Harmattan, 1990. (Coll. Itinéraires et contacts de cultures, 11.
- LOCHON Christian, Ancienneté des relations entre universités françaises et arabes, Présence libanaise,عراقة العلاقات بين الجامعات الفرنسية والعربية والتواجد اللبنانيParis, n?19, mars 2001 et n? 20, mai 2001.
- LOCHON Christian, Le Cénacle libanais et la Francophonie,دار الندوة اللبنانية والفرانكفونيةactes du colloque ADELF, Paris, 1998.
- LOCHON Charles, Charles Hélou, شارل الحلوactes du colloque ADELF, Paris, 1998.
- LOCHON Christian, L'Enseignement de la langue et de la civilisation arabes et l'identité nationale,تدريس اللغة العربية وحضاراتها

والهوية القومية Ecole, laïcité plurielle, Ligue de l'enseignement, Paris, 1992.

- LOCHON Christian, France-Liban, Estime et culture, فرنسا - لبنان، احترام وثقافة colloque Libanité et Francophonie, Paris, 1993.
- LOCHON Christian, Francophonie Arabophonie, même combat, l'exemple de la Syrie, فرانكفونية عربوفونية النضال نفسه ، النموذج السوري Paris, Bulletin de l'Association des Anciens Elèves de l'INALCO, octobre 1989.
- LOCHON Christian, Liban, miroir d'une terre-refuge, لبنان مــرآة الأرض-الملاذ Paris, Arts et vie Plus, décembre 1999.
- LUTHi Jean-Jacques, La Littrature d'expression française en Egypte (1798-1998), الأدب الناطق بالفرنسية فى مصر (١٧٩٨-١٩٩٨) avant-propos de Boutros Boutros-Ghali, Préface de Maurice Genevoix, nouv. éd. remaniée, Paris, L'Harmattan, 2000.
- MAALOUF Amin, Le Péripie de Baldassare رحلة بالتـازار البـحـرية, Paris, Grasset, 2000.
- MAALOUF Amin, Les Identités meurtrières, الهـويات القـاتلة Paris, Grasset, 1998.
- MAALOUF Amin, le Rocher de Tanios, صخرة تانيوس Paris, Grasset, 1993.
- MAALOUF Amin, Léon l'Africain, ليون الأفريقى Paris, Lattès, 1992.
- MAALOUF Amin, Les Jardins de lumière, حـــدائق النور Paris, Lattes, 1991.
- MAALOUF Amin, Samarcande, سمرقند Paris, Lattès, 1988.
- Le Maghreb, l'Europe et la France, أوروبا وفـرنسا dir. Kacem Basfao, Jean-Robert Henry, Paris, Ed. du CNRS, 1992. (Coll. Etudes de l'Annuaire de l'Afrique du Nord).

- MAHAFZA Ali, Influence de la révolution française sur la pensée politique arabe, تأثير الثورة الفرنسية على الفكر السياسى العربي Paris, l'Afrique et l'Asie modernes, CHEAM, été 1990.
- MARTIN P., DREVET C., La Langue française vue d'ailleurs: 100 interviews, اللغة الفرنسية ونظرة من بعيد : ١٠٠ لقاء préface de Jean-Marie Colombani, Casablanca, Tarik Editions, 2001.
- MEDDEB Abdelwahab, Aya dans les villes, آية في المدن ill. Alexandre Hollan, Fontfroide-le-Haut, Fata Morgana, 1999.
- Le Maroc en perspectives, المغرب في الآفاق Confluences Méditerranée, Hors Série 2000, Paris, L'Harmattan.
- MEDDEB Abdelwahab, Blanches traverses du passé, عقبات الماضي ill. Jellel Gasteli, Fontfroide-le-Haut, Fata Morgana, 1997.
- MEDDEB Abdelwahab, Tombeau d'Ibn Arabi, مقبرة ابن عربي ill. Antonio Saura, Fontfroide-le-Haut, Fata Morgana, 1995.
- MEKAOUI Adam, Partenariat économique euro-marocain: une intégration régionale stratégique, الشراكة الاقتصادية الأورومغربية: اندماج إقليمي إستراتيجي préface de Dominique Château, Paris, L'Harmattan, 2000, 322 p. (Coll. Logiques juridiques).
- MELLIANI Fabienne, La Langue du quartier: appropriation de l'espace et identités urbaines chez les jeunes issus de l'immigration maghrébine en banlieue rouennaise, لغة الحى والانتساب إلى المكان وهويات عمرانية لدى شباب الهجرة المغاربية فى ضواحى مدينة روان préface de Paul Siblot, Paris, L'Harmattan, 2000, 220 p. (Coll. Espaces discursifs).
- La Mémoire des mots, ذاكرة الكلمات sous la dir. de Taïeb Baccouche, Andrè Clas et Salah Mejri, Revue Tunisienne des Sciences sociales, n? 117, 1998.

- MIQUEL Andre, HADJADJI Hamdane, Les Arabes et l'amour: anthologie poétique, العرب والحب: أنطولوجيا شعرية Arles, Actes Sud-Sindbad, 1999.
- MOATASSIME, Ahmed, Arabisation et langue française au Maghreb: un aspect sociolinguistique des dilemmes de developpement, التعريب واللغة الفرنسية فى بلاد المغرب: الطابع الاجتماعى اللغوى لمعضلات التنمية Paris, Presses Universitaires de France, 1992.
- MOKKEDEM Malika, La Nuit de la lézarde ليلة التـصـدع, Paris, Grasset, 1998.
- MOUFFOK Ghania, Etre journaliste en Algérie, أن تكون صحفيا فى الجزائر Paris, RSF, 1996.
- MOURAD Mgr Nicolas, Origine de la nation maronite أصل الأمة المارونية, Paris, 1844.
- MOUVEMENT CULTUREL ANTELIAS, La Révolution française et l'Orient, الثورة الفرنسية والشرق Paris, Cariscript, 1989.
- NASSIB Sélim, Clandestin, سري Paris, Balland, 1998.
- NERVAL Gérard de, Voyage en Orient, رحلة إلى الشرق Paris, Charpentier, 1857, 2 vol.
- OULD BOULEIBA Mohamed, Critique littéraire occidentale, critique littéraire arabe. Textes croisés.. نقد أدبى غربى ونقد أدبى عربى. نصوص متقاطعة. Etudes sur deux critiques libanaises Khalida Sa'id et Yunna al-Id, Paris, L'Harmattan, 2000.
- OULD ZEIN Bah, QUEFFELEC Ambroise, Le Français en Mauritanie, اللغة الفرنسية فى موريتانيا Vanves, EDICEF, 1997.
- Présence libanaise dans le monde, التواجد اللبنانى فى العالم Actes du colloque organisé par l 'UCFL dans le cadre de la Journée

Internationale des Nations Unies le 24 octobre 1992, à l'Assemblée nationale française, Paris, 2 vol., Paris, UCFL, 1993-1999.

- QUITOUT Michel, Al-Lassin, Petit dictionnaire des termes des sciences du langage français-arabe, arabe-français,المعجم الصغير لعلوم اللغة فرنسي-عربي و عربي-فرنسي préface de Joseph Courtès, Paris, L'Harmattan, 2000, 210 p.
- RABBATH Edmond, L'Orient chrétien arabe à la veille de l'Islam, الشرق المسيحي العربي عشية ظهور الإسلام Beyrouth, Université libanaise, 1980.
- Regards croisés sur la Francophonie au Maroc:تقابل الرؤى حول الفرانكفونية في المغرب actes du Neuvième Colloque international francophone du Canton de Payrac et du Pays de Quercy Organisé du 26 au 29 août 1999, sous la dir. de Edmond Jouve, Simone Dreyfus et Jacques Augarde, Paris, Association des Ecrivains de langue française, 2000,532 p.
- Rivages et déserts: hommage a Jacques Berque,:شواطئ وصحاري: تكريم لجاك بيرك Paris, Sindbad, 1989.
- RODINSON Maxime, Mahomet, محمد(ص) Paris, Seuil, 1994, 384 p. (Points; 282; Essais)
- ROSINSON Maxime, Le Coran, القرآن الكريم trad. de l'arabe et notes Kazimirski, notice préliminaire et notices sur Mahomet et le Coran par Maxime Rodinson, Paris, Classiques Garnier multimedia, 1999, XLI-646 p.
- RODINSON Maxime, Entre Islam et Occident: entretiens avec Gérard Khoury, بين الإسلام والغرب: لقاءات مع جيرار خوري Paris, Belles Lettres,1998, XV-302 p.(Entretiens)

- RODINSON Maxime, L'Islam, politique et croyance,الإســــلام والسياسة والإيمانParis, Pocket, 1995. (Agora; 161)
- SALAME Ghassan, Appels d'empire: ingérences et résistances a l'âge de la mondialisation,نداءات الهيمنة: تدخلات ومقاومات في عصر العولمةParis, Fayard, 1996.
- SANSAL Boualem, L'Enfant fou de l'arbre creux,الطفل المجنون للشجرة المجوفةParis, Gallimard, 2000
- SANSAL Boualem, Le Serment des Barbares قسم الأعاجمParis, Gallimard, 1999.
- SCHEHADE Georges, L' uvre complète, الأعمال الكاملةBeyrouth, Almanar, 1999.
- STETIE Salah, La Unième nuit, الليلة الأولىParis, Stock, 1980.
- TAHTAWI Rifaa Rafeh, L 'Or de Paris,تخليص الإبريز في تلخيص باريز voyage 1826-1831 (trad. Anouar Louca), Paris, Sindbad, 1989.
- TAUZIN A. et SOUIBES M., Femmes, famille et société au Maghreb, نساء وعائلات والمجتمع في بلاد المغربParis, Karthala, 1990. (Lettres du Sud(.
- THORAVAL Yves, Dictionnaire de civilisation musulmane,معجم الحضارة الإسلاميةLarousse, 2001.
- TIBI Zeina el, La Francophonie et le dialogue des cultures, الفرانكفونية وحوار الحضاراتEditions Bissan (Beyrouth) et L'Age d'homme (Paris), 2001.
- VENEL Nancy, Musulmanes françaises: des pratiquantes voilées à l'université, مسلمات فرنسيات: متدينات محجبات داخل الجامعةpréf. Catherine Neveu, Paris, L'Harmattan, 1999.
- VIROLLE Marie, La Chanson raï: de l'Algérie profonde à la scène internationale,أغنية الراي: من عمق الجزائر إلى المسرح العالمي Paris, Karthala, 1995.

- VOLNEY, Voyage en Egypte et en Syrie,رحلة إلى مصر وسوريا notes de Jean Gaulmier (1787), Paris, Mouton, 1959.
- WALTER Henriette, L'Aventure des mots français venus d'ailleurs, مغامرة الكلمات الفرنسية القادمة من أماكن أخرى Paris, Robert Laffont,1997.
- ZEGHIDOUR Slimane, La Poésie arabe moderne entre l'Islam et l'Occident, الشعر العربى الحديث بين الإسلام والغرب Paris, Karthala, 1982 (Lettres du Sud).
- ZEIN (Ramy), Dictionnaire de la littérature libanaise de langue française, Paris, L'Harmattan, 1999.

Théâtre مسرح

- ABA Noureddine, Un jour où le conteur arrive,يوم أن وصل الروائى Paris, Ed. des QuatreVents, 1996. (Coll. Théâtre).
- ABA Noureddine, L'Exécution au beffroi, إعدام فى بيفروا Carnières (Belgique), Lansman, 1995.(Coll. Beaumarchais, 12).
- ABA Noureddine, Une si grande espérance ou le chant retrouvé au pays perdu: théâtre,أمل كبير جداً أوالأغنية العائدة فى البلد المفقود Paris, L'Harmattan, 1994. (Coll. Théatre des cinq continents, S)
- ABA Noureddine, L'Arbre qui cachait la mer: pièce en trois actes et deux tableaux, الشجرة التى كانت تخفى البحر: مسرحية Paris, L'Harmattan, 1992. (Coll. Ecritures arabes, 88. (
- ABA Noureddine, Tell-El-Zaâtar s'est tu à la tombée du soir: Action pour un théâtre, تل الزعتر غرق فى الصمت عند دخول الليل Paris, L'Harmattan, 1981.
- ABA Noureddine, Montjoie Palestine: ou l'an dernier à Jérusalem, فلسطين أو العام الماضى فى القدس Paris, L'Harmattan, 1980.
- ADIB Hoda, Métamorphose de la mémoire,١٩٩٦, تحول الذاكرة

- BENAISSA Slimane, L'Avenir oublié, المستقبل المنسي Carnières (Belgique), Lansman, 1999. (Coll. Theatre à vif, 64. (
- BENAISSA Slimane, Prophètes sans dieu, أنبياء بلا إله Carnières (Belgique), Lansman, 1999. (Coll. Nocturnes Théâtre,54. (
- BENAISSA Slimane, Théâtre en exil, المسرح فى المنفى Carnières (Belgique), Lansman, 1997. (Coll. Théâtre à vif) 5 vol.
- BENAISSA Slimane, Les Fils de l'amertume, أبناء المرارة Carnières (Belgique), Lansman, 1997. (Coll. Théâtre à vif,58. (
- BENAISSA Slimane, Un Homme ordinaire pour quatre femmes particulières, رجل عادى لأربع نساء متميزات Carnières (Belgique), Lansman, 1997. (coll. Théâtre à vif, 59. (
- BENAISSA Slimane, Marianne et le marabout, ماريان والناسك Carnières (Belgique), Lansman, 1995. (Coll. Théâtre à vif,50. (
- BENAISSA Slimane, Le Conseil de discipline, مجلس التأديب Carnières (Belgique), Lansman, 1994. (Coll. Théâtre à vif, 20).
- BENAISSA (Slimane, Au-delà du voile: si tu es mon frère, moi qui suis-je ?فيما وراء الحجاب: إذا كنت أخى فمن أكون, Carnières (Belgique), Lansman, 1991. (Coll. Théâtre à vif, 13).
- BEY Maïssa, La Plume et le couteau, ١٩٩٩, القلم والسكين YACINE Kateb, Boucherie de l'espérance, مجزرة الأمل rée. Paris, Seuil, 2000.
- YACINE Kateb/BENAISSA Slimane, Mohammed prends ta valise,١٩٧١, محمد احمل حقيبتك

Cinématographie أفلام سينمائية

- ABDEL HATIF Abdelatif, Le Souffle de l'âme, تنفس الروح Syrie, 1998.

- ABOU SEIF Mohammed, Les Années lycée, سنوات المدرسة Egypte, 1999.
- BANLYAZID Farida, Ruses de femmes, حيل نساء Maroc/Tunisie/ France/Suisse,1999.
- BOUGHEDIR Ferid, Halfaouine, l'enfant des terrasses,طفل الشرفة ١٩٨٢,
- BOUGHEDIR Ferid, Un Eté à la Goulette, ١٩٩٦, صيف على القناة
- CHAHINE Youssef, L'Autre, الآخر Egypte, 1999.
- CHAHINE Youssef, Le Destin, المصير Egypte, 1997.
- CHAHINE Youssef, L'Emigré, المهاجر Egypte, 1995.
- CHAHINE Youssef, Le Sixième jour, ١٩٨٦, اليوم السادس
- CHIBANE Malik, Chronique de la jeunesse des années 1990: تأريخ لشباب التسعينيات Hexagone, 1992-1993, Douce France, 1995 et Né quelque part, 1997.
- FAWZI Ousmana, Le Paradis des anges déchus,جنة الملائكة المنزلين Egypte, 1999.
- FERHATI Jilali; Tresses, ضفائر Maroc, 2000.
- HATATA Atef, Les Portes fermées, الأبواب المغلقة Egypte, 1998.
- MOKNECHE Nadir, Le Harem de Mme Ousmane,حريم زوجة السيد عثمان Algèrie/France, 2000.
- TLATLI Moufida, La Saison des hommes, موسم الرجال Tunisie/ France, 1999.
- TRAIDA Karim, Les discours de vérité, أحاديث الصدق Algérie/ Pays-Bas, 2000.

Revues دوريات

- Arabies, le mensuel du monde arabe et de la Francophonie 92, rue Jouffroy d'Abbans - 75017 Paris.

tel. 01 47 66 46 OO - Télécopie: 01 43 80 73 62

courriel: editor@arabies.com

Internet: www.arabies.com

- As-Salam, Lettre d'information éditée par l'Institut musulman de la Grande Mosquée de Paris.

Place du Puits-de-l'Ermite - 75015 Paris Tel. 01 45 35 97 33

Télécople: 01 45 35 16 23.

Internet: www.Mosquee-de-Paris.com

- Confluences Méditerranée - Editions l'Harmattan.

7, rue de l'Ecole Polytechnique - 75005 Paris

Tel. 01 40 46 79 20

Télécopie: 01 43 25 82 03.

Courriel: harmat@worldnet.fr

Internet: www.editions-harmattan.fr

- France-Pays arabes - mensuel

12 et 14, rue Augereau - 75007 Paris

Tel. 01 45 55 27 52 - 01 47 05 81 45 - Télécopie: 01 45 51 27 26

Hawwa magazine - BP n? 6 - 75 521 Paris cedex

Courriel: hawwamag@France.com

- ISESCO.

Revue publiée par l'Organisation islamique pour l'Education, la science et la culture

Av. Attine, Hay Riad - Rabat (Maroc) - BP 2275 - CP 10104

Tel. (00 217 7) 77 24 33/71 52 94/71/53 05/71 52 90. - Télécopie:(00 212 7) 77 20 58

• Jeune Afrique l'intelligent

57 bis rue d'Auteuil - 75016 Paris

Tel. 01 44 30 19 60 - Télécopie: 01 44 30 19 30

Courriel: mailbox@jeuneafrique.com

Internet: www.jeuneafrique.com

Lettre de liaison des amis de Jacques Berque

25, rue Montmartre - 75002 Paris

Tel. 01 40 4193 86

• Lettre mensuelle de la Société des amis de l'Institut du monde arabe

1, rue des Fossés Saint-Bernard - 75236 Paris Cedex 05.

Tel. 01 40 51 38 93 - Télécopie: 01 46 34 02 08.

• Maghreb-Machrek.

Centre d'etudes et de Recherches Internationales de la Fondation nationale des Sciences politiques, Documentation française,

29, Quai Voltaire 75007 Paris.

• Partenariat Europe-Maghreb.

La Lettre d'information du partenariat euro-maghrébin

29, rue de Richelieu - 75001 Paris.

• Prologues.

Revue maghrébine du livre

31, rue Zérhoun - app.8 - 2ème étage - Casablanca (Maroc)

Téléphone et télécopie: (00 212 2) 22 65 20.

Courriel: prologues@atlasnet.net.ma Internet: www.ned.org/page3/Prologues/

- Quantara, Publication de l'Institut du monde arabe

1, rue des Fossés Saint-Bernard - 75236 Paris 05.

Tel. 01 40 51 38 38

Site Internet IMA: www.imarabe.org

- Refa. Revue des échanges franco-arabes

93, rue Lauriston - 75116 Paris

Tel. 01 45 53 20 12

Télécopie: 01 47 55 09 59

Internet: www.ccfranco-arabe.com

- Revue du Liban: Fondée en 1928, tirée en moyenne à plus de 35 000 exemplaires et distribuée dans plus de 30 pays (monde arabe, Afrique francophone, Amérique du Nord, Amérique latine, France), par abonnement et dans les kiosques. Collaboratrice à Paris: Zeina el TIBI

Tel. 06 81 42 33 27

Courrier éléctronique: zeinatibi@noos.fr

- Travaux et jours, Rectorat de l'université Saint-Joseph, rue de Damas, Beyrouth.

Tel. (00 961 1) 426 456/7/8 .

يشتمل هذا العدد من كراسات الفرانكفونية التى يصدرها المجلس الأعلى للفرانكفونية على مجموعة دراسات حول موضوع « الفرنكفونية العربية » ، وهو المصطلح الذى استحدثة « ستيليوفاراندجيز » الأمين العام للمجلس الأعلى للفرانكفونية العربية عام ١٩٨٣ . ويعكس هذا المفهوم وضعًا يتعدى مجرد التعايش ليؤكد ضرورة الحوار والتفاعل بين العالم العربى والعالم الفرانكفونى من أجل مواجهة تيار العولمة الذى يخلق عالمًا أحادى القطب قد يولد تيارًا من الكراهية والصراع .

المترجمة فى سطور :

الدكتورة جيهان عيسوى مدرس بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون وحاصلة على الدكتوراه فى الأدب من جامعة السوربون ولها العديد من الكتب المترجمة من الفرنسية ، منها : " العمل فى ستديو الممثل " لتراسبرج و " فى عداد الموتى " و " الفراغات المسرحية المفقودة " لكلودريجى ، وقد شاركت فى ترجمة موسوعة " وصف مصر . "

المراجعة فى سطور :

دكتورة منى صفوت

أستاذ ورئيس قسم اللغة الفرنسية بآداب عين شمس ، مجال التخصص : المسرح الفرنسى المعاصر والمناهج النقدية الحديثة . نشرت أبحاثًا عديدة فى مجال السميولوجيا والأنثربولوجيا المسرحية .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمدًا المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩- الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانغ رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دي ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوامريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبـة	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	محمود على مكي
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف
١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان

١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال	ريشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لوريتزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	وب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محمود محى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى
٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمى

-٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	طلعت الشايب
-٢٣٤	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
-٢٣٥	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
-٢٣٧	مصر أرض الوادى	روبين فيرين	عنايات حسين طلعت
-٢٣٨	العولمة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
-٢٣٩	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
-٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
-٢٤١	فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
-٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
-٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالرءوف البمبى
-٢٤٤	الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
-٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
-٢٤٦	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
-٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
-٢٤٨	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
-٢٤٩	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
-٢٥٠	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
-٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
-٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
-٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
-٢٥٤	الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٥	أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٦	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
-٢٥٨	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
-٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
-٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
-٢٦١	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٦٢	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
-٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبن	على يوسف على
-٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
-٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويئل جونسون	لويس عوض
-٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
-٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
-٢٦٨	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
-٢٧٠	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
-٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

-٢٧٢	الأديرة الأثرية في مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
-٢٧٣	الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
-٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
-٢٧٥	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
-٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
-٢٧٧	الچينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
-٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
-٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
-٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
-٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
-٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
-٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
-٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
-٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
-٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
-٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
-٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
-٢٨٩	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
-٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
-٢٩١	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
-٢٩٢	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
-٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
-٢٩٤	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
-٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
-٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
-٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
-٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
-٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
-٣٠٠	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
-٣٠١	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
-٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
-٣٠٣	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
-٣٠٤	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
-٣٠٥	الجلد	كروزيو مالاپارته	صلاح عبد الصبور
-٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
-٣٠٧	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
-٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
-٣٠٩	الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	جمال الجزيرى
-٣١٠	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية	خابير بيان	عبدالله الجعيدى
٣١٤-	الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٣٢٢-	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٣٢٤-	اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر س كلارك	مصطفى فهمى
٣٣٥-	عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٣٤١-	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمن	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنيبرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	نخبة	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩- ملك فى الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات	جون دن	بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٣٨٩- من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٣٩٧- نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣- أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود سلامة علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩- هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدّة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	جون فيزر وبول سيترجز	محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٤-	سفر	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواه	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	نخبة
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود سلامة علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (جـ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم. ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى

٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر نبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا- أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى

٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان - إنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	مدحت الجيار
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون - ماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة	وول سوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجول الجديد	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة الكبرى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	جوزيف ر. سترايير	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	مختارات	رمسيس عوض
٦٩٢-	الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	القتل الجماعى: المحرقة	حائيم برشيت وأخران	جمال الجزيرى
٦٩٤-	دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس .	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاراتى	جمال الجزيرى
٧٠٠-	حقيقة كاتب	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن

٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخران
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	ڤالتر بنيامين	نخبة	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال: التكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هارى أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى الغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التمييز والاختلاف	نخبة	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (جـ٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية (جـ١)	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر (جـ٢)	جيرار دى جورج	محمد عواد

٧٤٠-	خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف . أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	المجاز فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	أيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدتى الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خاردييل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال السعيد الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	برخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية ج٢	جون فيزر وبول ستيرجز	محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية.. التاريخ والمرتكزات	نخبة	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد، ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	مختارات من الأدب اليابانى المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم، وسارة تاكاهاشى

٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجي
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل سجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجي
٧٨٩-	الانتظار	هاجين	منى الدروبي
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوي

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٢٠٦ / ٢٠٠٥